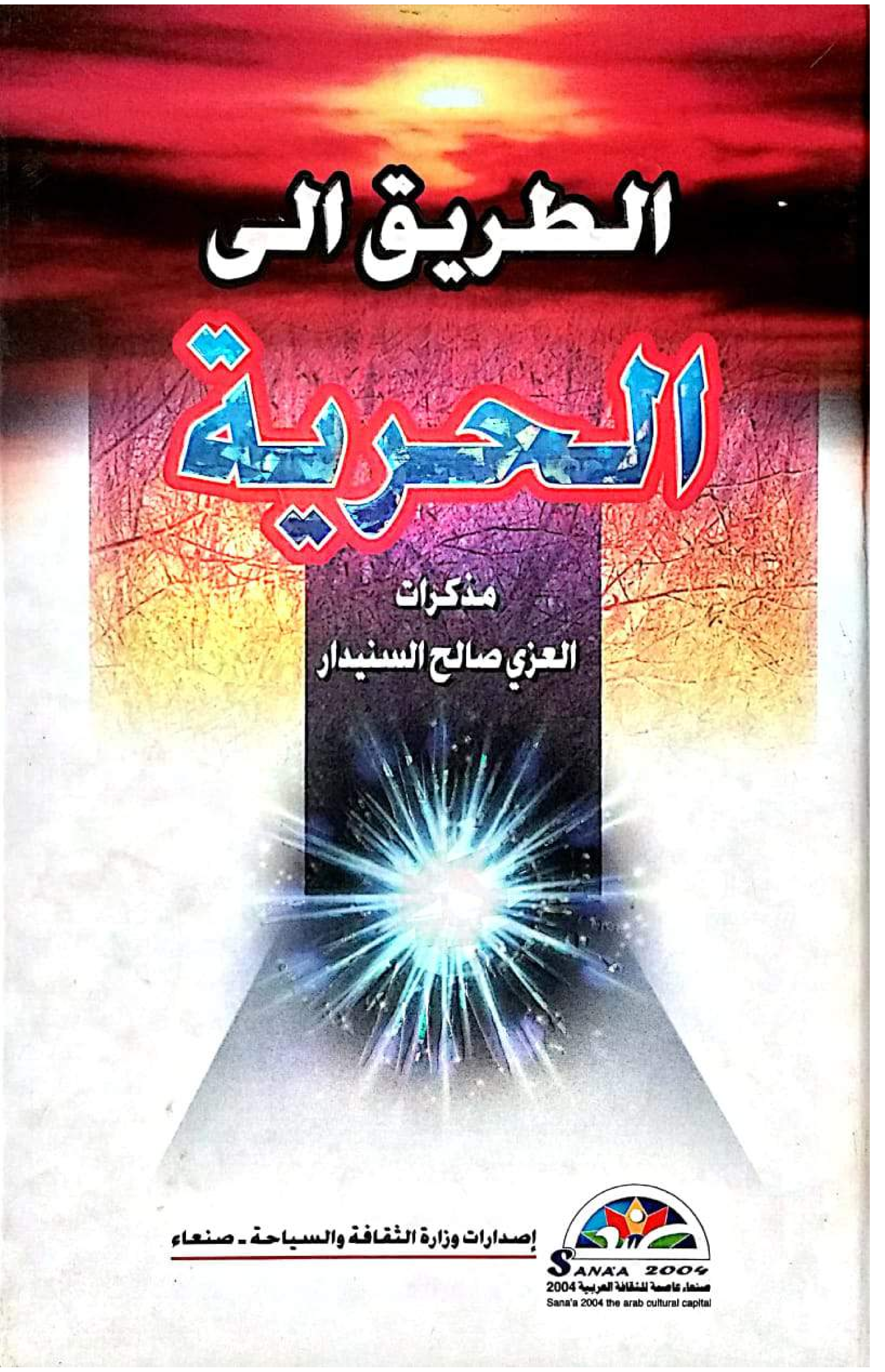

الطريق الى
الحرية
مذكرات
العزي صالح السنيدار
إصدارات وزارة الثقافة والسياحة - صنعاء
SANA'A 2004
صنعاء عاصمة للثقافة العربية 2004
Sana'a 2004 the arab cultural capital

الطريق إلى الحرية

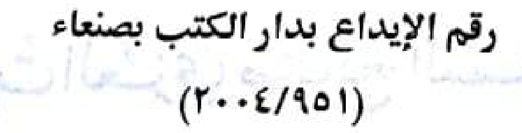
مذكرات العزي صالح السنيدار

أعد المذكرات للنشر :
الأستاذ علي بن عبد الله الواسعي

SANA'A 2004
صنعاء عاصمة الثقافة العربية 2004
Sana'a 2004 the arab cultural capital
إصدارات وزارة الثقافة والسياحة - صنعاء

١٤٢٥هـ - 2004م

رقم الإيداع بدار الكتب بصنعاء



(٢٠٠٤/٩٥١)

الناشر

الجمهورية اليمنية
وزارة الثقافة والسياحة
صنعاء - ص.ب. (36)-(237)
هاتف: 235114 - فاكس: 235113
بريد الكتروني: moc@y.net.ye

من بهاء صنعاء.. وتجليات عبقها.. في عام تتويجها عاصمة للثقافة العربية.. يأتي هذا الاحتفاء بمجد الكلمة.. وجلال أنوارها.

في بدء الوعي الإنساني كانت الكلمة..

وعلى رأس فعاليات هذا العام الاستثنائي تأتي هذه الإصدارات.. حدثاً يتوج صنعاء فضاءً شاسعاً للثقافة والتاريخ والجمال والخصوصية.

خالد عبد الله الرويشان
وزير الثقافة والسياحة



مدخل



بقلم الأستاذ :

علي بن عبد الله الواسعي

يرد أثناء المذكـرات الإيضـاح عن العزي السنيدار وكيف نشأ، ولكن لابد من كلمة هنا:

■ أولاً : عن الاسم : نحب أن نوضح لغير اليمنيين أن فقيدنا هو محمد بن صـالح السنيـدار وكـان يطلق عليـه (العـزي صـالح) ومن عـادة اليمنيين أن جعلوا لكل الأسماء ألقابا يطلقونها إما من باب التكريم أو من باب التـدليل فـعلي يطلقـون عليـه لقب (الجمـالي) وينادونه (ياجمالي) ومـحمد (العزي) وحسن وحسين (الشرفي) وقد يضيفون الى اللقب الذي يحل محل الاسم كلمـة (الدين) أو (الإسـلام) أو (الهـدى) فـيقـولون ياجمـال الدين أو ياجمـال الإسـلام أو ياجمـال الهـدى مما يدل على تغلغل الروح الدينيـة في اليـمنيين، ولعل القـارئ من غـيـر اليـمنيين لن يستغرب بعد الآن إذ يسمع اسم العزي صالح بينما سيجد في مكان آخر أنه محمد صالح.

■ ثانيـا : عن العـائلة : عـائلة السنيـدار من العـائلات الكريمة المحـترمـة وأغلبهم يحـترفون التـجارة في صنعـاء وهـم كغيـرهم من الأسر الصنعانية يتمذهبون بالمذهب الزيدي الذي ينسب الى الإمام زيد بن علي رحـمـهـم الله، ولكن المدقق في مـذهـب زيد يصـاب بالدهشة لأن من ينسبون أنفسهم اليه يختلفون عنه اختلافا كبيرا، وأذكر هنا نكتة قالها الشيخ أحمد سلامة رحمه الله لم أسمعها منه ولكن ممن سـمـعهـا منه، قـال: كنت في بداية عـمـري عندمـا بدأت

قراءة العلم في ذمار كنت قد فهمت أننا على مذهب الإمام زيد بن علي فقد كنت أسمع المشائخ يقولون: نحن زيود... قال: وأثناء دراستنا للفقه كانوا يذكرون مذهب الإمام زيد ثم يذكرون رأي المذهب فإذا هو مخالف لرأي الإمام زيد، قال: فسألت الشيخ قائلا: قلتم أننا زيود، فكيف جاء رأي المذهب هنا غير رأي الإمام زيد؟

قال : نحن زيود في الأصول أي في العقيدة أما في الفروع فنحن على مذهب الإمام الهادي.

قال الشيخ أحمد سلامة: وجاء يوم ونحن ندرس الفقه فلاحظت أن المذهب قد جاء مخالفا لكلام الإمام الهادي، وهنا سألت: قلتم أننا في الفروع على مذهب الإمام الهادي فكيف خالفناه هنا؟

فقال الشيخ : إن كنت تريد الدراسة فأهلا وسهلاً، وإن كنت تريد (النخداد)❖ فانصرف عنا، فقلت له: أنا لا أستطيع القراءة مغمض العينين.. لابد من (النخداد)!

فالعزي صالح قد كان من أهالي صنعاء المتشيعين والذين تعرضوا لغسيل مخ أو تلويث مخ على الأصح على مدى عدة قرون خلت حتى استقر في أذهانهم أن الإسلام هو ما لقنه السادة من أهل البيت وأنه لا يمكن أن نأخذ الإسلام من سواهم، وأن هؤلاء السادة مقدسون مكرمون بغض النظر عن صلاحهم وتقواهم، وأننا جميعا ما خلقنا إلا لخدمتهم وفي مصلحتهم، وكم أوجدوا من خرافات وكم حشوا في أذهان اليمنيين من ضلالات، حتى أصبح

❖ النخداد : كلمة صنعانية تعني محاولة استخراج شيء ما أو البحث عن شيء ما بالاصبع.

الإنسان اليمني يرى نفسه كالذبابة بجانب أحدهم وقد يكون في الحقيقة أفضل عند الله من هذا الذي يتعالى على عباد الله ولا يتورع عن إباحة دماء الناس وأموالهم وأعراضهم إن لم يكونوا آلة له تنفذ ما يهواه.

ولك أن تتصور كم ستكون دهشة العزي صالح حينما يسمع من يصف الإمام يحيى بالظلم ويعدد مثالبه، ولك أن تتصور دهشة أسرة العزي صالح من بيت السنيدار حينما عرف الحق وأصبح يعمل من اجله، وكم ستكون دهشة أهالي صنعاء من جيرانه ومعارفه، ثم كم ستكون دهشة الإمام يحيى حينما يرى رجلا قد ظهر من وسط صنعاء التي تنضح حجارة بيوتها بالتشيع أو كما قال الشهيد محمد محمود الزبيري مخاطبا الإمام يحيى:

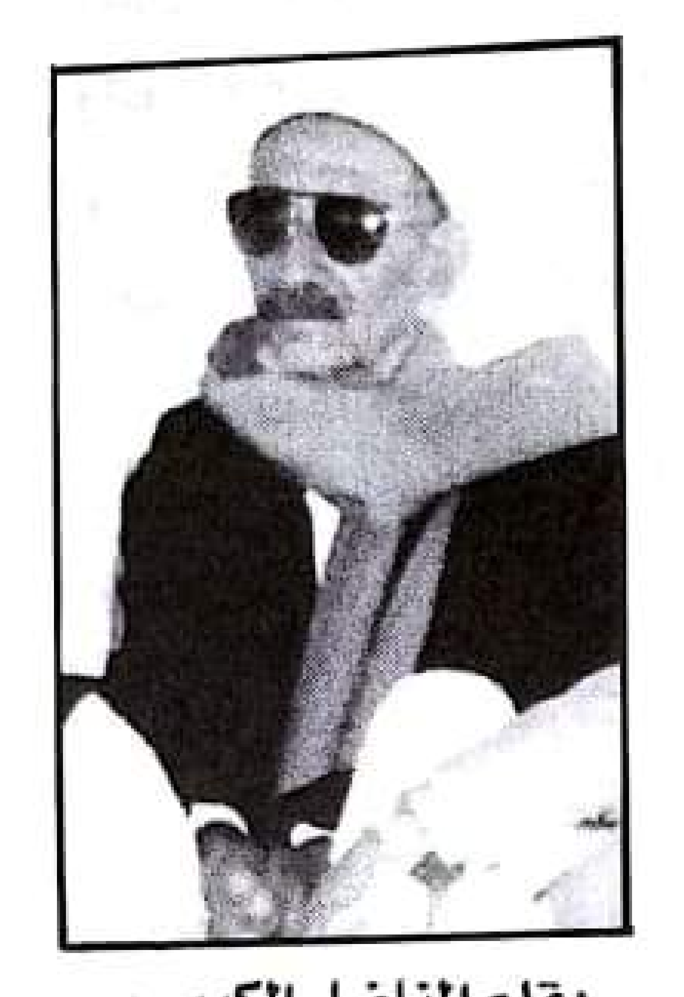
من أين يأتيك العدو وأنت في بلد تكاد صخورها تتشيع

كم ستكون دهشة الإمام يحيى حينما يرى رجلا قد ظهر من وسط صنعاء ومن سوق البز ومن عائلة ومحيط كله يرى في الإمام ظل الله في الأرض كم ستكون دهشته حينما يرى رجلا كهذا؟ يكشف للناس ما يختبئ وراء ذلك المظهر الخادع، ومن هنا سنعرف كم سيكون حقد الإمام عليه...

ولن نستبق الأحداث وسنترك الحديث لنفهمه من صاحب المذكرات...

بسم الله الرحمن الرحيم

نطيب للمحب الأجل العزي صالح السنيدار رسم في ثمانية وثلاثين ريالاً هذا الواجب تقبل الله منه وأسبل عليه سحايب الإفضال وصرف عنه الأوجال وبارك له في الحال والمال لتاريخه ٢٨ رمضان سنة ١٣٥٢



بقلم المناضل الكبير:
القاضي عبد السلام صبره

مقدمة

ساعدني الحظ أن أقرأ ما كتبه الأخ المناضل العزي صالح السنيدار رحمه الله وطيب ثراه.

وقد ألقيت نظرتي على ما احتوته هذه الكتابة وعلى ما استوعبته من سرد الأحداث الواقعة، والصحيحة، والتي عاش فصولها الأخ العزي وقد كنت سعيدا وفخورا بما توفق فيه وما توصل إليه حيث استطاع أن يكون صادقا مع نفسه، ومع أمانة التاريخ، وأمانة الواجب الوطني والديني وذلك ما جبل عليه طيلة حياته ولا أبالغ إذا قلت إن الأخ العزي صالح هو أحد البارزين من أقطاب الحركة الوطنية؛ أولئك المناضلين الأوفياء الذين هان عليهم أن يضحوا براحتهم وصحتهم، وبأموالهم وبحياتهم في سبيل الصدق والإخلاص لأمانة الواجب الديني والدنيوي.

للأمانة وإنصافا للتاريخ؛ المناضل الأخ العزي صالح السنيدار والذي كان في الماضي معروفا بالمتاجرة بالأقمشة وكان حسن السلوك في المتاجرة والمواظبة على أداء الصلاة في المسجد والحفاظ على الاعتبار أمام الآخرين وكان كغيره أيضا من التقليديين أو المقلدين في بعض الأشياء والتشيع بأشخاص ومع أشخاص بدون معرفة أو متابعة لنقل أو عقل وهكذا بقي فترة ثم تجاوزها إلى المتابعة والبحث والمعرفة وملازمة كتب السنة والسنين

أمثال العلامة عبدالله بن علي اليدومي والعلامة قاسم بن إبراهيم والعلامة زيد بن علي الديلمي والعلامة يحيى بن محمد الإرياني والعلامة يحيى بن علي الإرياني والعلامة عبدالرحمن الشامي والقاضي محمد الحجري والشيخ الفيلسوف الناقد حسن الدعيس وزعيم المناضلين أحمد المطاع والعلامة عبدالله العزب والشيخ المناضل عبدالوهاب نعمان والخادم الوجيه والحاج عبدالله سنين.

كما سبق في معرفته ومرافقته لكل هؤلاء جميعا أن التصق قبل ذلك بأول شخصية عرفها الناس في صنعاء الذي رفع صوت الحق الناقد للوضع الفاسد والمطالب بالإصلاح وهو المجاهد الحر الحاج محمد المحلوي وقد ظل المرحوم متمسكا بالأهداف السامية التي آمن بها وعمل مجاهدا في سبيل تحقيقها إلى ما نهاية.

ولا أبالغ إذا قلت أن الأخ العزي صالح قد كان مدفوعا إلى ما قدم وعمل بدافع الغيرة الدينية والوطنية وأنه ماكان يبتغي من وراء هذا العمل غير إرضاء خالقه العظيم وإنقاذ المظلومين والمحرومين من أبناء وطنه الذين ابتلوا بذلك الحكم الفردي الكهنوتي المستبد الذي كان يتحكم في شئون الناس بإرادته لابإرادتهم، وبهواه لا بشريعتهم وكان لا يستشير أحدا ولا يقبل النصح من أحد بل كان يمتهن الناصحين والمطالبين بالإصلاح ويقابلهم بتلك الردود العنيفة. التكفير تارة والتفسيق أخرى والسجون والتنكيل بهم هي الحالة الغالبة ولم يسلم منه أيضا كل من يرفع صوته مطالبا بالإصلاح ورفع الظلم والجورعن الناس والذي أصر إلا أن يأخذ من الشعب كل شيء ولم يقدم له في فترة حكمه الطويلة ما يذكر والذي أبى إلا أن يبقي على اليمنيين في حالة من الجهل والفقر والمرض لا يعرفون شيئا من حقوقهم الآدمية ولا يستطيعون أن يعطوا أبسط ما يمكن من واجباتهم الوطنية.

وكان رحمه الله يعيش متفاعلا ومتابعا كل أقطاب الحركة الوطنية في أب وتعز وعدن وغيرها ويعمل على معرفة ومتابعة كل الأنشطة الأدبية من مثل ما يكتبه المجاهدون محمد محمود الزبيري وأحمد محمد نعمان وعبد الرحمن الإرياني والشيخ مطيع دماج وآل أبو راس والشيخ العلامة المجاهد عبدالله علي الحكيمي ومثل القصائد الوطنية التي كان يقرضها آنذاك الأديب أحمد محمد الشامي، وكذا قصائد الأديب الشاعر أبراهيم أحمد الحضراني والشاعر عبدالله عبدالوهاب نعمان الذي كان له الدور النضالي المعروف والذي كان الأخ العزي يستقبل قصائده الوطنية ويوزعها على الشباب المتلهف الى الحياة الشريفة العالية.

كان العزي صالح رحمه الله يلقي القصائد والمقالات في مجالس مختلفة ويعمل على نشرها وتوزيعها في مختلف الأوساط وكانت أيدي الشباب الثائر تتلقف ما يأتي إليها من قصائد ومقالات فتنسخ منها ما تستطيع فيوزع وينشر ورحم الله الحر الشجاع أحمد المقعش والحاج حسن الكبوس والقاضي أحمد عبده السياغي فإنهم مع غيرهم لم يقصروا في جهد في سبيل هذا الهدف النبيل.

ولا ننسى الشيخ صالح المقالح الذي كان يتردد على منزل احمد المطاع ومنزل العزي صالح السنيدار طالبا منهما المنشورات ليقوم بتوزيعها على من يعرف من الأحرار، وهو أي الشيخ صالح- الذي استطاع ان يقنع أمير قصر السلاح الأمير اسماعيل بن الإمام يحيى بضرورة مطالبة والده بالإصلاح، ولما رفض الأب الاستجابة لدعوة الإصلاح وهدد ابنه ومن يرتبط به بالعقاب الشديد اضطر الشيخ صالح المقالح ان يقنع الأمير إسماعيل بإعلان التمرد على والده والانضمام الى الأحرار، وفعلا تم له ذلك وهرب مع الأمير مسافرين الى عدن ولكن أنصار الإمام قبضوا عليهما في الطريق،

فأودع الشيخ صالح السجن مدة اثني عشر عاما بينما اطلق سراح الأمير إسماعيل في أول ساعة.

وكانت للعزي صالح صلة محدودة بالقاضي عبدالله العمري رحمه الله الذي كان في أواخر أيامه يضيق ذرعا بسياسة الإمام يحيى القائمة على استمرار الاستبداد والاستئثار والاستعباد وكان القاضي العمري يتمنى الخلاص من هذه السياسة دون أن يظهر ذلك لأحد، وكان في أواخر أيامه كذلك لايجهل شيئا من تحركات الأحرار وكان راض عنها في قرارتفسه، وكان القاضي العمري هو المعتمد الأول والأخير لدى الإمام يحيى.

وجاءت ثورة سنة ٤٨م وكان العزي صالح عضوا عاملا فيها ومصارعا ضد إمامة يحيى وجبروته وقد تعرض الأخ العزي صالح للسجن والاضطهاد قبل قيامها وبعد فشلها أيضا تعرض لأشد أنواع التنكيل والهتك والتعذيب الرهيب.

وبعد سبع سنوات قضاها في سجن حجة شاءت الأقدار وحكمت الظروف وأرغم الإمام بإخراجه ومن بقي على قيد الحياة من زملائه الأحرار في ذلك السجن وكان وصوله إلى مدينة تعز لزيارة الإمام كسائر الزملاء لكن الإمام أحمد كان يردد دائما عندما يذكر اسم العزي صالح ويقول: «السنيدار لقن ولسانه طويلة ولا يسكت». ولما عرف العزي صالح أن الإمام غير راض عنه ويكن له الكراهية والحقد خاف من عودته إلى السجن ففر هاربا وناجيا بنفسه إلى عدن وبقي فيها متواصلا مع تجار صنعاء وغيرهم من الأحرار سرا وعلنا ويحترف مهنة الحياكة (خياط ثياب) ولم يترك النضال ولم يهدأ له بال.

واستمر يعمل للقضية الوطنية بنشر المنشورات بكل جهد طيلة بقائه في عدن حتى قامت ثورة ٢٦سبتمبر ١٩٦٢م الظافرة والتي

تنبأ بها وانتظرها ولباها في أول أيامها وانتقل إلى صنعاء يشارك الثوار بعقله وجسمه وبكل مشاعره في السراء والضراء وحاله معروف ومشهور عند كل المواطنين والوطنيين على السواء.

وهذا أقل ما عرفته وحفظته ذاكرتي المحدودة عن نضال السنيدار الطويل ولا ننسى من ناضل وضحى معه في سبيل الواجب الوطني من آل السنيدار من أمثال المناضل الشهيد الأخ علي محمد عبد الله السنيدار والأخ المناضل عبد الله حسن السنيدار والإخوة الثلاثة محمد ويحيى وحمود أولاد أحمد عبده السياغي.

كما لا ننسى أن الأخ العزي كان يجعل من أولئك العلماء أمثال العلامة زيد بن علي الديلمي رئيس محكمة الاستئناف في عهد الإمام يحيى والمحنك السياسي حسين بن علي عبدالقادر عامل صنعاء والفيلسوف الساخر محمد زيد المفرح كان يجعل من مثل هؤلاء أساتذة له فيما يسمع منهم من التحليل العلمي والعقلي لتلك الأوضاع الراهنة حينذاك وما وصلت إليه من المآسي المؤلمة والمحزنة التي عاشها الشعب الذي كان لا يملك من أمره شيئا ولا يعرف ما يحيط به والذي كان يعاني من الحرمان وحتى من أبسط حقوقه الآدمية.

نرجو من الله تعالى لفقيدنا الأخ العزي صالح السنيدار المغفرة والرحمة والرضوان وأن يجزيه سبحانه عن وطنه وعن أبناء وطنه افضل ما يجزي به عباده الصالحين.

كما نرجو من أبنائنا الذين ما عرفوا عهد الإمام يحيى حميد الدين وعهد ابنه الإمام أحمد أرجو أن لا يتركوا السؤال ولا يغفلوا البحث عن تلك العهود التي سبقت الثورة والتي فرضت على أبناء الشعب اليمني أن يعيشوا محرومين من كل حقوقهم الآدمية كما

ارجو أن يعرفوا أن التاريخ هو ذاكرة الشعوب وأن من يضيّع تاريخه فقد ضيع ذاكرته.

وقد قال الشاعر:

وإذا فاتك التفات إلى الما ضي فقد غاب عنك وجه التأسي

ويقول آخر:

مثل القوم نسوا تاريخهم كلقيط شذّ في الناس انتسابا

نرجو الله لأبنائنا من كل الأجيال المزيد من الإيمان بواجباتهم الدينية والدنيوية وما عليهم أداؤه نحو أمتهم ووطنهم والوفاء بها قولا وعملا وسلوكا وأسأل الله أن يبصرنا جميعا عيوبنا ويلهمنا رشدنا إنه سميع مجيب الدعاء

عبد السلام محمد صبرة

١٩٩٧/١١/٢٤م

تصدير



بقلم: القاضي
إسماعيل بن علي الأكوع

عانى الرواد الأوائل من أحرار اليمن ما عانوا من المشقات والسخرية وتسفيه آرائهم وأفكارهم، وذلك حينما أرادوا إقناع من توسموا فيه الإستجابة لهم من علماء وزعماء ومشايخ اليمن بتصديقهم بأن الإمام يحيى بن محمد بن حميد الدين قد تنكب عن جادة الصواب، وابتعد عن الالتزام بما عاهد الله عليه، ضارباً بمواثيقه التي ارتكزت عليها دعوته حينما بويع إماما من إقامة العدل، والحكم بمقتضى شرع الله، والسيرة بسيرة الأئمة العادلين عرضَ الحائط؛ ذلك لأن الذين كان الأحرارُ يحاولون اقناعهم ماكانوا ليصدقوا بأن الإمام يحيى الذي أحاط نفسه بهالة من القداسة، وأضفى عليها قدرا كبيرا من مظاهر التقوى والصلاح، هو نفسه مصدر محنة اليمن وبؤسها وشقائها، على الرغم من معرفة بعضهم بأن الإمام يحيى قد أدار ظهره لزملائه وأعوانه ومناصريه من أهل الحل والعقد الذين نصبوه إماماً، ووقفوا الى جواره في ساعة العسرة مؤيدين له بالنفس والنفيس، فجندوا له الرجال وقادوهم تحت رايته لكبح جماح منافسيه، وقتال معارضيه الطامعين في الحكم.

ثم تصدوا بعد ذلك لمحاربة القوات العثمانية المرابطة في اليمن، ومنازلتهم بالسلاح أينما وجدوهم، وذلك لخضد شوكتهم،

وإبادة خضرائهم قتلاً وأسراً حتى تصفو اليمن لحكمه وحده، فكان مكافأته لهم أن جفاهم وأقصاهم عنه بعد أن دخل صنعاء سنة ١٣٣٧هـ ١٩١٩م. واستقر بها بعد أن استبدل بهم آخرين ممن لا فضل لهم ولا يد عَلَيْةِ حتى يسخرهم لطاعته كما يريد فأطاعوه طاعة عمياء، وحققوا له رغباته الكامنة التي كان من المتعذر أن تتحقق له على يد الرعيل الأول من أعوانه الأقدمين. فانتشر الظلم والجور وعم الفساد على أيدي هذه البطانة. ولاسيما في تهامة واليمن الأسفل مما دفع بكثير من أهل هذه المناطق الى التشرد خارج حدود مملكة الإمام يحيى. بعد أن ضاقت بهم سبل الحياة الكريمة في ديارهم، وذلك لكسب ما يسدون به عوز وفاقة من خلفهم من النساء والأطفال والمسنين الذين لاحول لهم ولا طول ولسداد مايطلبه حكام الإمام منهم من زكوات وأجور العساكر والمحصلين لها.

ومع ما كان يعانيه الشعب من مظالم وطغيان فإن الاعتقاد السائد لدى عامة الناس وخاصتهم، إلا من رحم الله، أن ذلك الظلم هو من فعل حاشية الإمام وعماله وحكامه، وأن الإمام بريء من ذلك، لأنه لا يعلم بما يجري من رجال دولته ولو علم فإنه لا يرضى بالظلم. وأنه فوق النقد والتجريح، ذلك لأن شخصية الإمام كانت مصانة من التعرض لها بأي نوع من النقد تبعا للقاعدة الفقهية في المذهب الهادوي الزيدي : «فمن عادى الإمام فبقلبه مخطئ، وبلسانه فاسق، وبيده محارب».

ولكن شاء الله أن يزيل الغشاوة عن أعين الناس ليروا الأشياء على حقيقتها، وذلك بأن ولّى الإمام يحيى بعض أولاده البارزين المناصب الكبرى فجعل ابنه الأكبر ولي عهده أحمد (الإمام أحمد) حاكما على لواء (تعز) الى جانب ولاية لواء (حجة)، وجعل ابنه الحسن حاكما على لواء (إب) وابنه عبدالله حاكما على لواء

(الحديدة) فظن الناس بادئ بدء بهم خيراً وذلك ليزيلوا مظالم أسلافهم من الحكام فإذا بهم شر منهم، فتيقن الناس حينئذ ان الإمام وليس سواه هو مصدر محنة اليمن بعد أن أسفر الصبح لذي عينين، إذ الولد سر أبيه.

وكان الرعيل الأول من الأحرار قد استطاعوا عن طريق المنشورات السرية أن يكشفوا بعض مظالم الإمام يحيى وينددوا بفساد حكمه، فسارع الى اعتقالهم سنة ١٣٥٥هـ ١٩٣٦م، وأشاع في الناس أنهم يريدون اختصار القرآن العظيم بان يكتفى بسورة واحدة من سور (الحواميم) (حمٓ) وسورة واحدة من سور (الطواسيم) (طسم)، وسورة واحدة من سور (الم)، وذلك حتى لا يعرف الناس السر الحقيقي لاعتقالهم، ولهذا فقد انطلت هذه الحيلة الماكرة على كثير من الناس فصدقوها.

كانت هذه هي المرحلة المبكرة من حركة الأحرار التي يجهلها شباب الثورة السبتمبرية، وربما كهولهم؛ ذلك لأنه لم يكتب أحد عن هذه المرحلة كتابة أمينة صادقة وعن ظروفها ورجالها وأدوارهم، وكيف كانت اجتماعاتهم تتم؟ وكيف تطورت حركة الأحرار الى ان قضي على حكم الإمام يحيى بقتله يوم الثلاثاء ٧ ربيع الآخر سنة ١٣٦٧هـ ١٧ فبراير ١٩٤٨م، وقيام حكومة دستورية شوروية بزعامة الإمام الهادي عبدالله الوزير التي لم يكتب لها النجاح، وذلك لنجاة ولي العهد أحمد من شرك اغتياله في اليوم الذي قتل فيه والده كما كان مخططا له، فكان لنجاته الأثر الحاسم في الاجهاض على الثورة الدستورية بعد ثلاثة وعشرين يوما من قيامها. فاعتقل أعوانُ الإمام أحمد الأحرارَ في مدن اليمن وزج بهم في السجون وأمر بقتل بضع وثلاثين رجلا منهم.

وعلى الرغم مما قد كتب عن هذه الثورة من كتب وبحوث وندوات فإن جوانب مهمة مفقودة من أخبار الرعيل الأول، وان كان

القاضي عبدالله بن عبدالوهاب الشماحي قد تناول منها جانبا بالذكر في كتابه (اليمن الإنسان والحضارة)، بيد ان بعض القضايا تنقصها الدقة، كما أن بعض الحوادث التي ذكرها فيها شيء من الغلو والمبالغة لمعرفتي لبعضها، ولمجالستي المتكررة لأستاذنا الأديب الشاعر الحاج محمد بن صالح السنيدار المشهور بالعزي صالح السنيدار الذي لم أر مثله في سعة معارفه وقوة حججه؛ فهو جامع لأشتات الفنون الشعبية من طرائف ونكات وقصص وأمثال صنعانية، وقد حكى لي كثيرا من أخبار الرعيل الأول من الأحرار ودونت ما استطعت تدوينه وقد ذكرت في كتابي (هجر العلم ومعاقله في اليمن) كثيرا منها في ترجمتي للإمام يحيى، وفي ترجمة أحمد بن أحمد المطاع.

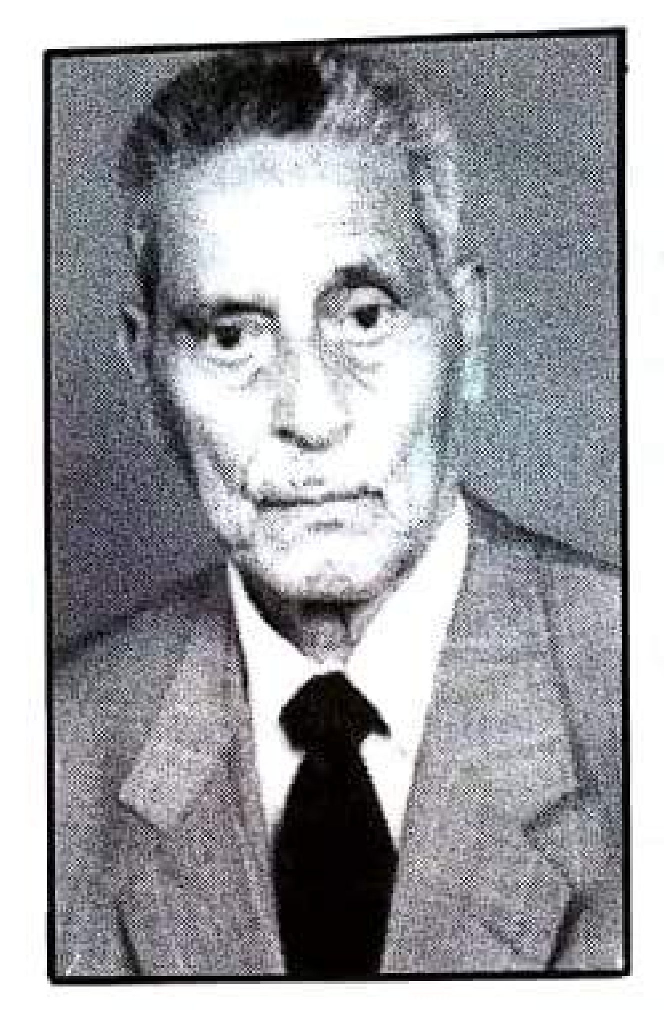
وكنت قد اقترحت عليه رحمه الله أن يسجل بصوته ما بقي في ذاكرته من أخبار المراحل الأولى للحركة الوطنية، ولاسيما من بدء المرحلة التي شارك في ظهورها وساهم فيها بالقول والعمل، فاستجاب لرغبتي، وسجل بصوته ماتمكن من تسجيله، وكتب بأسلوبه الخاص وبلهجته الصنعانية ما تيسر له ذلك معتذرا بأن المحن التي تعرض لها خلال سجنه الأخير وما لاقى حينما اعتقل من ضرب من غوغاء الناس وسفهائهم، ثم ما تعرض له داخل السجن من جلد وتعذيب وترويع وتهديد بالقتل على أيدي جلاوزة الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين قد أنسته أشياء كثيرة.

هذا وقد بقيت مذكراته لديه، ثم لدى أولاده ثم سلمت اليّ على أمل أنني سأقوم بإعادة صياغتها بالفصحى لإخراجها مطبوعة للناس فلم أتمكن من ذلك لانشغالي بتأليف كتابي (هجر العلم) فاستعادها الولد الأبر الأستاذ حمدي بن العزي صالح السنيدار (ابنه الأصغر) حفظه الله، فنشرها الأستاذ علي بن عبدالله الواسعي حلقات في جريدة (الصحوة).

واليوم، وهذه المذكرات على وشك الصدور مطبوعة في كتاب أصدرها بكلمتي التي كنت قد أعددتها حينما كانت هذه المذكرات لدي مع بعض التعديل والإضافات التي اقتضتها ظروف التأخير.

فرحم الله صاحب هذه المذكرات وآجره على ما لقي من محن في سبيل دينه وعقيدته ووطنه وإخلاصه أفضل ما جوزي به من احتسب عمله لله وحده، ورحم الله الرعيل الأول من الأحرار الذين عملوا بإخلاص ما عملوا لأداء ما يجب عليهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يبتغون من وراء ذلك جزاء ولا شكورا، ورحم الله شهداء اليمن الأبرار الذين أخلصوا النية في عملهم لله لا لدنيا يصيبونها.

وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.



بقلم الأستاذ :

أحمد حسين المروني

افتتاحية

لم يُكتب - بعد - عن الطلائع المستنيرة من أبناء اليمن❖ وبداية عصر التنوير، وما لاقت تلك الطلائع من معوقات ومقاومة من قبل الجامدين والمتخلفين وأتباع الإمامة المتسلطة التي قامت على الإرهاب والدجل.

وعندما يكتب المتابع لحركة الأحرار عن الذين نذروا أنفسهم لفضح الحكام الذين كانوا يتقاتلون فيما بينهم من أجل الاستيلاء على الحكم، لا لإسعاد الشعب وعمارة الوطن، ولكن لإقامة السجون، والتفنن في تقييد الشعب وتجهيله وإذلاله، علما بأنهم كانوا يدعون لأنفسهم باسم الدين، وإقامة الشريعة، وإنصاف المظلوم، وكبح جماح الظالم.

وهكذا سلك حكام اليمن منذ ظهورهم في أواخر القرن الثالث الهجري، وقد التزم العلماء بمداراة ذوي السلطة ومحاباتهم أحيانا، وعمدوا الى العمل بالحكمة القائلة (عليك بخاصة نفسك) والبعض منهم كانوا دعاة لمن يستولي على الحكم وكانوا يتقربون اليهم بكل ما يثبت طغيانهم، ويرسي دعائم ظلمهم.

وهكذا مرت على اليمن ظروف قاسية، وحكم مستبد لا يعمل من أجل نشر العلم، وفتح المدارس وبناء المستشفيات وتعبيد الطرق، واقرار العدل والأمن، ولكنه كان يحاول التفريق بين الأسر، وإشاعة

❖ لقد كتب د. عبدالعزيز المقالح عن الشهيد أحمد الحورش كتابا قيما، كما كتب وشاركه الأستاذ البردوني عن زيد الموشكي.

الخوف، وملاحقة المستنيرين، وجعل مقياس الولاء هو التعصب للإمامة الهادوية، وكأنها هي الدين والعقيدة، وكانت الإمامة شيئا مقدسا وكان الإمام لا يُسأل عما يفعل؛ فهو المشرع والحاكم والسياسي والمالك للإنسان والحيوان والبنيان، وقد يحكم على معارضيه بالقتل والنفي والسجن المؤبد بدون محاكمة ولا يسمح لمن يقع في قبضته بالدفاع عن نفسه.

وهكذا عاش الشعب اليمني في سجنه الكبير حيث تغلق أبواب المدن من بعد غروب الشمس الى شروقها، حتى كان لا يسمح بإسعاف مريض مهدد بالموت عندما يؤتى به من ضواحي العاصمة ليلا لأنه لا يجوز أن يفتح باب من أبواب صنعاء إلا بأمر من الإمام.

ومن هنا بدأ أنين المقهورين يتعالى بعد أن كان همسا، وصار ذوو الضمائر الحية والعقول المستنيرة يستنكرون هذه الحالة في سرية بحيث لا يتسرب الى الإمام ما يقولونه في مجالسهم الخاصة خشية البطش والقمع والسجن.

ولم يطل صمت المفكرين بعد أن طفح الكيل، واشتد الظلم، وكادت المجاعات تقضي على الشعب اليمني.

وجاءت الحرب العالمية الثانية، وتناقلت الإذاعات الأخبار، وكادت اليمن تحاصر من البر والبحر فانقطعت الواردات من السلع الضرورية كالقاز (الكيروسين) والكبريت والسكر والأدوية وغيرها. وانتشرت الأمراض وأخطرها التيفوس والتيفوئيد وأنواع الحميات، ولم يكن هنالك أية مستشفيات أو مصحات، ومات كثير من الناس بل ان (قرى) تحولت مقابر، وكانت معونات طبية تصل الى صنعاء، ولكنها لاتوزع على الناس، بل كانت تخزن حتى ينتهي مفعولها، وقد يعالج بها الإمام وذووه والأقربون.

وكانت اليمن قد شهدت حملات اعتقال واسعة شملت الكثير من المستنيرين وسيقوا على سجون حجة والأهنوم والسنارة، ومات

بعضهم في السجون.

وكان صاحب هذا الكتاب (العزي صالح السنيدار) ممن تعرض للسجن والتشرد بعد ان انضم الى المعارضة التي تكونت من آل المطاع وآل السياغي وآل الشماحي ومشايخ من إب وتعز والمقاطرة، وكانوا يساقون الى السجون مشيا على الأقدام ويطاف بهم على المدن للإرهاب والتخويف وتحذير من يفكر في نقد الإمام ومعارضة حكمه الجائر.

ولم يسلم من البطش الإمامي حتى العلماء والفقهاء أمثال الفقيه المحدث ثابت بهران والقارئ المصلح أحمد عبدالرحمن محبوب والعالم الأديب المفكر القاضي عبدالرحمن الإرياني والأستاذ أحمد عبدالرحمن المعلمي وآل نعمان وفيلسوف الأحرار الشيخ حسن الدعيس.

وتراكمت الأحداث المؤلمة، وضاقت النفوس مما حل باليمنيين من الظلم والقمع والقهر، وتجمعت أسباب الثورة وانفجر البركان الملتهب، وكانت ثورة ١٩٤٨م التي كانت تعبيرا عن غضب الأحرار والمفكرين من مشايخ وضباط وأدباء، وكادت اليمن تشهد عصرا دستوريا يضمن للشعب كرامته، ويحقق للأحرار حكما شورويا جماعيا، ولكن القبائل الجاهلة والتي كانت في قبضة الكهانة والخرافة المتعطشة للنهب والسطو استجابت للإمام الذي أباح لها نهب المدن والقضاء على تلك الثورة المباركة التي عاشت ثلاثة وعشرين يوما يمكن تسميتها بالأيام البيض، والتي قدمت أعظم رجالها، وأصدق شباب اليمن، قربانا على مذبح الكهانة والضلالة، وسقطت أكرم رؤس الوطن بسيف الجلاد الإمام أحمد وسيق المئات من المفكرين والمشايخ والضباط والعلماء الى ساحات الإعدام وبعضهم الى السجون المظلمة..

وعادت أناشيد النصر الى تعابير العزاء، وظن الظالمون بأنهم ضمنوا لأنفسهم البقاء في الحكم الى مالانهاية، ولكن خاب ظنهم: فقد تزايد عدد الأحرار، وتفهم الغافلون ماكان يهدف اليه الثوار وقد قرأوا الدستور والميثاق المقدس، وتساءل الناس: لماذا سقطت تلك الرؤس

الكريمة؟ وتحمل االأحرار عذاب السجون والجلد والتشرد، واستيقظ الغافلون، وتوالت الحركات الثورية والانتفاضات الشعبية حتى جاءت ثورة ١٩٦٢م وكانت الخاتمة.

وإن في سيرة المناضل الحر العزي صالح السنيدار قصة الأحرار والمفكرين، وشهادة لأولئك الذين حاولوا تحطيم أغلال الجمود، وهدم السجن الفكري والنفسي، وانقاذ الشعب اليمني من حكم الطغاة والجبارين، وفتح النوافذ على آفاق المعرفة.

كما أن في هذه السيرة إشارة الى أن صاحبها كان من غلاة المحبين لآل البيت متعصبا للإمام يحيى لأنه من آل رسول الله ﷺ، وكان عندما يأتيه الهاجس حول ما يشاهد من ظلم وقهر وإذلال يصدر عن الإمام وأعوانه يفزع الى الاستغفار ويلوم نفسه على هذه الخواطر التي تمس عقيدته، وظل هكذا حتى تجلت له الحقيقة، وانكشف له دجل الإمام وأعوانه، وتيقن من أن الرواد الذين كان يجالسهم ويتهمهم بالمروق من الدين أمثال الحاج محمد المحلوي، والحاج عبدالله عصده، والحاج السكري، وغيرهم من الرواد المستنيرين، كانوا الضوء الأول الذي تسلل الى فكره والصوت الملهم الذي أيقظ ضميره، ووجهه الى الطريق السوي، ومن هنا نذر نفسه وماله وجهاده للعمل مع الأحرار لكي يخلصوا اليمن وشعبها من ذلك الكابوس الرهيب، والظلم الجائم على صدور الناس، ونزع الكمائم السود التي كانت على الأفواه والأفكار.

وتعرض رحمه الله لأشد أنواع الابتلاء من سجن وترويع وتشريد، ولقد عشت معه في السجن طيلة سبع سنوات نقاسي ونعاني من الإرهاب والتخويف وانتظار الموت على يد ذلك الطاغية الدموي، كما التقيت بالعزي صالح السنيدار في عدن المحتلة سنة ١٩٥٩م حيث سبقني إلى عدن فراراً من بطش الإمام ومن ملاحقة أعوانه للأحرار والمفكرين. وكان فراري الى تلك المنطقة المحتلة خوف الوقوع في قبضة ذلك الوحش. وقضيت مع العزي صالح السنيدار ثلاثة أعوام كنا نلتقي في دار أهل صنعاء وهو يمارس

الخياطة ليكسب قوت يومه، وأراه ضاحك الوجه، متفائل الروح، متيقنا بأن النصر للأحرار مهما طال الزمن، ولم تتغير طباعه عما كان عليه قبل الثورة وبعدها وبعد الخروج من السجن والهروب الى عدن، فهو ذلك المتفائل المتيقن بأن (جولة الباطل ساعة وجولة الحق الى قيام الساعة) وكان يسلي نفسه ومن حوله بأجمل القصص، وأعذب الألحان، وترديد أحلى القصائد المتفائلة، وكانت قصيدة الشاعر عبدالرحمن الآنسي في وصف حالة الطائر المحبوس في القفص قريبة الى نفسه ويرددها بلحنها الشجي في أكثر الأوقات وفيها تسلية وتفاؤل لمن يقع في محنة السجن أو محنة الحكم الجائر، وهذه بعض أبياتها:

ليت شعري من أكثر ترقاب الفرص
فيك يا طير واحتال واحتاش
وتردد عليك كل يوم حتى اقتنص
شاردك والحذر من قدر لاش
وربط ساق رجلك وقصر بالمقص
من جناحك طويلات الارياش
وتجرأ على ظلم حبسك في القفص
بعدما كنت مطلق في الاحراش
هم رموا صفو عيشك بأكدار الغصص
هم أعلّوا فؤادك بالاعطاش
هم وهم جرعوه بالفراق مرّ النغص
عجبي كيف الى اليوم زاد عاش؟
كلما ظن أنه من الورطة خلص
جا وهي مثلما لعبة اكباش
كم يقلب من الفكر وجهه في السما
ان سمع في الهوا خفق الاجناح

ويطرب غناه ان رأى خضرة وما

ويصفق جناحه وبالتاج

ذاك يوم كان على غصن ان غنى رقص

تحت رجله وان نوشه ناش

❖❖❖

طير عند الله افراج وعند الله سعه

من مضايق على أبوابها اقفال

فتحها الصبر فاصبر فراس المنفعه

فيه وكم لك من الخلق أمثال

ما جرى لك جرى له وقد تحصل معه

حال ما قد خطر لك على بال

فرحم الله صاحب الترجمة العزي صالح السنيدار ورحم من سبقه من الأحرار الذين عملوا لوجه الحق ومنهم من قُتل صبرا ومنهم من قضى نحبه ومابدلوا تبديلاً.

أحمد حسين المروني

صنعاء في ١١ من شهر ربيع الأول سنة ١٤١٦ هـ

الموافق ٧ اغسطس ١٩٩٥م



صاحب المذكرات

في مراحل مختلفة

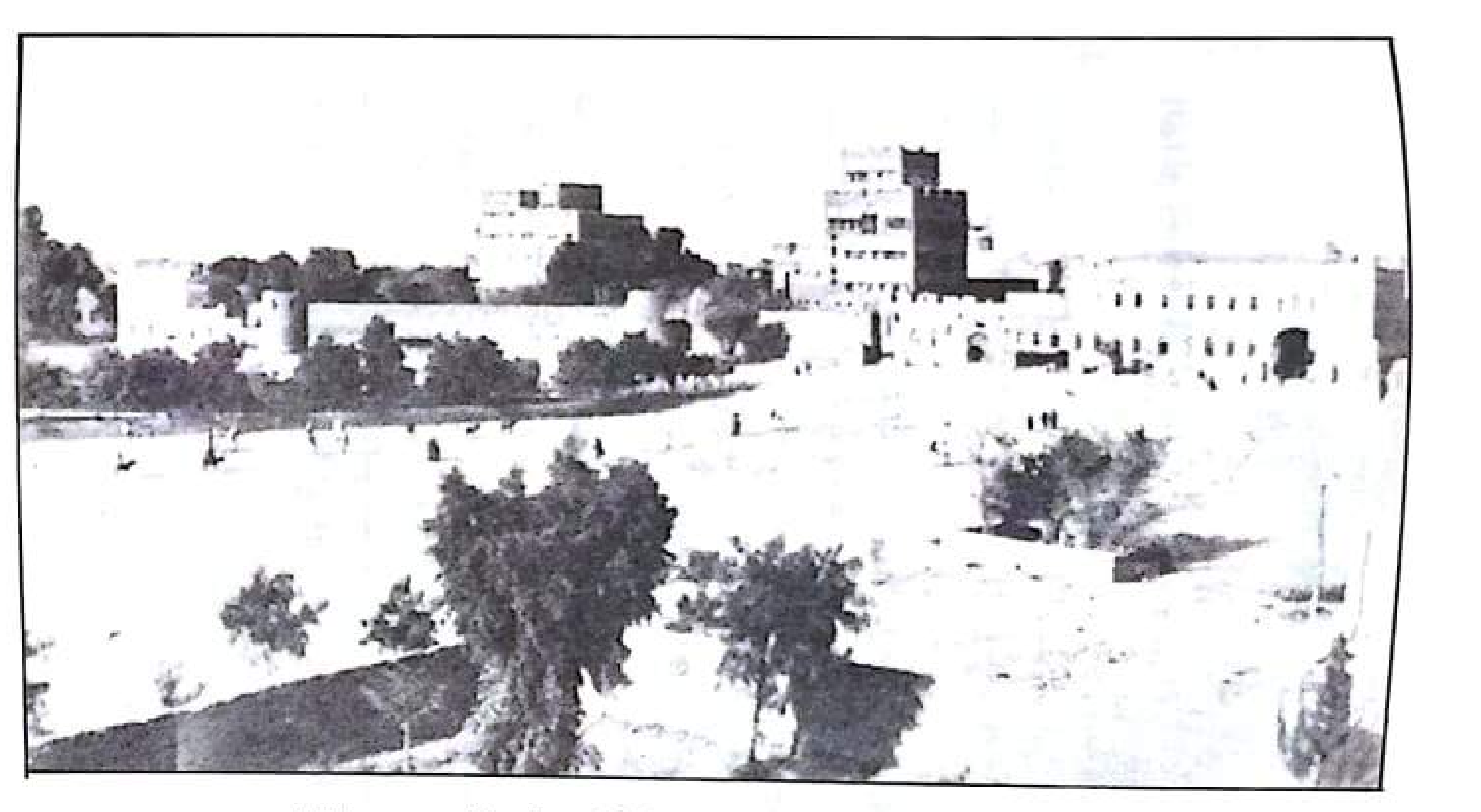
من حياته..

الدافع لكتابة المذكرات

بدأ ذلك بقوله: الحمد لله الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكـر أو أراد شكورا، والصـلاة والسـلام على من أُنزل عليـه القـرآن تبـياناً لكل شيء سيـدنا محـمـد وآله الطاهرين وأصحـابه الراشدين.

وبعد: فإني بعد أن طعنت في السن واشتعل الرأس شيباً وكان يجـري بيني وبين أولادي الحـديث عـما عـرفت وشـاهدت وسـمـعت وماجرى عليّ من حوادث وعسر ويسر، اقترحوا علي بأن أسجلها لتكون ذكرى وعبرة فاعتذرت لهم بأني غير قادر على الكتابة باللغة الفصحى وأنني عاجز عن تنميق الكلام، فلم يقبلوا هذا العذر، بل ألحوا وقالوا: سجل ياوالدنا ولو باللهجة الدارجة وعسى أن تكون مقبولة لأنه سيفهمها كل الناس المتعلم والعامي خصوصا إذا حليت بالقصص الفكاهية والسياسية.

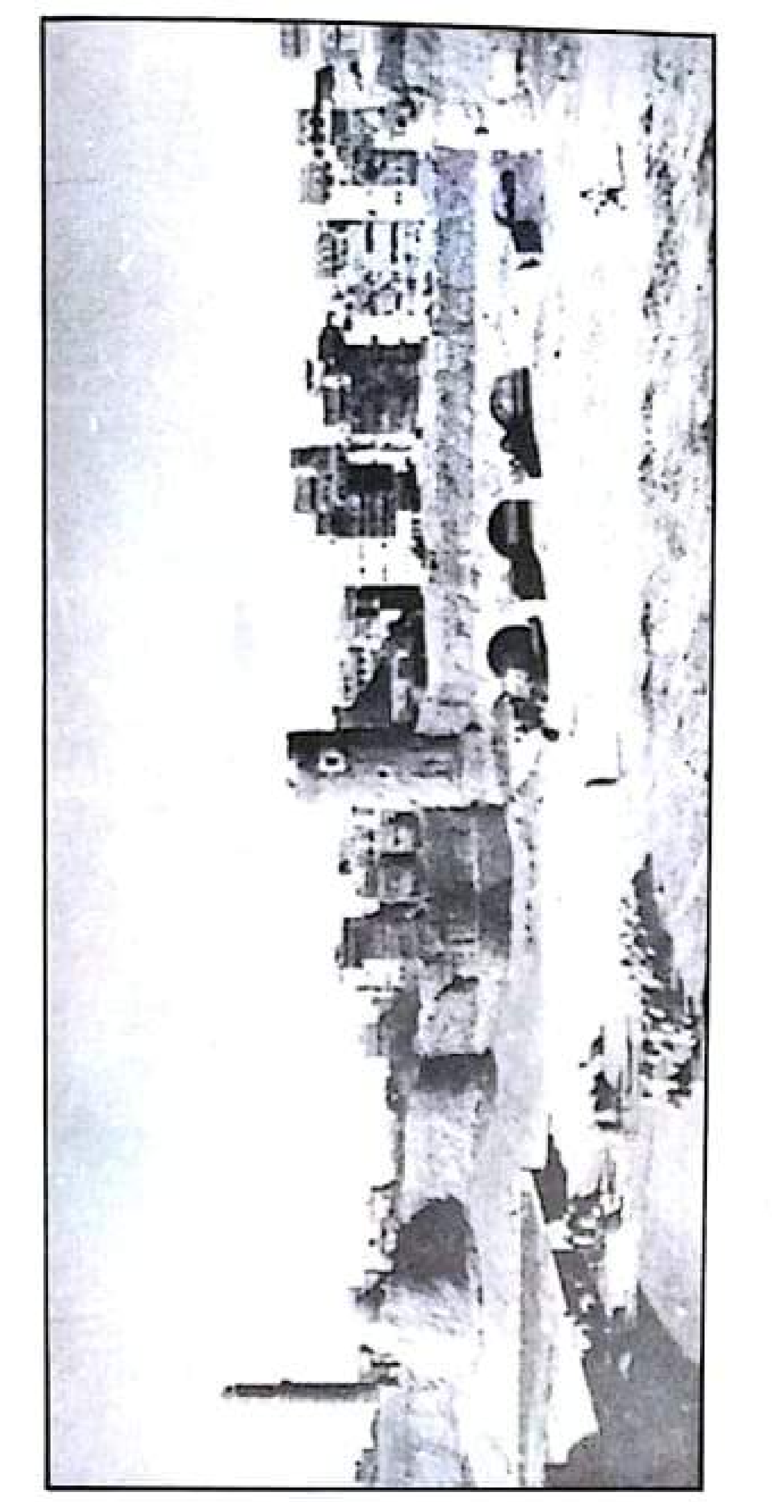
فقلت: سـمـعا وطاعـة أرجـو من الله القـبـول والعـون، واقـتـرح أحدهم بأن أسميها (حياتي وتطورها) فتوكلت على الله... وسأبدأ بنبـذة عن حـيـاتي الى ان بلغت من عـمـري ثلاثين عـامـا، ثم أتناول حياتي الجديدة التي خرجت بها الى طور جديد.. وبالله التوفيق.



هكذا كانت صنعاء! (ميدان التحرير حاليا)



منظر عام لمدينة صنعاء قبل الثورة



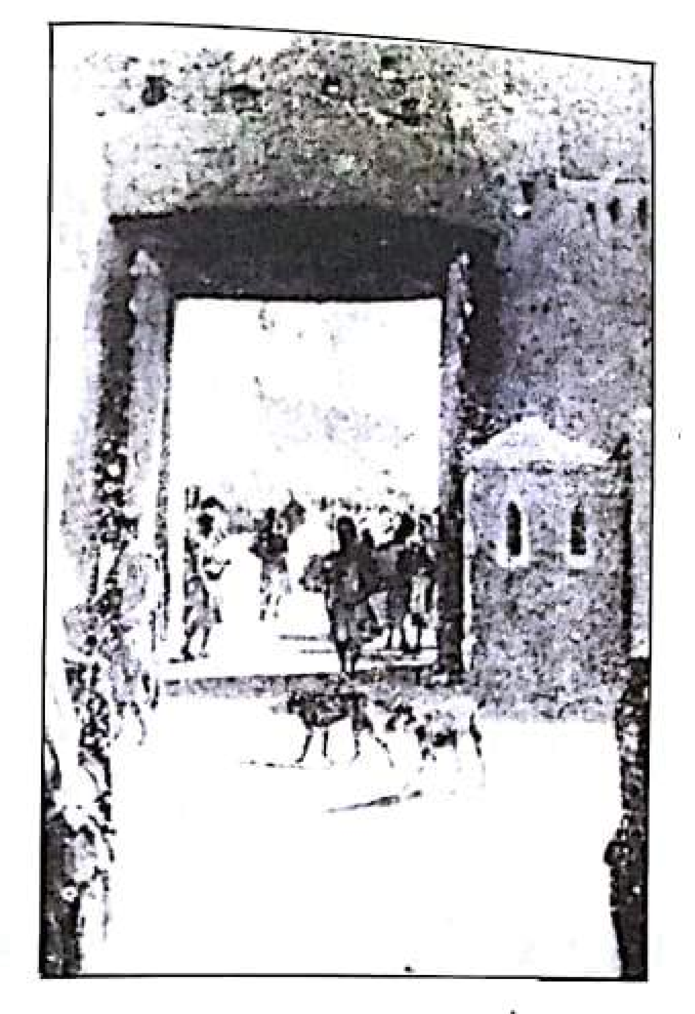
خنادق السيل القديمة (شارع الزبيري حالياً)



العزي صالح السنيدار

بسم

هذا هو الأخ المناضل العزي صالح السنيدار
قد رأينا أن يمنح لقب أبي الأحرار ويعين
بمنصب وزير دولة تقديراً لجهاده ونضاله
الطويل في سبيل القضية الوطنية كما هو
معروف للجميع [illegible] / [illegible] / ٩/٤/١٩٦[illegible]
المشير
رئيس الجمهورية



باب الشقاديف أحد أبواب صنعاء القديمة.. ويعرف الآن بشارع القيادة

كيف نشأ العزي صالح؟

يقول رحمه الله:

كانت ولادتي في شهر رجب سنة ١٣١٩ هـ وقد توفي والدي رحمه الله سنة ١٣٢٣هـ وكفلتني والدتي الى سنة ١٣٣٠هـ إذ توفيت رحمها الله.

وقرأت القرآن والحساب والديانة لدى الخوجة محمد عمر، ثم انتقلت الى الإعدادية وكانت المدرسة أو المكتب كما كان يسمى كانت في الصنايع التي هي الآن المتحف الحربي، وكان التعليم باللغة التركية، ثم انتقلت الى ماكان يسمى مكتب العسكرية وكان في حارة

(خُضير) وبإجبار الوصي الحاج عبدالله السنيدار انتقلت الى الدراسة في الجامع الكبير وحرمت الفائدة لأن الوصي المذكور كان من المتشيعين، وهم يعادون التعليم الخارجي، وأجبرني على حفظ متن الأزهار غيبا وتجويد القرآن، ولكني شغفت بحفظ القرآن ولم انجح إلا فيه... (ويبدي العزي صالح أسفه من حرمانه من هذا التعليم الحديث فيقول):

ولولا ما لاقيته من اليتم وتعصب أولياء أمري وجمودهم لكنت سأستمر في الدراسة في المكاتب العثمانية، وعندما كنت على وشك الاستفادة أخرجني أولياء أمري من المكتب للدراسة في الجامع، وأفنيت بعض عمري في قراءة متن الأزهار، ومع الأسف لم يكن هناك مشرف ولا اهتمام مع ميل الصغير الى اللعب، إضافة الى استخدامي في بعض منافعهم، وبهذا ذهبت أيامي سدى ولم استفد شيئا غير حفظ القرآن، أما مادرسته في تلك المدارس فقد نسيته ولم يبق إلا بعض معانيه، وهكذا حال اليتيم في الأمة الجامدة المتعصبة.

وانتقلت عند الرجل الكريم الذي كان يضرب به المثل في الكرم والغيرة والرحمة وهو الحاج محمد صالح السنيدار رحمه الله وكان ذلك بجهود أخي صالح بن صالح الذي كان موظفا مع الأتراك وعين مبعوثا الى اسطانبول ضمن وفد أرسل الى هناك. وكان الدافع لأخي لكي يسعى في انتقالي الى عند الحاج محمد صالح وتخليصي من قبضة الوصي ما عرفه من ان الوصي كان يحسب كل ما ينفقه علي ليأخذه من مالي الذي ورثته، وبعد بلوغي سن الرشد انتقلت عند أخي عبدالله صالح وجرى بيننا ما يجري للناس في الأمة الجاهلة.

مرحلة جديدة

وبعد أعوام تزوجت وكان ذلك في سنة ١٣٣٨هـ وكان عمري حينها تسعة عشر عاما، وبعد عامين سافرت حاجا الى بيت الله الحرام أي سنة ١٣٤٠هـ في أيام الشريف حسين، ولم نتمكن من الزيارة لشدة الخوف.

ولما عدت من الحج كان لي صديق اسمه محمد العطاب وقد أراد أن ينصحني حيث كان السوق كاسدا في تلك الأيام عقب الحرب العالمية الأولى وقد نفدت مدخراتي المالية كغيري من الناس فأشار عليّ محمد العطاب بأن احترف الخياطة، فقلت له: كيف أخيط وماذا سيقول بنو عمي من آل السنيدار؟ ولكنه دفعني بكلمة مؤثرة ومازلت أذكرها إذ قال بعد أن أبديت له رفضي للخياطة خوفا من تعيير آل السنيدار لي قال: وماذا ستصنع؟ قلت: أبيع مالي وآكل من ثمنه.

فقال : وبعد أن تبيع المال ماذا ستصنع؟ قلت: أخيط أو أوقّر❖ فقال: خيط من الآن وافرض أنك قد بعت المال واستبقه لتبقى

❖ قبل أن يعرف الناس الطواحين كان في كل بيت رحى، وبكثرة استعمالها تصبح ملساء فيوقرونها أي يضربونها بأزميل لتعود خشنة كما كانت، ويسمى من يعمل ذلك (موقّر) وهي مهنة وضيعة لايحترفها إلا من سدت أمامه أبواب الرزق، فيقول العزي صالح: (أوقّر) تدل على تضجر بمعنى أنه إذا لم يجد ما يعمله فسيوقر. وهنا أحب أن أذكر أن الشعب اليمني في العهود الماضية قسمه حكامه الى طبقات بحسب المهنة وبحسب العرق... وصنفت المهن الى مهن وضيعة جدا ثم تتدرج صعدا الى أعلى. وقد ربطت المهنة بعدها بالعرق فيقال مثلا عن فلان من الناس: قليل أصل هو جزار ابن جزار، أو قليل أصل هو مزين ابن مزين، وهكذا حتى إذا تقدم أحد أبناء هذه الطبقات للزواج من طبقات أرفع منه درجة في التقسيم الدخيل على العرب والإسلام... لايقبلوا مصاهرته بحجة وضاعة أصله!

وجيها، فعملت بكلامه وتعلمت الخياطة، وهنا ثارت ثائرة آل السنيدار إذ كيف يخرج هذا عن تقاليد الأسرة؟ إن الخياطة حرفة لا تليق بمثلنا، لكني لم اكترث لجلبتهم ومضيت في طريقي وقد حاول المذكور ان ينصحني نصيحة أخرى فقال: عندي لك رأي، قلت: ماذا؟ قال: لو تداوم في الجامع وتتخذ لك دروسا في النحو وشرح الأزهار وحديثاً من كتب أهل البيت، وان تكون أحسن من بيت السنيدار الأغنياء؟ وقد استحسنت الرأي فعكفت على الدراسة مدة سنتين دراسة وخياطة وبيعاً وشراءً.

ذكرت أني حججت ولكن لم يتيسر لي زيارة الرسول ﷺ وكانت أمنية تلح عليّ، فعاودت مكة أربعة مواسم بعد الموسم الأول وكان الموسم الأخير هو السبب في تغيير مجرى حياتي وانتقلت به من طور الى طور جديد كما سيأتي.

في الموسم الأخير وهو الخامس وكان ذلك في سنة ١٣٤٨هـ وهي السنة التي احترقت فيها الباخرة الفرنسية بالحجاج، وبعد الانتهاء من الحج توجهت الى جدة ووصلناها يوم حريق تلك الباخرة فزرنا الحجاج وكان معي خمسون جنيها ذهبيا أعطيتها قرضا لبعض الحجاج الذين نجوا من الحريق والغرق، وفي آخر نهار ذلك اليوم توجهت وبعض الإخوان الى المدينة المنورة؛ وكان من جملة الحجاج رجل كبير السن لم أعرف اسمه وكنت ألاحظ أنه يحدق بنظراته الي فأدينا الزيارة، وذات يوم وصل الي هذا الرجل وهو مضطرب الفكر وجلس بين يدي وجعل يشكو لي ما يلاقيه من بعض رفاقه وقال: ياولدي بصفتك معاود (**يسمي أهل اليمن من يحج عدة مرات معاوداً أي انه يعود للحج مرة بعد أخرى**) وقد دققت حالك ومعاملتك مع رفقائك، فأسفت لعدم معرفتي بك من قبل الآن لم يبق معي سوى جنيهين ذهباً وبعض فلوس، وإذا بقيت معهم فلن تكفيني وحتى لو احتجت فلا أعرف من يساعدني، فهل أتمكن من مرافقتك.. الله يكفيك مهمات الدارين جنبني مؤونة الدّين والاحتياج.

وعرفت ان اسمه الحاج حسين العليبي، فقلت له : حبا وكرامة وستجدني مثل ولدك، أنا مستعد ولكن لي شرط، فقال ماهو؟ قلت: أنا معاود ولا اتحمل أجور المركوب الباهظة لأن المعاود يتجلد، فأجاب: أنا تابع لك ولن تجد مني أي خلاف، فقلت: ولا اقبل أي نقد أو عتاب إلا إذا رايتني أفضل نفسي عليك لأننا سنتعب. فقال: موافق.

وعزمنا على السفر الى جدة على سيارات مغفّرة❖ ووصلنا جدة وقت عزم الباخرة التي ستقل الحجاج الباقين ممن غرقت بهم الباخرة، فدفعنا (نول) من حبتّي ذهب عثماني، وسافرنا ووصلنا الحديدة فإذا رفيقي يكرر الدعاء لي وشكرني كثيرا لأنه لم يصرف إلا قليلا، واستطاع شراء هدايا لأسرته، ويسر الله الأمور ولم يلق أي عناء.

فلما وصلنا صنعاء كان من عادتي الا أستقبل المهنئين❖❖ بالعودة من السفر في بيتي -كما هي عادة أكثر الحجاج- لأن في ذلك تعبا وغرامة فخرجت للمقيل عند الحاج محمد عبدالله

❖ اي لم تدخل البلاد بطريقة رسمية بحيث تدفع رسوما وجمارك ونحوها ويقصد هنا بالسيارات التي لم تدفع الرسوم المفروضة على سيارات الأجرة وهي لهذا السبب تأخذ من ركابها أقل مما يأخذه أصحاب السيارات التي تدفع الرسوم.

❖❖ جرت العادة ان الذي يعود من الحج يأتي اليه جيرانه وأصدقاؤه للمقيل وقد يكون للغداء والمقيل، والمقيل كما هو معروف في اليمن ان يجتمع جماعة من الجيران أو الأصدقاء بعد صلاة الظهر أو العصر ويجلسون الى المغرب يتناولون خلال ذلك القات والماء البارد الذي قد يكون ممزوجا بالبخور، وتتخلل ذلك مناقشات وأحاديث شتى. وأصل اشتقاق المقيل من القيلولة وهي الراحة بعد زوال الشمس تجنبا للحر الشديد.

السنيدار، وبينما نحن في المقيل إذ وجه محمد المحلوي رحمه الله سؤالا الى محمد عبدالله السنيدار قائلا: بالله ياحاج محمد أين هو ابن السنيدار المعاود الى مكة؟ فقال: ماذا تريد منه؟ قال: أريد أن أعرفه. فقال محمد عبدالله: ولماذا؟ قال: وصل عمي والد زوجتي من الحج وسألناه عن رحلته فأثنى على ابن السنيدار كثيرا وكيف نفعه وأحسن معاملته، ولم يزل يكرر الثناء عليه حتى اشتقت لمعرفته.

فقال محمد عبد الله: هاهو ذا أمامك... فما كان من المحلوي إلا أن قام يسلم عليّ ويقبلني في رأسي، وكنت نافرا من المحلوي هذا لما نسمع من الشائعات ضده إذ يقولون انه ناصبي ويبغض أهل البيت ويبغض الإمام وناس يكفرونه وآخرون يلعنونه.

من هو المحلوي؟

اسمه محمد عبد الله المحلوي، وينسبون الى حرفتهم وهي صناعة الحلوى، وعندما بلغ السابعة أدخله والده المعلامة -أي المدرسة- وهي ما يعرف بالكتّاب وهذه المعلامة هي المدرسة التي كان يتعلم بها الأطفال وهي في ذلك الزمان لاتدرس غير القرآن الكريم، إذ يدرس الطالب أولا ما كان يسمى بالبياض أي ألف باء ويظل يتعلم الحروف أشهرا، وبعد ذلك يدرس أبجد، وهي جزء من تعلم الحروف، ثم بعد ذلك جزء عم، ويخرجون منه وهم لم يعرفوا بعد كيف يميزون الحروف، وربما قرأ الطالب بعد جزء عم جزء تبارك ولكنه لم يستطع معرفة الحروف جيدا بل يقرأ الجزءين غيبا، وقد يصل الطالب الى سورة يس ولم يتوصل الى قراءة الحروف جيدا إلا بعد ضرب العصا أحيانا بالفلكة أو ما يسمى بالفلقة في بعض البلدان، وبها كانت الدراسة تصعب على الأولاد وهي أعظم ما يلاقيه الطالب في عمره من نصَب وعناء.

هذا هو حال الطالب والمعلم أما المعلامة أو المدرسة فكانت عبارة عن مكان مظلم لاتوجد فيه نافذة وإذا وجدت فواحدة فقط

محمد المحلوي

وليس فيها فراش ولا سبورة ولا مقاعد بل يقعدون على التراب والمعلم على دكة بين يديه جملة عصي والسوط والفلكة، والأولاد يكتبون دروسهم على الألواح الخشبية، والمداد عبارة عن حجارة بيضاء لينة يبلونها في الماء ويستعملونها كمداد أبيض على اللوح الذي صبغ بمادة سوداء، وهكذا لا يكمل الأولاد القرآن إلا وقد قاسوا أنواع العذاب.

ولم يتطور التعليم إلا بعد دخول الأتراك وفتحهم للمدارس وكانوا يسمونها (المكتب) وهي تعد بالأصابع وقد شنت ضدها

الدعايات، ولم يدخل أهالي صنعاء أولادهم الى هذه المدارس إلا بعد حين، وقد جعل الأتراك المدرسين من أهالي صنعاء، أما المدارس العالية والعسكرية ففيها مدرسون أتراك.

ونعود لمحمد المحلوي إذ دخل المعلامة ولم يمكث فيها إلا قليلا فتركها ودخل أحد المكاتب وبعد مدة قصيرة عقد امتحان وعندما وصل الموجه الى المدرسة توسم في المحلوي الذكاء وأعجب بكلامه فأعطاه جائزة وهي عبارة عن مصحف طباعة اسطنبول ففرح بها ولما وصل البيت والمصحف بيده ضربه والده وأعمامه وربطوه؛ كيف يدرس في مكتب الأتراك ويقرأ في مصحف تركي مطبوع؟ وهددوه، ولكنه صمم على الدراسة بالمكتب حتى يئسوا منه، ولم يتركوه حتى يتم دراسته فما ان ختم القرآن حتى اخرجوه للعمل معهم، ولكنه كان مولعا بمطالعة الصحف والكتب التركية وغيرها، وكان والده وأعمامه إذا رأوا بيده كتابا أو جريدة يضربونه بعصى من اليراع، وبقي معهم حتى بلغ مبلغ الرجال مستمرا على سجيته وهوايته.

وتعرف على زملائه من الأتراك وأبنائهم وكان ذكيا يحفظ ما يسمع وكان يتردد على دكان الحلاق علي عبدالله الكوكباني والذي كان بعض الأتراك تعجبهم حلاقته، وكان الحلاق هذا يحب المذاكرة وخاصة في السياسة لأن دكانه كان مجمعا للأحرار من الأتراك ولأن المحلوي كان يقضي أكثر أوقاته عند هذا الحلاق فقد تعرف على أشخاص كثيرين وأعظم من تولع بهم وأولعوا به البك باشا مدير البرق والبريد وحسين أفندي المرنقص وحسن أفندي وأصحابهم من الأحرار وغيرهم.

وكان مجلس مدير البرق والبريد مشهودا وكان هو الذي يرأس المجلس أو يدير الجلسة، وكان يدور الحديث في كل فن وإذا خلا لهم الجو فإن الحديث يدور بينهم حول حكم عبدالحميد والدولة وسيرها، والظلم والفوضى والمحسوبيات وسوء التصرف.

ومما قاله مدير البرق والبريد هذا في بعض الجلسات: «أنا لا ألوم الشعب اليمني لقتاله للأتراك، بل ألوم بيت حميد الدين ولكن

ليس بنفس الدرجة التي ألوم بها الحكومة العثمانية»...

فسئل: لماذا؟ فأجاب : لأن الحكومة العثمانية لم تعرف أخلاق وعادات الشعب اليمني، ولا قامت بالإصلاح وبث الوعي، بل بعكس ذلك كله ظلم وتعسف وفسق وبيع مخدرات علناً، ونظرت الى الشعب اليمني بعين الاحتقار فكانت بتصرفاتها تلك عونا لبيت حميدالدين.

قال محمد المحلوي: وتأييدا لكلامكم لو ان الحكومة العثمانية منذ وصولها اليمن سنة ١٢٨٨هـ قد فتحت المدارس وظهرت بمظهر صحيح، ولو عرف الولاة طباع الشعب اليمني وبثوا بينهم الوعي لما خرج المنصور من صنعاء إلا وقد عُرف ووعوا ولكن أجلّ الولاة اغتروا...

قال المدير: ومولانا السلطان ومن حوله لا يريدون إلا هذا وقد ترك الأتراك المخلصين للحكومة واتخذ بطانة من العرب وهاهو ذا ابن أبي الهدا يُحسّن له كل افعاله، وإذا بقيت الحالة بهذه الصفة فإن الأتراك سيخرجون من اليمن، وسيملك بيت حميدالدين اليمن وسيلقى منهم الشعب أشد مما لاقى من الأتراك،واليمن باقي بعقيدته وقتاله وجهاده، ليس من باب الوطنية، بل للدين الذي يتذرع به بيت حميدالدين، وهكذا الولاة بالشام والعراق وغيرها، فخسارة الحكومة ستكون كبيرة.

وكانت للمحلوي صلة برجال من أحرار الأتراك مثل بهابيك وسري وزملائهما، ولكنهم كانوا منحرفين في عقيدتهم بل معطلين، وكان المحلوي لا يحضر مجالسهم بسبب نفوره من انحرافهم، وأذكر هنا قصة تدل على عقلية المحلوي؛ وصل اليه بعض أصحابه من الأتراك وهو مرتبك، وقال: ياعزي جرت لي مشكلة مع الرفاق المنحرفين وهي أنهم يستهزئون بالدين والقرآن ومما سمعته من كلامهم: أخذوا المصحف بين أيديهم وجعلوا يتضاحكون ويتراجعون في قوله تعالى: ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين

سبيلا﴾فقالوا: إذا كان ما في هذا الكتاب صحيحا فاين مصر؟ كيف استعمرها الانجليز؟ وكذلك الهند والعراق وفلسطين والأردن وسوريا ولبنان وتونس وغيرها مستعمرات فرنسية وطرابلس وغيرها مستعمرات إيطالية فماذا نقول؟

واستمروا يتحادثون على هذا النحو وهم يضحكون، قال المحلوي: هون عليك واسترح، وليس هناك مشكلة إذا عرفنا القرآن... وفتح المصحف وقال: ماذا يقول الله تعالى؟ ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين﴾.. أو على المسلمين؟

قال: على المؤمنين، قال تمام فهيا بنا نعرف صفات المؤمنين وما حقيقة الإيمان وما جاء به القرآن، أمر القرآن بالعمل، فهل عمل المسلمون؟ الإسلام دين الرحمة، دين العدل، دين الاخاء، دين أمر بالشورى، دين حرية، دين المساواة، دين أمر بالجهاد والانفاق، واخذ يعدد له محاسن الإسلام وما جاء به القرآن وسيرة النبي ﷺ وأصحابه الذين عملوا به حتى فتحوا الأندلس ووصلوا الى فرنسا والى الهند بدون واسطة، بل بقوة الإيمان والعقيدة، فهل المسلمون وملوكهم يسيرون على هذا المنوال أو العكس؟

فقال : بالعكس، قال إذاً ليسوا مؤمنين بكل ما جاء به القرآن... والغرب يعمل، وأصبح المسلمون مئات الملايين مسلمين جغرافيين وملوكاً مستبدين، فكيف سينتصرون؟

فقال : فرجت عني، وفي اليوم الثاني رد عليهم فأحجموا وعرفوا أن الكلام كلام المحلوي..

واليكم قصة أخرى:

حضر بعض أصحاب المحلوي من الأتراك فجلس الجماعة والمصحف بين أيديهم وقد فتحوا قصة قارون وعلقوا على قول المفسرين بأن الله خسف بقارون وأنه ينزل في طبقات الأرض كل يوم كذا وكذا ذراع، وجعلوا يحسبون من أيام قارون الى يومهم كم

قد اخترق وحسبوا حجم الأرض وقرروا ان لو صح لكان قد اخترق كل طبقات الأرض من جانب الى جانب يقابله فوصل ذلك الرجل الى المحلوي وقص عليه الخبر، فأخذ المحلوي المصحف وقال: قال الله تعالى: ﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾ أما التفصيل بالصورة التي ذكرها المفسرون فإنما ذلك مما دخل على التفسير من الإسرائيليات فارتاح واقتنع.

وقال له المحلوي : القرآن مضبوط وإنما المسلمون هم الذين ضيعوه، وكما قال جمال الدين الأفغاني: لم يزل القرآن بكرا والأولون خدموه بما استطاعوا ولكن بعض الاسرائيليين والزنادقة ادخلوا في الدين ماليس فيه.

وذات يوم جاء الى المحلوي أحد الملحدين ودار الحديث بينهما، كان يتهجم ويسخر والمحلوي يجيبه ويستدرجه وكل ذلك والملحد يرد كل شيء الى الطبيعة ولم يقتنع بأي برهان، وأخيرا سأله المحلوي: هل هذه الطبيعة التي نسبت اليها كل شيء تعقل أو لا تعقل؟

فقال: لا تعقل، فضحك المحلوي وقال: إذاً ليس لك إدراك. هذا النظام العلوي والسفلي صنع من لا يعقل؟ وهذا الإنسان، مثلي ومثلك بهذا الخلق والحواس... وظل يشرح خلق الإنسان... فسكت الرجل ثم قال: إن الطبيعة تعقل، فقال المحلوي: تُدبر وإنها قوة وراء قوة البشر؟

قال : نعم. قال اتفقنا فنحن نعتقد ان كل مصنوع لابد له من صانع، قادر مدبر فنحن نقول: الله، وأنت تقول الطبيعة، فاختلفنا في الاسم فقط فاقتنع ذلك الشخص.

نعود الى نشأة المحلوي تزوج وأنجب خمسة أولاد، ثلاثة ذكور وهم عبدالله الذي لايزال حيا وغاشا في الحبشة وعلي توفي، والصغير محمد توفي أيضا قبل أعوام، وبنتين لازالتا على قيد الحياة.

كان الناس ينزوون من المحلوي ولكنه ثابت على مبدئه وفكرته، وكان يعيش من صنعته التي كان وحيدا فيها، وكان يعيش في بيت ضيق مع بني أعمامه، وكانت حالته المعيشية ضيقة لكنه تغلب على ذلك بالقناعة والصبر والعمل وكانت مهمته الكبرى وغايته القصوى ان يبث فكرته بحيث أنه لو خير بين ألف ريال وبين كسب شخص يقبل فكرته لاختار الشخص.

إمامكم يبيعكم بلاش !

ذكرت أنه كان أعز أصدقاء المحلوي حسن أفندي المرنقص وكان مدير (الرجبية) وهي امتياز التنباك بجميع أنواعه، وذات يوم وصل الى المحلوي وقال: أريد أن تأتيني غدا الصباح الباكر الى محل الرجبية لنزن لك كمية من التنباك فقد وصلني خبر بأن سعره سيرتفع وسنحاسبك بالسعر السابق لتحصل لك قيمة مسكن، ونزل فاشترى كمية كبيرة وربح فيها ما يقرب من ألف ريال، واشترى بيتا بسبعمائة ريال



الإمام يحيى

وقد استمر على حاله صابرا على طعنهم فيه، الى أن وقع الائتلاف وهو الصلح بين الإمام يحيى والأتراك، فازدادت الدعاية ضده ورمي بكل جارحة، فمن قائل إنه مكرمي أي باطني ومن قائل انه طبيعي أي أنه يكفر بالله ويؤمن

بالطبيعة. حتى أن بعض الأمراء تلقى وشاية به من بعض الحاقدين عليه وتتضمن هذه الوشاية بأن في حوزته كتبا ضد الإسلام وضد أهل البيت فأمر ذلك الأمير بتفتيش منزله ولم يجدوا إلا كتابا في الطب لكلوت بك. ولم يعثروا على كتاب التحفة الاثناعشرية لمؤلفه السيد محمود الآلوسي، ولو ظفروا بهذا الكتاب لحبس وعذب لأنه مؤلف ضد الشيعة حمل فيه الآلوسي حملة شعواء على الشيعة. وكان مع المحلوي أناس على مشربه يستأنس بهم مثل عبدالله سنين وغيره وسيأتي ذكرهم إن شاء الله.

وهنا أذكر قصة كان الحاج علي عبدالله الكوكباني الحلاق وكانت دكانه مجمعا للأحرار من الأتراك عسكريين ومدنيين يجتمعون عنده بحجة الحلاقة، وصل عصمت أينونو الى الكوكباني ليحلق له وذلك بعد عودته من دعان حيث كان الصلح بينهم وبين الإمام يحيى وقد رافق عصمت أينونو عصمت باشا وكان عصمت الأخير برتبة فريق وكان سكرتير الجلسات التي تم فيها الصلح، فشرع الكوكباني يذاكره بقوله: (ناورنا بك) يعني هل من جديد وهل من خبر؟ فأجاب: «إمامكم يبيعكم بلاش، فسأله: كيف ياحضرة الفريق؟ فقال: لما وصلنا الى الإمام وجدناه رجلا سياسيا وذكيا ومتظاهرا بالدين والشريعة، السبحة بيده وشفتاه تتحركان، وقد وصلني خبر ان بعض الموظفين مع الحكومة من العرب والأتراك يكاتبون الإمام ومن جملة ما نقل اليه ما خلاصته: ان اشترط على عزت باشا والوفد، الشروط التي تريدها فالحكومة قد فوضت الباشا بقبول كل الشروط التي ستملى عليه، كما أوحوا الى الإمام بأن الحكومة العثمانية في طريقها الى الانهيار!

وأظن ان الكاتب هو رجب بك قال: فعند وصولنا استضافنا الإمام فرأيناه رجلا غير ما كنا نتصوره، وعند أول جلسة قدم لنا شروطا قاسية تعجيزية لا يقبلها من له عقل، فخرجنا من عنده مندهشين وأخذنا الصورة معنا. فقال الباشا: مارأيك؟ فقلت: نحن

بين أمرين: إما وان الرجل صاحب مبدأ ثابت عليه وباطنه كظاهره، فلابد لنا من أن نقبلوأما ان كان الرجل متظاهرا وهو مادي فلا تنزعج... فقال: وكيف نعرف حقيقته؟ فقلت ارسل الى صنعاء ليرسلوا بالأثاث والطنافس والديكور ونفرش بها المكان وندعوه ضيفا فإن وصل وحلق ببصره واندهش عرفناه، وان لم يلتفت فهو الرجل.

فلما وصل ما ذكر وفرشنا المكان عزمنا الإمام فخرج لصلاة الظهر وتوجه الينا وعند وصوله باب المكان حلق ببصره ودهش فلما استقر في المكان المعد له قال: ما شاء الله لمن هذا؟ فقال عصمت أينونو: هذه هدية من مولانا السلطان أرسلها مع سعادة الباشا تكريما لمولانا أمير المؤمنين. فاستراح وكأنه ملك الدنيا.

وبعد الظهر أعيدت الجلسة وقد كنت عدلت المعاهدة كما نريد وسلمت له كيسي ذهب مختومين وقلت: وهذه من السلطان تفضلوا بقبولها.. وبعد قليل قدمت له الصورة المعدلة فمر ببصره ووقع عليها وختمها وشكرنا وكان كما قلت لك يبيعكم بيلاش».

نعود الى علاقتي بمحمد المحلوي وسنترك بقية جهوده وكيف قضى حياته حتى مات إذ سنشير الى ذلك فيما بعد، قلت: انه شكرني على ماقدمته لعمه أثناء عودتنا من الحج وكان هذا أول صلتي به وان كنت قد أبديت نفورا منه في البداية لما سمعت عنه من دعايات وقد مضى على ذلك سنة أو أكثر، ولم اكن اجتمع به إلا في المقيل يوم الجمعة والسبت، وكان هذا المقيل يعقد في بيت الحاج عبدالله السنيدار بحضور اولاده وأحفاده عبدالله محمد وأحمد بن أحمد والحاج علي محمد الشهيد رحمه الله، إضافة الى المحلوي والحاج عبدالله عصدة والحاج إسماعيل السكري والقاضي محمد اليدومي.

وكانت المناقشة تدور حول التاريخ ورجال السنة وخواص الأشياء وعن البلدان والقارات، وكنا نتجنب الخوض في الأمور السياسية لأن «الإنسان عدو ما جهل» كما يقول المثل، وكان المحلوي إذا تكلم في السياسة قابلوه بالسخرية والضحك، وهو لا يتأثر بل يسايرهم

في الضحك إلا انه كان يدرك ان حديثه رغم سخريتهم منه يؤثر في بعضهم.

وبقينا هكذا طوال شهر ذي الحجة سنة ١٣٥٠هـ وهو يسمع في التقديس للإمام والغلو في حبه وحب أهل البيت ولا يتأثر لأنه كان حكيما وصبورا في مناقشته. وعقب عيد الأضحى من ذلك العام وقع حادث محمد ابن الإمام يحيى الذي كان يلقب بالبدر ذلك الحادث الذي غرق فيه في بحر الحديدة فتأثرنا وحزنا عليه وعلى والده كثيرا حتى تمانع أهل المقيل من الحديث عن الحادث لما كان يسبب لنا من حزن وألم وكنت أنظر الى المحلوي وهو يبتسم غير مبال ولكنه يسايرنا في الحديث فصادف يوم الغدير حيث كان يقام احتفال كل سنة يوم ١٨ ذي الحجة يذكر فيه الإمام علي وكيف أشاد النبي ﷺ في هذا اليوم بالإمام علي وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه.. الخ.

وقد خرجت أنا والمحلوي من باب اليمن المسمى في الجمهورية باب الحرية خرجنا في جولة وصادف ان الإمام يحيى كان عائدا من الحفل المذكور وما ان رأيته حتى غرغرت عيناي بالدموع من شدة محبتي له فصادف ان اتفقنا بالطبيب القدير لطف حمزة فسلم على المحلوي وبقي يتكلم مع المحلوي بإشارات ورموز فلما فارقنا لطف حمزة والموكب أخذ المحلوي بيدي وتوجهنا طريق جبل نقم لنكمل جولتنا وقد صدمني المحلوي ثلاث صدمات:

الصدمة الأولى :

بدء الخروج من الحياة الأولى

بعد ان عرف المحلوي قبولي لأفكاره رغم ما امتلأتُ به من المعتقدات والخرافات وبعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي كان يسمعها في المقيل مني ومن غيري، وكان المحلوي كما قلت

حكيما في أحاديثه لا يهاجم... فأول صدمة كانت قوله: انت تأملت في سيدنا لطف حمزة وثيابه التي لبسها اليوم أحسن من ثيابه التي يلبسها يوم العيد، أتدري لماذا؟ قلت: لا. فقال لأنه يبغض بيت حميدالدين وإذا حدثت لهم مصيبة يفرح. فقلت له: وما مذهبه ومامراده؟ فقال: إنه يعتقد ان الإمام وأولاده ظلمة وانهم وبال على اليمن. فقلت يظهر انه ناصبي يبغض أهل البيت.. فضحك وحول مجرى الحديث، وبقي يشرح لي عن العلماء الحقيقيين مثل الشوكاني والأمير والمقبلي وغيرهم من علماء السنة، ويملي علي من مؤلفاتهم واعتراضهم على الأئمة من بيت القاسم...

وافترقنا وفكري مضطرب، لم ادر علامَ أحمله؟ ولكني كتمت أمري. وفي اليوم التالي وصل الي المحلوي بعد ان انجز عمله وأخذ بيدي نحو جبل نقم واستمر يذكر لي عن العلماء من أهل السنة وفتح لي الحديث عن الإمام محمد عبده، وبقينا متلازمين أربعة أيام حتى ملأ فكري، وماكنت أحكي لأحد ماجرى بيني وبينه إلا على جاري بالدكان وهو عبدالله بن أحمد حسن الثور وكان يقبل مني الحديث.

الصدمة الثانية

وفي اليوم الخامس تلقيت منه الصدمة الثانية إذ حدثني عن الرجال الأذكياء والفرق بينهم وبين المغفلين والجامدين، فقال: إذا أردت ان تعرف الرجل العارف الذكي فيمكن ان تعرفه بمسألة واحدة. فقلت: وماهي؟ قال: إن قال لك ان النبي ﷺ أوصى بالخلافة لعلي فهو مغفل متعصب، وان قال ان النبي ﷺ ترك الأمر للمسلمين وان الأمر شورى فهو الذكي الذي يفهم الأمور بحقائقها، فأحسست ان الأرض تدور بي، فلما نظر الي وأنا حائر مبهوت قال: لا تتأثر وعليك ان تطالع بعض كتب التاريخ والتفسير، فرجعت الى نفسي والى ماقد قرأته وطالعت وسمعت؛ قرأت

في شـرح الأزهار ومـا لـلإمـامـة من مكانة، وكـذلك قـرأت الـثـلاثين المسـألة ونهج البـلاغة ومقـاتل الطالبين وغـيـرها، وتذكـرت بعض المشايخ الذين كانوا يفسـرون لنا بعض الآيات والأحاديث على غـيـر حقـيقـتهـا والى مـا قـد علق بذهـني من القـصص والكرامـات التي للأئمة والشيعة وأشيـاء لا يقبلها العقل، بل قبلتها بالتقديس ولا تسأل عما كان يجري علي من أحوال مهولة واضطراب.

فكرت حتى سهرت منامي فأول ما طالعته هو تاريخ ابن الأمير ثم فتح القدير للشوكاني والروض النضير للسياغي فعدلت فكري، ومن هنا رأى مني الاقبال والقبول لحديثه والاصغاء الى كلامه وكل ما حدثني به أحدث به عبدالله الثور.

الصدمة الثالثة

فـتح لي الكلام عن سـيـرة النبي ﷺ وعلي بن أبي طالب كـرم الله وجهه، وقال: انشدك الله هل أعمال الإمام يحيى مثل الإمام علي؟

فقلت : لا. وبعد حديث طويل قال إذا أردت الحقيقة فالإمام هو عدو الشعب وسيفقره ويهلكه فصدمني بهذا صدمة كبيرة، فلم يمهلني الى اليوم الثاني -كما كان يصنع معي عادة- بل وصل الى بعد الظهر وقال: سأقيل عندك، فجلست معه ومعنا علي هاجر فأشبع فكري وسلمت له بكل ما قاله، فما خرج من عندي إلا وهو مسرور ومستريح كأنه فتح بلدا.

وفي اليـوم الـثـاني اسـتـعـار كـتـابا اسـمـه (خـواطر في الإسـلام) لعبدالعزيز جاويش فقرأته وخرجت مرتاح الضمير ولكن كما يقال: للواصل وصلتـه، ولكل جـديد لذة، وبعـد ان انكشـفت لي الحـقـائق ظننت انني سـأهدي الناس وأصلحـهم وقـد كنت اتكلم بصـراحـة. فقال: على مهلك تورع واصبر حتى أركب لك ميزان الفكر ومتى ركب ستعرف الحالة، ولا يقدر أحد يضلك وتعرف كيف تكون الدعاية.

وبقي يسـرد لي مـالاقـاه الأمـيـر والمقـبلي وغـيـرهم من الرجـال المصلحين في سبيل الخير، وقال: إنك ستواجه سبا وشتما حتى من أقاربك، وظل يسرد لي الآيات والأحاديث والقصص التي تشير الى ما لقيه المصلحون من المتاعب في سبيل الإصلاح.

لقد عـرف المحلوي بإدراكه وذكائه ولباقته انه مـازال لدي بقيـة من رواسب القـديم، وبما انه غـيـر هاشـمي فـقـد أفـسـر ذلك بأنه ناصبي فأخبر الشهيد أحمد بن أحمد المطاع وقال له: لقد وجدت ضالة ستفيدنا. وقص عليه ماجرى بيني وبينه واقترح عليه بأن يجتمع بي ويؤيد لي كل ما ألقى الي من أفكار ويؤكدها، وقد نفذ الشـهـيـد المطاع الفكرة فـجـاء الى بيت عـبـدالله السنيـدار للمـقـيل وتعمد ان يجلس بجانبي ساردا لي مساوئ أعمال الإمام والأئمة من آل القاسم وعن علماء السوء المداهنين. وقد استغرق ذلك كل وقت المقيل، ولأن الكلام سيتردد كثيرا عن الشهيد المطاع فيحسن أن نعطي صورة موجزة عن حياته.

الشهيد أحمد بن أحمد المطاع

تربى في حجـر والده مع إخـوته ودخل المكتب وقـرأ القـرآن الى سورة الأنعام، ولذكائه فقد أكمل القرآن بنفسه وبدون أستاذ، وشرع في تعلم الخط والحساب وكان من صغره مولعا بالمطالعة وكان والده شـديد البـغض لآل حمـيدالدين، ومن المفكرين ولهذا السبب فإن أولاده لم يدرسوا كتب الشيعة لأن والدهم كان من أهل السنة.

فلمـا بلغ أحـمـد الخـامـسـة عـشـرة فـتح له والده دكـانا ليـمـارس التجارة في سوق الفتلة(**الخيوط المفتولة التي تخاط بها الثياب.**) وكـان والدهم يقـضـي فـتـرة السـمـر في تعليـمـهم مـبـادئ الأخـلاق والصبـر وكانت الدنيا منزوية عنه، فلما دخل الإمام يحيى صنعاء وبعـد أيام فتح كنعـان بك مـدرسـة عسكرية وأشار على الإمـام بأن

الشهيد أحمد المطاع

هذه المدرسة يجب ان يدخل فيها من أبناء الناس ومن الأسر العريقة من أهالي صنعاء، وسيعلمهم في ظرف ستة أشهر، يخرجون بعدها ضباطا، فدخل كثير من أبناء صنعاء ومن جملتهم أحمد المطاع.

وأول ما قال الشعر وهو في المدرسة وعمره حوالي عشرين سنة وقال قصيدة يشكو فيها المدرسين الى الإمام الذين أصروا على أن يلبس الطلبة البنطلون والكوت والطربوش. وامتنع المطاع وبعض زملائه وعندما قرأ الإمام القصيدة عرف ان المطاع ذكي يفهم مالايفهم غيره وهذا ما جعله يتوجس منه خيفة ويضمر شيئا في

نفسه عليه، وكان أول عقاب له بعد تخرجه ان جعلوه ضابطا على (بلك) سرية وقد اختاروا له سرية هي أسوأ مافي الجيش لغرض ان يكسروا من حدته ولكنه أحمد المطاع، فقد عرف كيف يدير هؤلاء الأشرار، وكان قد شرع في القراءة في علوم السنة وأكثر معلوماته من المطالعة في الصحف والكتب العصرية والشعر القديم والحديث، وكان يتمنى أن يخرج الى مصر ليتعلم هناك ولكن الفقر وقف حائلا بينه وبين أمنيته.

المطاع ضابطا

ذكرنا أنه عين أمير سرية وكان يلقي عليهم محاضرات في الأخلاق وأن الجندي هو الحارس للحكومة والوطن وأوضح ما يجب عليه للحكومة وما يجب له من الحكومة وأنه لاطاعة إلا للحاكم العادل. فبلغ الإمام ذلك مما جعله يخرج الى ثكنات الجيش وقد قصد السرية التي أميرها المطاع وحاضرهم الإمام وكان خاتمة كلامه ان طاعة الإمام واجبة وان الإمامة لا تصلح إلا لسيد من أولاد البطنين أي من أولاد الحسن أو الحسين ابني علي عليهم السلام، وهو بهذا يشير الى ان المطاع ليس حسنيا ولا حسينيا بل إنه من أولاد علي بن أبي طالب من غير فاطمة عليها السلام فلا تصح فيهم الخلافة بزعمه وقد نظر اليه الإمام وأمير الجيش نظرة عداء لأنه لم يكن من المداهنين وقد كان صاحب مبدأ لايحيد عنه ثابتا عليه حتى استشهد رحمه الله.

ذكرنا انه للنكاية به عينوه ضابطا على ماكان يسمى (بلك البليلي) وكان يضم العساكر الوقحين فادارهم وكان حكيما في السير معهم وكان أول خروجه من صنعاء مع البلك الذي كان هنالك وكان بعض هؤلاء العساكر قد عرفوا مايريده الإمام وأمير الجيش من الإهانة للمطاع، فما ان خرجوا من باب صنعاء حتى تمرد عليه

أكثرهم وكل واحد منهم قال: سأذهب الى بيتي ونلتقي في ملحان، فلم يعارضهم لأنه قد فهم المراد وانهم موجهون الى هذا التصرف، وكان منهم ثلاثة يتعنتونه ويسخرون منه فلم يعبأ بهم، وتوجه مع البقية الى حيث سيذهبون.

ولما وصل الطويلة وقدم الى العامل فيها يطلب صرف البغلة والتقى بالعلامة حمود الشيخ فجلس معه وكان يحسبه مجرد ضابط لا يعرف غير الأمور العسكرية ولما دار نقاش في مجلس حمود الشيخ مع فقهاء البلد فشاركهم المطاع فسمعوا منه ما أعجبهم في الحديث والتاريخ والتفسير، وقد أعجب به حمود الشيخ فقدره وعرف فضله وطلب منه البقاء ولو مدة يومين فاعتذر وفهم أن بعض أفراد البلك تمردوا عليه وانه يخشى ان يسبقوه فتكون لهم حجة عليه فصدر به الى المحويت حيث كان فيها (سيف الإسلام) أحمد بن قاسم❖ ووصف له الضابط المطاع بما عرفه منه، فلما وصل اليه أمر بإجراء الصرف له ولجنوده وأبقاه لديه ليجالسه ليلا ونهارا، وكان المطاع يمزج مذاكرته العلمية بكلمات سياسية فأعجب به أحمد بن قاسم وقد أخبره بأن بعض الجنود تمردوا عليه فكتب برقيات الى صنعاء والى بقية المراكز لضبط المتمردين، ثم بعد ذلك صدر به الى ملحان حيث سيكون مقره مع جنوده.

وبعد أيام قلائل اكتمل البلك وكان العامل ينظر الى المطاع نظرة فيها احتقار إذ حسبه مجرد عسكري فأهمله ولم يلتفت اليه، فأراد

❖ اعتاد بعض أئمة اليمن أنهم كانوا يسمون أبناءهم بسيوف الإسلام؛ فيقولون: سيف الإسلام محمد وسيف الإسلام أحمد وهكذا، وسيف الإسلام أحمد بن قاسم تغاضوا عن تسميته بسيف الإسلام مع أنه ليس من أولاد الإمام يحيى أو المنصور تغاضوا عن ذلك لأنه من الأسرة بيت حميد الدين ولأنه كان عالما وقد كان ممن وطد دولة الإمام يحيى ولكن الإمام يحيى تنكر له فيما بعد.

المطاع أن يحرك هذا السكون، وكان من عادة العامل حينما يذهب في جولته اليومية -كما هي عادة العمال أمثاله- يخرج ومعه البلك فمنع المطاع العسكر من الخروج مع العامل ما دفع العامل ان يشكوه ببرقية الى سيف الإسلام أحمد بن قاسم الذي كان جوابه على العامل: الضابط هو الولد العلامة الذكي أحمد المطاع وهو غير الضابط الذي تعرف فحسن علاقتك معه.

وكان مما يرفع من مكانة المطاع ثلاثة أمور: علمه ومعرفته وعفته وعدم الطمع حتى أنه كان يصلح أكله ويطبخه بنفسه.

وأما الجنديان اللذان كانا يتعمدان عصيانه وكسر هيبته فقد وقعا في شرك أخلاقي وصدر بهما الى صنعاء محفوظين مقيدة أيديهما بالمغالق، وكُفي شرهما.

المطاع في إب

ومكث المطاع في ملحان حتى أبدل بغيره وعاد الى صنعاء ثم عين مع بلكه للبقاء في إب وهنا وجد لفكرته مرتعا خصبا وتعرف على الشيخ حسن الدعيس كما أعجب به عامل إب إسماعيل باسلامة رحمه الله، وكان لا يفارقه. كما توثقت صلته بكثير من أهل إب ومنهم القضاة بيت العنسي وبيت صبرة وبيت الصباحي وبيت الأكوع وبيت الإرياني وغيرهم، وقد ارتاح ببقائه في إب وظل بها حتى جاء بلك وضابط آخر بدلا عنه.

وعاد الى صنعاء وكان الخلاف بينه وبين بعض المسؤولين بصنعاء ومع هذا كله فمازال كعادته منهمكا في المطالعة في كل من: الحديث والتاريخ والجغرافيا والشعر الجاهلي والإسلامي والمعاصر والحميني (**الشعر باللهجة العامية.**) ومعرفة الرجال... وكان يقول: لقد عرفت علم التاريخ كله ولم يبق مجهولا لدي إلا التاريخ اليمني في القرون الوسطى، فأنا لاأزال أتمنى معرفته. فبلغه الله أمنيته عند ان تعين عضوا في لجنة التاريخ اليمني التي أنيط بها أن تكتب

تاريخ اليمن من أيام الهادي الى يومنا هذا، وقد أختير للمطاع أن يؤرخ للفترة من أيام الهادي الى أيام المطهر بن شرف الدين.

محمد المفرح من نواة الثورة والفكرة

ونعود الى المحلوي فقد التقى في اليوم الثاني بالسيد محمد بن زيد الملقب بالمفرح أو الأعوج وأخبره عني فوصل الي ووقف بباب دكاني واقترح أن أرافقه في منفسحة له فخرجت معه وظل يدور بي في بساتين صنعاء ساردا لي خلال ذلك أعمال الأئمة والولاة ويقارن بينهم وبين النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم، فما رجعت إلا وقد ذهب كل ما علق بذهني من التعليم القديم. ويحسن أن نعطي نبذة عن هذا الرجل:



محمد بن زيد المفرح

كان من الرجال الذين يعدون من نواة الثورة ونشر الفكرة، وكان يضاهي الدعيس والمحلوي في أفكارهم وعقلياتهم وكان رجلا حكيما ومن حكمته انه لا يستعمل الهجوم بل يرمز رمزا، وكان يتفرس فيمن له قابلية لقبول الفكرة فيستميله الى صفه، وقد نشأ في صنعاء وفيها تعلم، وكان كثير المطالعة في كل الفنون ويميل الى أهل السنة وليس متعصبا، وكان زينة المجالس وكله عقل، يسير مع جميع الطبقات، وكان مجلسه من أحسن المجالس يجتمع عنده من العلماء والأدباء ومن التجار ومن السوقة وكان مع ذلك من الكرماء، وكل الناس يحبون مجالسته ومحادثته حتى القبائل، وله نوادر لاتحصى وأجوبة معجبة ومضحكة ومسكتة.

استدعاه الإمام يحيى ذات مرة وعيّنه بمعية الذي سيقود الحملة على جبل برع أيام الحرب مع الإدريسي وقرر له مرتبا ثمانية ريالات،

وعند سفره لقيه أحد أصدقائه فسأله: هل قررتم السفر؟ قال: نعم. فقال: وكم الراتب؟ فأجاب: ثمانية ريالات و(انهب لي) فصارت مثلا. وكان نقّادة ينتقد الولاة ولو كانوا من أسلافه بدون تعصب، حدث مرة أنه باع من الإمام يحيى قطعة أرض وكان قد بت في الموضوع مع وكيل الإمام ولكن الإمام لحذقه وشحه رفض ما توصل اليه وكيله واستدعى السيد محمد ابن زيد وجعل يساومه أكثر ليحط شيئا من الثمن، فقال للإمام: (لا تترجلونيش بعدا عيترجلوهم) أي لاتبالغ في المساومة حتى لا يبالغ من سيشترون من أولادك في المساومة، وهو بهذا يذكره أن حذقه مهما بلغ وهلعه في جمع الدنيا فلابد أن يبيع أولاده ماجمعه فلا يبالغ في الحذق لئلا يبالغ من يشتري منهم بعده...

وذات مرة كان الإمام يحيى في منتزه سنع **(بفتح العين والسين قرية في ضواحي صنعاء وبها كثير من أشجار المشمش والخوخ والجوز)** ونزل المطر بكثرة فقال الإمام: سبحان الله، مطر غزير، فقال محمد بن زيد: ولكنا لانستفيد منه ولايستفيد منه إلا البحر، فسكت الإمام ونظر اليه بغضب.

وقد تخرج على يديه كثير من الناس لأنهم كانوا يقبلون على كلامه وإذا رأى على أحد السامعين اشمئزازا من كلامه حول الكلام الى الهزل والضحك، وإذا سمع خرافة حاربها بكلام معقول.

حضر في مجلس مع نفر من أهل السوق وإذا بفقيه يملي عليهم كتابا في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ومن جملة ماحكاه ان الصحابة اغتصبوا الخلافة عليه وحرموه حقوقه، فصاح السيد محمد بن زيد: أنت كذاب وصاحب الكتاب كذاب.. علي بن أبي طالب منزه عن هذا وهو جدي صوّرته صورة رجل جبان ذليل طماع وهو الذي طلق الدنيا وسفهها ... حتى قلب الحاضرين الى صفه واستمر يصف علي ابن أبي طالب بشجاعته وزهده حتى فر الفقيه من المجلس.

ومن كلام محمد بن زيد: يظن الناس ان اليمن لا يوجد فيها

عقلاء مفكرون، مع أنه يوجد رجال أهل عقول، عقول يفهمون الأوضاع كما يفهمون عقلية القبائل، وقد جرت قصص منها أني وصلت الى عند بعض الشركاء❖ فرحب بي وجلست معه فتناقشنا في بعض الأمور وما يعانيه الناس من ظلم ولعب بالشريعة، فما وسعني إلا أن قلت له: كل هذا سهل يكفينا (الأمان) لمعرفتي بأنه متشيع. فقال: ياسيدي محمد أسمع عنك أنك من العقلاء العارفين. كان الخوف الذي تتحدث عنه محدودا إذا خرجت من صنعاء أمنت من الدولة وحمتني القبيلة، وإذا خفت من القبيلة حمتني أسرتي وبيتي، أما أنتم خوفتمونا الى كيس النوم ماحمانا منكم لاقبيلة ولا قرية ولا حتى ابني، وأي خوف أشد من هذا؟

ومما يرويه أن بعض الأئمة من آل القاسم استضاف بعض القبائل للغداء، وقد أكل الإمام معهم، فنظر أحد الضيوف الى السمن يقطر من بين أصابعه مما يدل على أنه كان يبالغ في غمس يده في السمن، فقال الذي رأى ذلك للذي بجانبه: انظر ياأخي والله ان السمن يخرج من بين أصابع الإمام فالتفت اليه وقلت: اعقل يامغفل مالقي النبي ﷺ قطرتين من الماء إلا بعد ما طلع ونزل جبريل حتى تعب!

عاش محمد زيد مع الأتراك يعيش من أمواله وماكان يحتاج الى أحد. عاش هادئ البال ومستريحا في أحسن حال، وفي أيام الإمام لم يعمل في وظائف الحكومة إلا فترات قصيرة شارك في حرب برع (**جبل في غربي اليمن يطل على تهامة**) كما تعين عاملا في المخادر، وكان على أشد الخلاف مع الحسن ابن الإمام يحيى لأن المخادر تتبع محافظة إب حيث كان الحسن أميرا فيها.

وذات يوم جاء الي محمد بن زيد وقال: اليوم أريد أن نقوم بجولة

❖ يعمد بعض ملاك الأراضي الذين يملكون مالا كثيرا الى استئجار فلاحين يحرثون هذه الأرض ويكون للمالك ثلث الغلول ويسمى هذا الأجير (الشريك) وجمعه شركاء لأنهم يشتركون مع مالك الأرض فيما يخرج منها

معا، فأخذ يطوف بي في بعض بساتين صنعاء وهو يسرد لي الأحاديث عن الإمام يحيى ويقيس لي الفرق بين الإمام علي وأولاده الصالحين، وختم كلامه بقوله: ماأردنا بالتشيع إلا القصور والخيول وابتزاز الأموال، انظر الى أجدادي بيت القاسم كم خلفوا لأولادهم من أموال وصواف (**جمع صافية وهي مساحة كبيرة من الأراضي الزراعية**) وأفقروا اليمن حتى جعلوا يتفرجوا على الريال (**اي ان الريال أصبح لديهم تفرجة يتفرجون عليه مما عز عليهم فاصبح فرجة من شدة فقرهم**)، مائتا سنة كانت ولايتهم ماذا خلفوا؟ وماهي المشروعات والمحاسن؟ ويسلوكم (**أي يعملون شيئا لتسليتكم به**) بعمارة مسجد أو مسجدين، اعقل الأمور ياولدي.

وذات يوم خرجت أنا والسيد أحمد المطاع في جولة استمرت اربع ساعات وزودني بمعلومات كثيرة، وقد اعجب بي كما اعجبت به، وسألني: أين تجلس؟ فقلت: في البيت لأنني خياط أخيط مضربيات❖ وغيرها. فقال: أحب أن أقيل عندك، فقلت: مع استمراري في الشغل، قال: لامانع.

بداية الجلسات

ومن هنا بدأت جلساتنا فكنا نجلس أنا والمطاع والمحلوي، وذات يوم قال لي المحلوي: والله اني أراك كولدي وأريد أن تعرف الإخوان الذين هم على فكرتنا، وهم يتفاوتون: السيد أحمد المطاع (والد الشهيد) وولداه أحمد ومحمد، ومحمد الواسعي الذي يسكن قريبا من الجامع الكبير وكيل بيت المنصور، والحاج عبدالله سنين والحاج حمود الخلقي وعلي توفيق والحاج صالح الخولاني، ففتحت بيتي للمقيل، وحتى تأثر بنا الأخ حسين السياغي واندمج معنا، وكان يزودنا

❖ جمع مضربية: كان الناس في صنعاء قبل ان يسرفوا في الاستيراد ولم يكونوا يستوردون معاطف وأكوات صوف، بل كانوا يخيطون ما يشبه الجبة ويحشونها بالقطن يلبسها الشخص فتقيه من البرد

بالكتب من خزانته، وكذلك كان يرتاد مجلسنا السيد محمد الجلال اخو السيد نصر وكان شيعيا ولكنه كان واسع الصدر ومازلنا معه في جدال حتى استملناه بحكمة المحلوي والمطاع، ثم اندمج معنا الحاج أحمد السياغي وأولاده وكانت الفكرة تنتشر ولكن قام ضدنا بعض فقهاء ❖ الجامع وكان بعض منهم يرسل جواسيس الى مقيلنا، وفهم بعض علماء الجمود مايجري في مجلسنا فقاموا بالدعاية ضدنا ونحن غير مبالين، ومما زاد الطين بلة وصول الشيخ حسن الدعيس الى صنعاء... وقبل ان نسترسل في الكلام نعطي لمحة عن الشيخ حسن الدعيس:

إنه أحد الطلائع الثورية الذين أبصروا والناس كلهم مازالوا عميا، ولما بلغ الإمام ما يقوم به من تشنيع على عهد الإمام أراد ان يكسر من حدته فسلط عليه بعض المسؤولين ثلاثة أشخاص وادعوا انه أنكر القيامة وقال إنها كالرؤيا، ولكن كان أمامهم الدعيس وتجادل معهم وأنكر ماقالوه وانهم لايفهمون كلامه وأفحمهم حتى تراجعوا وسحبوا دعواهم وأقروا له بعمق معرفته وكبر عقله.

وله مواقف في بيت غمضان مع بعض العلماء الجامدين وفي بيت محمد زيد المفرح الذي يضاهيه في معلوماته، وقد أعجب

❖ معروف ان كلمة (فقيه) تعني شيئا عظيما فقد تطلق على الأئمة الأربعة الشافعي وأبو حنيفة.. الخ، ولكن في اليمن وبسبب التفرقة التي مارسها الحكام الذين قسموا الناس الى طبقات :

١ – طبقة السادة الذين يلبسون عمائم في الأغلب.

٢ – طبقة الفقهاء؛ ولأنهم يلبسون عمائم، وخوفا من ان يعتقد أنهم في درجة السادة فقد أوحى هؤلاء الحكام الى عامة الناس انهم لم ولن يكونوا كالسادة، وجعلوا الناس ينظرون اليهم نظرة احتقار فكلمة (فقيه) أصبحت مدعاة للسخرية والتهكم وتطلق كثيرا على معلم الأولاد.

٣ – وهناك طبقات القبائل وتعني عامة الشعب وهذه بدورها تنقسم الى طبقات؛ فهناك المشائخ وهناك القبائل وهناك المزاينة أو الأطراف كما يسمونهم ويعنون بهم أهل الحرف الدنيا: قشام، جزار، حلاق... إلخ.

الدعيس بالقاضي عبدالله اليدومي ابن شيخ الإسلام حيث انه لم ينحز ولم يجادل في مذاكراتهما معا ولم يشم منه رائحة التعصب، وخاصة في مسألة التوسل والوسيلة، وكانت من المسائل المختلف فيها وكان راي الدعيس وراي المطاع والعزب والمحلوي مع من يقول: بأن التوسل غير مشروع ولم يسمع به وقت النبي ﷺ ولا في وقت الصحابة، وقد أثارت هذه المسألة ضجة ومعارضة كبيرة، ولكن الدعيس أفحم كل من جادله في هذه المسألة.

ولما لم يُجدِ هذا البهتان ضد الدعيس أقاموا عليه محتسبا يدعي ان لديه لبيت المال سبعين ألف ريال، فقال الإمام: مه ياشيخ حسن سبعين ألف؟ فضحك الدعيس ضحكة سخرية، فقال الإمام: وتضحك أيضا؟! فقال: يامولاي ماكنت أخاف إلا لو قالوا ثلاثة آلاف أو خمسة شيء يصدقه السامع وأنتم تقولون في المثل: إذا كان المتكلم مجنون كان المستمع بعقله، فحول به الى المحاسبة فنزل الحساب الى تسعة آلاف ثم الى ثلاثة آلاف واخيرا قرروا براءته وصح ان له مما يتقاضاه من الحكومة للمشيخ تسعمائة ريال وفشلت مساعيهم.

وأذكر مرة أن المصروف الذي يأتيه من بلده قد ابطأ عليه فوصل الي وقال: أما اليوم فلا قيمة قات ولا مصروف، ماذا معك؟ قلت: احد عشر ريالا، قال: إديها وأنا سأتوكل على الله وأنزل للإمام عسى الله ان ينصرني عليه، فنزل الى الإمام وكتب له ورقة يطلب منه ان يحول له مما صح له على الحكومة، فتبسم الإمام وقال: الشيخ حسن يريد نعطيه من الطالع له وقد قيدت في الدفاتر ولكن إن شاء الله في السنة المقبلة يقطع ماهو له.

فقال الدعيس: أسألك بالله يامولاي تعال نكذب الآنسي الشاعر، فقال: كيف؟ قال: إن الآنسي قال في قصيدة له أنكم مستبدون وتأخذوا حق الناس وتحاسبوهم بما هو لكم ولا تحاسبوهم بما هو لهم، فقال: أين هي القصيدة؟ فقال: هي التي مطلعها:

للحسن دولة في القلوب بسطا   وجانب الدولة مهاب
فمن تداراهم ومن توطا   لهم رقى عين الصواب
ومن حسب حقه عليهم اخطأ   ما بينهم والناس حساب
مابان منهم بان وما تغطا   فزد عليه منك حجاب
ولا تقل هذا صواب   ولا تقل هذا خطا
وإن بدوك هم بالعتاب   قصرت في الرد الخُطا

فما وسع الإمام إلا أن أخذ ورقة وحول له فيها بثلاثمائة ريال... والحق إن الإمام كان يقدر الشعر الفصيح والحميني.

قلنا ان مما زاد الطين بلة في الدعاية ضدنا فتح الشيخ حسن الدعيس باب التوسل والوسيلة، وباب الدرس للقرآن بالأجرة؛ هل ينفع غير الوالدين أو لا؟ فقامت قيامة الفقهاء الذين جعلوا من دراسة القرآن حرفتهم، وكذلك العلماء الذين يقولون بالتوسل بالأنبياء والأولياء، وكانت تعقد مناظرات ومجادلات مع الدعيس حتى بلغ الأمر أن كفره بعضهم، وأذكر هنا شخصين هما محمد حسن الحداد ومحمد علي الأكوع مؤذن الجامع الكبير وأنهما عارضانا معارضة شديدة، فقال المحلوي: ياعزي هؤلاء الاثنان يجب ان نتحملهما لأنهما لايريدان من هذه المعارضة سوى معرفة الحقيقة والوصول اليها، وبعد أيام عرفا الحقيقة وأصبحا في صفنا،وبذلا جهودا في نشر الفكرة، وكان يوجد شخص في المدرسة العلمية اسمه عبدالله بن محسن العزب من الحيمة، وكان معروفا بالذكاء والحفظ السريع مما جعل العلماء يعجبون به واتخذه القاضي لطف الزبيري كولده، وذات يوم أرسله الى مجلسنا ليطلع عليه وماذا يدور فيه، وكان يوم جمعة وكنا في بيت عبدالله

السنيدار، فلما فتح موضوع التوسل حصل جدل كبير استطاع الدعيس في النهاية ان يفحم العزب، ثم جرى ذكر الإمام محمد عبده مفتي الديار المصرية رحمه الله، فقال العزب: مما يذكر عنه إنه ملحد واشتد الجدل وذهب مغاضبا، وفي يوم السبت قال أحمد المطاع للدعيس: يجب ان ننزل الى المدرسة ونلتقي بالعزب اذ نخشى ان يصل الحديث الى الإمام وبعض أصحابه وإذا وصل سننهزم ومازلنا في ضعف وسيشجعون الناس علينا وتقوى الدعاية ضدنا، فوصلا اليه وانفردا به مع محمد موسى الذي استعانا به، فلم يقتنع، بل ظلوا معه في جدال.

وفي يوم الأحد قص علينا المطاع ما جرى فقلت: عندي دواء نافع؛ يوجد في مكتبة الجامع الكبير سبعة أجزاء من تفسير المنار وقد استعرت جزءا ووضعت ريالات رهنا فلو أعطينا العزب جزءا ليطالعه؟ فأعطيت المطاع الجزء السابع ليسلمه اليه فوصل الينا يوم الجمعة وقد حفظ منه أبحاثا كثيرة واقتنع وأشاد بمحمد عبده وأثنى عليه وكذلك السيد محمد رشيد رضا، وكان يكرر كلمة: لايوجد في اليمن علماء ونحن لاشيء وقراءتنا ودراستنا عبارة عن قصاصة لاغير (**عبارة يمنية تعني ان يجتمع اثنان او اكثر احدهم يملي في كتاب وآخر يتتبع ما يملي عليه في نسخة اخرى، وهو يعني ان الأساتذة لا يشرحون ولايعملون سوى قراءة ما في الكتاب**)...

ومن حينها اندمج معنا وكان داعية ولازم مجلسنا وانضم اليه كثير من طلاب المدرسة العلمية، وقام بدور كبير في المدرسة ومع الفقهاء وغيرهم بشجاعة، فانتشرت الفكرة وكانت تدور حول علم السنة والتوسل والإشادة بالكتب العصرية الدينية والاجتماعية، وحول الحكم والوضع الفاسد في اليمن وانتقاد الحكم الإمامي المتوكلي وسبب تأخره وعزلته وان سلاح الإمام هو التشيع، وفقر الشعب وجهله ومرضه ومحاربة الإمام للعلم الصحيح.

ولازالت الدعاية من الفقهاء والعوام ضدنا حتى القوا في أذهان الصبيان وتلاميذ المدارس اننا نحب معاوية ونبغض أهل البيت،

فإذا مر أحدنا بصبيان يلعبون صاحوا في وجوهنا بصوت واحد: لعن الله معاوية ويزيد وشيعته وسلام الله على علي المزكي بخاتمه، ولم يترك أعداء الأحرار من الموظفين والعوام أي وسيلة في الدعاية ضدنا -وخاصة كما ذكرت- ان الذي زاد من هياجهم هو موضوع التوسل الذي أثاره الدعيس حتى ان خطيب الجامع الكبير رحمه الله خطب يوما حول التوسل وادعى ان أكثر العلماء يجيزونه، واستدل بأدلة واهية وقال: ان من لم يجز التوسل فهو يعد من الوهابية... الخ.وبعد مدة جاءنا نبأ بأن في مدينة إب وتعز أشخاص يجتمعون وبدأوا ينتقدون الحكم الحالي باليمن، كما سمعنا الشيء نفسه في ذمار.

المطاع وولي العهد وجها لوجه !



كان المقام ❖ و أمراء الجيش إذا غضبوا من ضابط أو سرية من الجيش يرسلونه الى حجة حيث كان يومئذ ولي العهد أحمد بن يحيى حميدالدين، حيث يذوق هذا الضابط أو السرية المر ويلاقي متاعب ولا من يشكو اليه، فأجمعوا أمرهم على تعيين أحمد المطاع مع السرية التي قد استطاع المطاع بحكمته ان يستميلها وقرروا ارساله مع جنوده الى حجة.

توجه أحمد المطاع بعساكره الى حجة، ولما وصلها التقى بالنائب عبدالملك المتوكل وسلمه

❖ المقام والديوان: تطلق على قصر الإمام ومايحيط به من أماكن الحرس والكُتّاب وسائر موظفيه، وقد يضيفون الى كلمة المقام (الشريف) فيقولون: المقام الشريف.

التصدور(**منحوتة من قولهم : صدر أو صادر اليكم فلان.**) وقد ظل ثلاثة أيام لم ير خلالها ولي العهد وفي اليوم الرابع أمر ولي العهد بأن يخرج معه الضابط المطاع بعساكره ليصحبوه في جولة في خيران (**منطقة في محافظة حجة**) فخرج فلما وصلوا التقيا فوق بركة، ففتح ولي العهد الكلام بقوله: هل تعرف لماذا يبعثون من يبعثونه من صنعاء الي؟ فقال: نعم نتعسكر، قال: يأأبله انهم لا يبعثون الي إلا من أعوج عليهم يبعثونه الي لأسوي عوجه، فقال: أنا لاأعرف إلا اتعسكر وأتهمشل (**كانوا يسمون التركي (همشلي)، ثم اطلقت على كل من يلبس البنطلون.**) وأقوم بالوظيفة، وإذا كان شيء غير هذا فأبي وأمي مازالا على قيد الحياة وأستطيع رفض كل شيء وأعود اليهما لأجلس لديهما في البيت، فسكت ولي العهد.

وبعد أيام قليلة أرسل له ولي العهد رسولا يخبره برغبته في الوصول اليه فلما وصل أشار الى بعض حرسه أن يعابثه ويمازحه فغير المطاع سحنته فانسحب الحارس الجميل الصورة كاسف البال فقال ولي العهد للمطاع: في مكاني؟ يقصد تتصرف معه بهذا الأسلوب في مكاني ولم تحترم مجلسي؟ فقال المطاع: اسمع يامولاي مقامك محترم وباسم ولي العهد يكون هذا الأسلوب؟ فكيف ستكون السمعة؟ فسكت.

وذات جمعة أرسل له يستدعيه الى مجلسه وقد تضمنت المناقشة مواضيع أدبية وتاريخية وفي غير ذلك، فكان للمطاع قصب السبق في تلك الأحاديث، وهنا عرف ولي العهد قدره، وماكان يستدعيه إلا إذا كان ثم خوض في المسائل الأدبية والعلمية، أما إذا كانت الجلسة في غير ذلك فلا يستدعيه مما عظم في عينيه، وكان إذا خاض مع أصحابه في موضوع ولم يجد عند أحدهم حلا لما طرح من اشكال يرسل للمطاع وعندما يحس بوصوله يقول ولي العهد: إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل.

ومكث في حجة مجللا محترما وكان اذا حصلت لولي العهد

مشكلة يستدعيه ويستشيره ثم عينه أميرا لمفرزة ميدي، وكان عاملها القاضي عبدالله العرشي، فتعرف بالناس هناك وخاصة بإبراهيم شريف الرفاعي، ومن حسن الحظ انه وصل اليها العلامة أحمد الصافي فدرس عنده أحمد المطاع الأمهات الست، وقد حصل خلاف يسير بينه وبين العامل، ولكن ولي العهد لما وصلته شكوى بالمطاع عاتب العامل وقال له: الولد أحمد هو الولد الذكي العلامة وقد جربناه فيجب ان تتفق معه، كما تعرف بالسيد محمد حيدر شيخ الإسلام أيام دولة الإدريسي، وبعد مدة عاد الى حجة ثم انتقل الى صنعاء، وكان سيف الإسلام البدر محمد بن يحيى في الحديدة وقد تعرف بالمطاع وناقشه فوجده غير الرجال الذين يعرفهم، وأعجب به كثيرا، وبعد بقائه في صنعاء مدة عُين أمير مفرزة الزيدية، وكان العامل بها السيد يحيى الهجوة، فلما وصل المطاع لاحظ ان الهجوة هذا يحتقره، ومن الغريب ان الهجوة كان لاينام إلا بعد ان يصعد العسكر بطبولهم الى سطح الغرفة التي ينام فيها فيطبلون ويرقصون فمنعهم المطاع وهنا اشتد الخلاف بين الرجلين وخلال ذلك وصل استدعاء للمطاع من الحديدة فلما وصلها أمر بالتوجه الى صنعاء حسب الأمر من صنعاء وتوجه اليها وكان البدر في صنعاء فاستدعاه ولي العهد اليه حيث كان موجودا في صنعاء، فلما وصل اليه قال: أتدري لماذا دعوناك؟ قال: لا، فقال إنا قد أشرنا على مولانا الإمام بأن تقوم بتحرير جريدة الإيمان. فقال: ومن أشار عليكم وبصفتي (همشلي)؟ قال البدر: هذا الأمر مالك منه عذر والرجاء أن تحقق ظننا بك عند الإمام، فقد وصفناك لدى مولانا ولابد من ذلك رضيت أم كرهت، فكن حيث الظن ولاتخيب ظننا بك.



سيف الإسلام البدر

وحررا للقاضي عبدالكريم مطهر الذي كان يرأس تحرير هذه الجريدة، فلما وصل اليه قال له المطاع: كيف أشرع في هذا العمل وليس لي به خبرة، ولم يسبق ان مارسته، فأجاب عليه توجهوا الى مدير المطبعة واشرعوا في العمل، فقال لايصح هكذا قفز بدون خبرة، قال: اعملوا ولابد يعينكم الله، فلما سمع منه هذا الكلام الذي يستشف منه بروده وصل المطبعة وأخذ آخر عدد وقرأ المقال الافتتاحي المعنون: (دعاة الإصلاح) قرأه بتمعن، ثم شمر عن ساعده وكتب مقالا (حول دعاة الإصلاح) وأسهب في الموضوع حتى أعجب الإمام وسيوف الإسلام والقراء، وظل يحرر فيها حتى خرج عن الموضوع الذي يريد الإمام، إذ كتب مقالا بعنوان (مرض الأخلاق) فقام الإمام وقعد إذ حمل في هذا المقال حملة شعواء على الجمود وعلى الولاة الذين يحرصون على هذا الجمود، وقد أثار الناس حتى وصلت برقيات يطلبون فيها محاكمة المحرر المطاع، وهكذا كان يحرر المقالات الاجتماعية والأخلاقية والتاريخية ومعلوم ان مقالات من هذا النوع لايرضاها الإمام لأنها تجعل الناس يعون وكان هذا هو قصد المطاع.



عبد الكريم مطهر

قال السيد محمد زبارة انه لما كان بمصر التقى محمد علي الطاهر وبيده جريدة الإيمان فكان يقول: إيمانكم ضعيف يازبارة، فلما تولى تحريرها المطاع قال له: إيمانكم يتحسن يازبارة. وكان أحمد المطاع يجهز الجريدة في يوم عشرين من الشهر وتعرض على الإمام فيشطب منها مايشطب ويعدل بعض الكلمات كما يهوى فغير المطاع الوقت بأن كان يرسلها الى الإمام يوم سبعة وعشرين وأحيانا كان يؤخرها عنده أسبوعا، وقد ظل رئيسا لها الى ان سُجن.

انتشار الوعي

نعم ظللنا على تلك الحالة وجاءنا نبأ بأن في مدينة إب وتعز وكذلك في ذمار أناس يجتمعون مثلنا وبدأوا ينتقدون الحكم الحالي باليمن، وهنا قرر الشهيد المطاع أن يقوم بجولة في تلك المناطق ليستطلع الأمر، وكان زملاؤه قد فكروا في ذلك وكان ذلك سنة ١٣٥٠هـ فتقدم المطاع الى القاضي عبدالله العمري راجيا منه الحصول على رخصة من الإمام، وأثناء العمل لاستخراج الرخصة، قال الإمام للمطاع: والجريدة؟ قال: سأواصل العمل فيها وأنا مسؤول عن ذلك. قال الإمام: قل انك تريد (مطراش) يعني جولة يجمع له فيها شيئا من المال لأنهم اعتادوا من الموظفين إذا طلبوا تكليفهم بمهمة في غير العاصمة فإنما ذلك لجمع المال، ولكن المطاع لا غرض له سوى توسيع دائرة الأحرار، ومما يجب عدم نسيانه للقاضي عبدالله العمري انه أرسل مذكرة للسيد علي بن عبدالله الوزير أشاد فيها بالمطاع لئلا يصل اليه فيجهله، وفي جولته التقى في ذمار بالقاضي عبدالله العيزري وتلاميذه وجرت بينهما محادثات كثيرة أعجب كل منهما بالآخر، وتفاهموا عن الأحوال التي تجري في البلاد ماضيها ومستقبلها، وارتاح المطاع لذلك حيث لقي رجالا أحرارا مفكرين فاهمين.



علي الوزير

ثم وصل الى إب وكان معروفا لديهم إذ جاءهم من قبل ضابطا

عسكريا، وفي هذه الرحلة اجتمع بالإخوان من آل الإرياني وبيت العنسي والقاضي لطف الصباحي وبعض أولاد اسماعيل باسلامة، والقاضي أحمد صبرة وقد حكى لهم القاضي يحيى صبرة والقاضي محمد الأكوع المواقف التي كانت تقع في بيت العزي صالح السنيدار وبيت عبدالله وفي المسجد الجديد ومايدور فيها فتفاهم معهم وكان التمام على ان يرتبطوا ويتعاونوا في كل الأمور.

ثم وصل الى تعز والتقى الأستاذ أحمد محمد نعمان وغيره وتفاهموا، ولما وصل الى السيد علي الوزير رحب به ولم يخض معه في أي حديث سياسي لأنه كان يستبعد قبوله لفكرتهم، وبعد مذاكرات ومباحثات حتى شعر بأنه قد استماله صارحه بالمراد، وانه لو ظلت الحالة كهذا فإنها لن تدوم.

ومن تعز توجه الى الحجرية وقد سعى بالصلح بين القاضي الحلالي والوزير حيث كانا مختلفين، وذهب الى المخا والحشا وغيرها وربط بين العارفين من المشائخ ودأب على بث الفكرة واتصل بالأحرار في كل منطقة يصلها، وقد التقى في ذمار بالسيد أحمد الوريث وهو الشاب المشهور والعالم الشاعر الكاتب القدير.

وفي هذه المذكرات أود أن أسجل وأذكر المجاهدين المغمورين أما المشهورون فقد امتلأت بهم الكتب، فكم من المغمورين من قام بأعمال لا يستهان بها ولم يذكرهم المؤرخون لسببين: إما لأن المؤرخ ليس عنده علم بهم، أو استهانة بهم كونهم من أبناء التجار أو من الناس غير المشهورين.

القاضي حسين الحلالي

ازدادت الفكرة انتشارا وزادت الجلسات وصارت يومية وفي بيتي

والناس يتزايدون، وأصبح مع محمد المطاع زملاء مثل أولاد السياغي محمد ويحيى وحمود، وعبدالسلام صبرة وحسين المعافا والصفي محبوب يقوم بالواجب في مجالسه مع أصحابه ويقوم بالإرشاد في جامع الشهيدين، والعزب في المدرسة وبدأنا نختلط بالناس كما انضم الى صفنا الحاج علي محمد السنيدار رحمه الله وأحمد بن أحمد عبدالله السنيدار.

الصفي محبوب

ومن حسن حظنا ان الإمام وحاشيته بأعمالهم كانوا عونا لنا لاقناع الناس، فعلى سبيل المثال ماجرى لبيت عبدالله السنيدار في مسألة تجارة البن وكيف عرقلهم الإمام فجعلهم بذلك يتقبلون فكرتنا، وكذلك قضية الشركة التي كانت لها امتياز استيراد التنباك المسمى (بالسرات) إذ الغى الإمام هذا الامتياز مما جعلهم يصابون بالافلاس، ومثل هذه الواقعة حصلت للحاج حسين الزهيري..



القاضي عبدالرحمن

وبلغنا في هذه الجلسات مرحلة عظيمة حتى كنا في بعض الأحيان نتحدث بصراحة إذا لم يكن في المجلس جاسوس. وكنت ملازما للسيد أحمد المطاع وذات يوم صلينا الظهر في مسجد طلحة وإذا بالقاضي عبدالرحمن الإرياني فتحادث مع السيد أحمد

المطاع قرابة نصف ساعة، وأنا واقف بعيدا عنهما فقال المطاع: هذا القاضي عبدالرحمن الإرياني من الأحرار ومن الشباب الطاهر، ومن العلماء وهو من العاملين في إب وصنعاء، فصافحته، وكان في ذلك الوقت في الخامسة والعشرين من عمره، كما عرفني بوالده القاضي يحيى بن محمد الإرياني وهو رئيس الاستئناف ومن العلماء العارفين الفطناء ومن علماء السنة، وفهمت ان المطاع متفاهم معهما، وكذلك القاضي يحيى بن علي الإرياني رحمه الله وقد كان شابا نجيبا، كما عرفني بالقاضي حسين العنسي وانه من الأحرار ولهم جمعية في إب، ومنهم القاضي أحمد صبرة وولده وجماعة ومنهم القاضي محمد الأكوع والقاضي عبدالكريم العنسي وغيرهم.

بقينا على هذه الحالة مستمرين في أعمالنا وبث الفكرة: بعد الظهر في بيتي ومن المغرب الى العشاء في مسجد الجديد، ذاع ذكر مجلسنا واجتماعنا في مسجد الجديد عند أكثر الناس، كان بنو السنيدار يلومونني ماعدا محمد عبدالله وأولاده حتى قال لي بعض الناس أنني أصاحب الرجل الطبيعي يقصدون المحلوي.

سافر أحمد المطاع مرة أخرى الى تعز، وبحجة عمل خريطة للحدود فيما بين سلطة الإمام ومنطقة المحميات التي كانت تحت سلطة الاحتلال البريطاني وهذه المرة التقى السيد علي بن عبدالله الوزير فإذا به يجده غيره بالأمس فقد تحول عن فكرته السابقة واستتار وعرف أنه كان مغرورا على غير هدى.

وفعلا قام بالتخطيط ووضع خريطة واجتمع بسيجر الانجليزي ودخل عدن واشترى لبعض الأصحاب -وأنا والعزب منهم- تفسير جزء عم وتفسير الفاتحة والعصر ورسالة التوحيد للإمام محمد عبده رحمه الله وكتاب طبائع الاستبداد للكواكبي رحمه الله ووزعناها، وعند عودته أخبرنا انه التقى في تعز بالأستاذ أحمد نعمان واتباعه وبمشائخ وتجار، وفي إب التقى بالقاضي عبدالكريم العنسي ووالده والقاضي العلامة العامل الحر الذي لايخاف في الله لومة لائم الذي كان يصارح المسؤولين مثل بيت الوزير ويصارح الإمام يحيى بدون مبالاة وهو القاضي عبدالله العيزري وكان زاهدا

قانعا لم يتول ولا يحب الظهور وكان له أتباع، والسيد أحمد عبدالوهاب الوريث الشاب العالم العصري الكاتب الشاعر الذي يجاهر بعلم السنة وشهرته معروفة، ومنهم القاضي العلامة أحمد بن أحمد سلامة وهو صورة طبق الأصل لأستاذه عبدالله العيزري.



العلامة أحمد سلامة

رجع المطاع الى صنعاء وهو قلق لأن الفكرة قد انتشرت وعمله قد برز وظهر، ولولا أنه غالط بقوله انه يقوم بتأسيس جمعية يرأسها ولي العهد أحمد بن الإمام يحيى، وظللنا على هذه الحال الى آخر شهر محرم سنة ١٣٥٥هـ وقد كثر الكلام عند الإمام يحيى وحاشيته وحكامه، وينشر بعض الناس الدعاية ضدنا بوضوح. وقبل التاريخ المذكور عين الشيخ حسن الدعيس عاملا على جبل راس وكان ذلك عبارة عن منفى، وسافر عبدالله أحمد الثور الى جيبوتي قبل حبسنا بأسبوع، وهناك بعض الإخوان الذين عرفتهم قبل حبسنا كالحاج علي محمد السنيدار وكان في مصوع، والشيخ علي راجح وحمود الخلقي أما حسين بن أحمد السياغي فقد سمع بحبسنا فسافر الى الحيمة، والحاج عبدالله سنين ولأنه كان متصلا ببيت العمري فقد سلم، وكذلك الحاج أحمد السياغي وأولاده يحيى ومحمد وحمود أصحاب علي الحضرمي وعلي تلهى وعبدالخالق الزبيري وعلي توفيق ومحمد ريحان من أصحاب المحلوي.

في سنة ١٣٥٤هـ تكاثر الإخوان بصنعاء وذمار وإب وتعز وكثر النشر في الصحف الخارجية عن اليمن وأحوالها وماتعانيه من تأخر وانحطاط، ومنها الشورى ومنبر الإسلام ومجلة الفتح وجريدة فتاة الجزيرة التي كان يرأس تحريرها محمد علي لقمان في عدن،

وكثر القيل والقال وبلغ ذلك مسامع الإمام وأولاده وأعوانه. وفي أوائل شهر محرم ١٣٥٥هـ وصل موضوع سياسي الى الإمام يحيى بقلم القاضي علي الشماحي فاتخذه الإمام فرصة، وقيل له ان بيت العزي صالح السنيدار أصبح يلف مجموعة من الفقاعسة (**مشاغبون**) منهم المحلوي والدعيس وأحمد المطاع وأخوه وغيرهم، وقصدهم وغرضهم قلب نظام الحكم. هنا قامت قيامة الإمام.

في سجن القلعة سنة ١٣٥٥هـ

وفي ليلة الخميس ٢٩ صفر ١٣٥٥هـ صلينا أنا وأحمد المطاع وذهبنا الى السوق ولقينا حسين السياغي ونزلنا مع أحمد المطاع طريق بيته، فما ان وصلنا إلا والسجان وأربعة عساكر معه وقد وقفوا في الشوارع التي تؤدي الى بيت المطاع فوقف السجان في وجهنا وقال: هيا ياسيد أحمد، قال: إلى أين؟ قال: القلعة حسب أمر الإمام. وكان بيد المطاع وعاء به قاز فقال: ادخل القاز، فقال السجان: لايمكن أبداً، فناولني وعاء القاز، وتوجه طريق الحبس مع السجان والعساكر.

وعندما وصل المطاع الى السجن وجد انهم قد أوصلوا اليه عبدالله العزب، وكان في بيت أحمد المطاع أوراق مهمة ويريد ان يخفيها عن العيون، فما ان سمع محمد المطاع بسجن أخيه حتى سارع الى تلك الأوراق فخبأها خوفا من التفتيش، وعندما ذهب أخوا أحمد المطاع: حسين وحمود الى الحبس لإيصال فراش له أرسل أخوه محمد معهما إشارة رمزية يطمئنه فيها ان لا يخاف ففهمها واستراح.

وكان القاء القبض على عبدالله العزب بصورة بشعة إذ جاء الجند المكلفون بالقبض عليه فوصلوا الى جامع المدرسة العلمية

وهو يصلي بالناس صلاة العشاء فما ان سلم حتى أخذوه من المحراب وساقوه الى السجن وعلي الشماحي. وبعد صلاة الجمعة أرسل الإمام عسكريا وأمره بأن يسوقني الى الحبس كما أمر من يوصل المحلوي، فبقينا يوم الجمعة في مكان يسمى مكان أهل صنعاء، وأرسل أحمد المطاع من يقول لأخيه محمد بأن لا يراجع له وإذا راجع فلا يحتبس. وفي يوم السبت وصل أخوه محمد حيث ذهب الى الإمام ليراجع لأخيه فأمر بحبسه فإذا بنا أصبحنا ستة مساجين وقامت قيامة الناس، وانتشرت الدعاية ضدنا.

درادعة وملحدون !

كان الإمام يقول عنا إننا نفسد الناس، ونبغض أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأننا نقول عنه أنه جندي، واننا اختصرنا القرآن. وتحدث عنا كافة أهل اليمن وأصبحنا شغل الناس الشاغل، وكم سبونا ولعنونا وقالوا بأننا درادعة (**طائفة من اليهود**) وأننا لا نصلي على النبي ﷺ وأننا ملحدون. ووو.. الخ. وحتى أولادي الصغار لم يسلموا من كلام الناس، كلما ذهب ولدي محمد الى السوق أو جاءنا بالأكل الى السجن يسألونه: أنت ابن الدردعي الذي اختصر القرآن؟ فلا يصل الينا إلا باكيا حتى مرض من الألم وعمره لايتجاوز اثني عشرة سنة.

القاضي عبد الله العمري

بقينا في مكان أهل صنعاء أربعة أيام، والغرف في الحبس لاتحتاج الى وصف لأنها مظلمة بلا جص ولا نوافذ ولا شيء سوى الباب، وجاء القاضي عبدالله العمري واستدعى مدير السجن وسأله: أين ضيوفك الجدد؟ قال: موجودون لدينا في الحبس. قال: مجموعون؟ قال: نعم. قال: ماشاء الله

فرق بينهم، فدخل علينا وهو في ذعر، وأمر بتفريقنا وادخل علي الشماحي عند رهائن بني نوف، والعزب في المسجد، وأولاد المطاع في (العين) وهو مبنى داخل السجن للحراس، وبقيت أنا والمحلوي وكان يريد ان يجعل كلاً منا بمفرده، ولأن المحلوي فقير لايملك شيئا ولن يجد من يأتي له بطعام الى السجن فدفعت رشوة لشاوش الحبس ورجوته ان يبقيني أنا والمحلوي في غرفة، فنقلنا الى مكان الحميقاني وهي غرفة سجن بها الشيخ الحميقاني صاحب البيضاء فسميت باسمه، وفي الليلة التالية جاءني الشاوش وقال: مافعلت ياعاق والديك؟ قلت: ماذا؟ قال: قالوا انك موحد تقول لا إله إلا الله فقط، صدقت الأشرار؟ وتركني وانصرف، وهو يقصد أنني أقول: لا إله إلا الله، ولا أقول محمد رسول الله، هكذا فهموا!

وفي المسجد التقيت بأحمد المطاع الذي قال: اسمع ياعزي ما يهمني من السجن إلا ضيق ذات اليد، لكن محمد المحلوي وعائلته عليك، وأنا عليّ العزب والشماحي وأخي بشرط إذا وصلت أي معونة للمساجين فأقبضها أنا وليس لك منها شيء لأنك الموسر فينا... فقبلت وبقيت أنا والمحلوي ثلاثة أيام، وبعد ذلك جاء القاضي عبدالله العمري، وسأل مدير الحبس: كيف صنعت بالمساجين؟ فأخبره انه قد فرق بينهم، فقال له: المحلوي والسنيدار أخرجهم من المكان وانقلهم لأن ذنبهم أخف من الآخرين... وكان العمري حاقدا على الآخرين وخاصة علي الشماحي لأن أولاد الإمام لاسيما الحسين كانوا يغرونه ضد العمري. ولما دخل الحبس تركوه ولم يذكره حتى والده عبدالوهاب الشماحي.

وكان أول من زارنا الى السجن عبدالسلام صبرة إذ ارسله عامل صنعاء السيد حسين عبدالقادر وهون علينا ولكن الاشاعات كانت كبيرة ضدنا حتى قال المحلوي: لو يأتي اطلاقي سأرفض الخروج من السجن خوفا من الناس. وانكمش أصحابنا الآخرون لأن قضيتنا كانت أول شيء عرفه اليمنيون في تاريخهم.

شيخ البهرة يتبرع لنا !

وأول من أرسل لنا بمال هو القاضي محمد راغب رحمه الله وقد حرر أحمد المطاع رسائل حارة الى الحسين والى العمري وغيرهم، فأرسل الحسين لنا بمال معونة وأرسل القاضي عبدالله العمري عشرة ريالات، ولله الأمر فهو اللطيف بعباده؛ فقد جاءت المعونات المالية من كل ناحية حتى من خير الدين شيخ البهرة في عدن، فسبحان الله فهو الرزاق ذو القوة المتين والقاهر فوق عباده، يظن المستبد المتجبر ان إرادته فوق إرادة الله؛ الإمام يحيى يحبس ويقطع مرتب الموظف وله عائلة ولا يعطيه ولا عائلته شيئا ويظن ان المسجون سيموت ولكن إرادة الله ولطفه بعباده تقهر المستبد المتجبر فقد وصل الرزق فوق ما يتصور الانسان، وفي المثل اليمني (ما هو مؤلف لك مايقطعه عليك) يعني إذا الفت شيئا فلا يقطعه الله عليك، فكانت كفايتنا تأتينا وزيادة حتى الكماليات، بل والله تصدقنا على المقطوعين من المساجين، وكان ما يصل باسم المساجين يتسلمه أحمد المطاع حسب الاتفاقية، أما أنا والمحلوي فلم نشاركهم في ذلك، إذ يسر الله في الأرض الزراعية التي كنت أملكها فقد كان يأتيني قيمة برسيم وغلة الأرض أكثر مما اعتدناه واستغنيت أنا والمحلوي وعائلتي وعائلته من خزائن ملك الله، وكان يعيننا على ذلك ان الأسعار كانت رخيصة فالريال كان ينفع أكثر مما تنفع عشرة ريالات الآن، والحمد لله لم نحتج لأحد، ومن ألطاف الله ان المصيبة تبدأ كبيرة ثم تتضاءل، فلم نبق على هذه الحالة سوى أسبوعين وبعد ذلك اجتمعنا واختلطنا بالناس، وهنا أذكر كلمة للمحلوي وهي ان للحوادث أيام لكبرها وصغرها، وخاصة بصنعاء، إما ثلاثة أيام أو ثلاثة أسابيع او ثلاثة أشهر أو ثلاث سنين ثم تنسى إلا الكبيرة فتبقى تاريخا إذ يقال: من حوزة النفر (يعني عندما حصلت مجاعة في صنعاء وكان سعر الطعام النفر بريال والنفر قدر مدين) أو من زمن الطيارة (حين عرف اليمنيون أول طيارة) أو سنة الانسحاب (عندما انسحب الجيش

الإمامي في الحرب مع السعودية) أو الدستور .. الخ.

فقضيتنا ستبقى ثلاثة أشهر ثم تصغر ويتساءل الناس عن سبب حبسنا فكان كما قال. كان حبسنا فيه فائدة وانتشار لفكرتنا والسبب في ذلك ان الإمام وزمرته بثوا دعاية ضدنا غير معقولة، وقد كنا نتلقى من الشتائم مالا مزيد عليه، حتى الصبيان يصيحون بصوت عال: لعن الله معاوية والمحلوي وخبرته، وكذا والشماحي، وكذا والسنيدار والآخرون إلا أن القافية لم تطاوعهم.

وسأذكر هنا كلمة سيدرك القارئ من خلالها كيف القدر وكيف يسير؛ أقول ان الإمام يحيى مما لاشك في إدراكه وسياسته ودهائه وعقله الواسع الذي استعمله في غير مصلحته، كنا نظن انه سيحبسنا في حبس منفرد بعيدين عن الناس حتى تروج دعايته ضدنا ولا يعرف أحد حقيقة أمرنا لاسيما والسجون كثيرة ولكنه أمر بحبسنا في سجن القلعة الذي يجمع طبقات الناس كلهم والوارد اليه كل يوم وكذا الخارج منه كل يوم فنحن في الحبس السياسيون مع القتلة مع اللصوص مع قطاع الطرق مع المديونين مع من امتنع عن الخدمة العسكرية مع التلميذ الذي تخلف عن الدروس في مكتب الأيتام مع من عصى خالته (زوجة والده) مع المجانين، كل هؤلاء في صعيد واحد، وقد كان ذلك في صالحنا كما سنوضحه.

اختصروا القرآن !

أمر آخر؛ فقد صب الإمام الدعاية ضدنا بجميع أنواعها: طعننا في العقيدة، ورمانا بالكفر والزندقة وفي السياسة بأننا نريد بيع البلاد للإنجليز ونريد إدخال النصارى الى اليمن، والناس يتلقون ذلك بالقبول بل ويزيدون على ذلك من عند أنفسهم، وكما قال أحمد فيضي باشا: «أهل صنعاء يخلقون كلام»... والدعاية بصنعاء وبالخارج وقد كان لحبسنا صولة كبيرة وبدون مبالغة انها عمت اليمن،

وأهل صنعاء يتقولون فوق ما يتصوره العقل: فمن قائل : هم درادعة وآخر يقول: عُكّش (**طائفة من اليهود**) يهود، نصارى، كفار نصَبَة، أعداء الله وأعداء النبي، لايصلون على النبي، وهابية، وهكذا من باب عدن الى باب صعدة، ولم تبق مدينة ولا قرية إلا وهم يتكلمون عنا ويسبوننا، قالت امرأة عجوز من بيت (أبو منصر): «جلست في الشباك من الصبح الى الظهر والناس من صنعاء ومن القبائل رجال ونساء حتى اللائي يدخلن بالحطب الى صنعاء والله ما مر اثنان او جماعة إلا وهم يتكلمون عن المحابيس الكفار الذين اختصروا القرآن، ويصبون عليهم اللعنات بأنواعها»... والإمام يحيى في مقابلته اليومية للناس كلما وصل اليه مغفل يسأله: ماذا يقولون عن المحابيس؟ فيجيبه بلعنهم، وقد سأل أحدهم فقال: والله ما كان حبسهم إلا بوحي من السماء.

وكان يصل المحابيس إلينا وقد تشبعوا بالدعاية السيئة، فإذا بهم يروننا نصلي ونتلو القرآن ونصلي على النبي وآله ونحادثهم ونلاطفهم، فلا يخرجون من السجن إلا وهم يكذبون من يطعن فينا، وكان كل من يصل مسجونا يقول له الناس وهو في طريقه الى الحبس: أرجوك لا تكلم الكفار الذين اختصروا القرآن ولاتخالطهم كن عاقلا.

وقد وصل إلينا شخص اسمه أحمد الفرجي وكان من عقال بني الحارث وكان ذكيا فجذبه بعض الفقهاء بباب الحبس وقال له: لا يخدعوك الملاعين، فلم تمض أربعة أيام حتى أصبح معنا. وكان الزميل علي هاجر يعمل معي في الدكان وبعد يومين من حبسنا فتح الدكان، فوصل اليه بعض التجار الكبار، وقال له: غلق دكان هذا الناصبي باغض آل محمد، وإذا لم تغلق الدكان فوالله لابد من حبسك، وقام الناس مع التاجر الكبير، فذهب علي هاجر الى القاضي عبدالكريم مطهر وحكى له من أمر التاجر الكبير، فاستدعاه القاضي وقال له: مالك وللدكان ولعلي هاجر؟



حسين عبدالقادر عامل

ولا ننسى موقف الرجل العظيم المجاهد الكبير الغيور الذي جسمه مع الإمام وقلبه مع الشعب والأحرار، لم يغتر بالمنصب ولا المال بالرغم من ان الإمام كان يقربه اليه، وأكثر أيامه لايخرج في جولاته إلا وهو معه ولا يخرج الى المتنزهات إلا وهو رفيقه، وكانت له وظيفتان: عامل صنعاء، وقمسيون، إنه السيد حسين بن علي عبدالقادر إذ أرسل عبدالسلام صبرة إلينا وكان أول زائر لنا، وأبلغنا تحياته وقال: اطمئنوا فما هنالك شيء...

وكذلك الرجل العظيم الوفي الذي كان الوحيد من موظفي الإمام الكبار الذي راجع لنا، إنه وزير الخارجية القاضي محمد راغب وهو أول من راجع لنا وجدّ في المراجعة، ونصح الإمام بقوله: ليس من صالح جلالة مولاي سجن هؤلاء أبداً، فإن الناس سيتساءلون: ماهو سبب حبسهم وسيحصل رد فعل، وكان عامل صنعاء يؤيده ويحفزه للمراجعة كما كان يحفز بعض الموظفين الكبار للمراجعة، وعندما رأوا راغب وعامل صنعاء يراجعون تشجعوا فراجعوا الإمام من أجلنا، ولكن الإمام كان يتجاهل كل ذلك.

وهنا أذكر ما أعرفه عن القاضي



القاضي محمد راغب

محمد راغب؛ كان في أيام الحكومة العثمانية في الحديدة بوظيفة متصرف وأظن انها تعني محافظ لواء، وكان متصرفا بالحديدة أيام حرب الأتراك مع إيطاليا، وكان حسن الإدارة، والشباب الذين عرفوا أيامه يثنون عليه، ثم رجع الى اسطنبول، وبعد قيام مصطفى كمال راسله الإمام فخرج الى اليمن وكان يعمل مع الإمام بمنصب وزير الخارجية، وكان له حساد يشنون الدعاية ضده لدى الإمام، ولكنه كان رجلا محنكا، وقد تقرب الى الناس وكان يفتح بيته كل جمعة فيأتي الناس للسلام عليه، ويستقبلهم بحفاوة وأخلاق حسنة وكان ينادم الحاضرين لأنه قصصي وتاريخي فاندمج مع أكثر الناس، وكان صاحب حمية إذا شكى له أحد في مشكلة بلغ جهده في منفعته، وكان يجيد اللغات الفرنسية والانجليزية بالإضافة الى العربية ولغته التركية.

وكان كثير النصح للإمام، وكان يتجاسر عليه ويخاطبه بصراحة وكان الإمام يضطر اليه في المشكلات الخارجية، فيحلها، لأنه كان سياسيا ماهرا، وقد أعطاه الإمام البيت الذي كان يسكنه هو قبل ان ينتقل الى الدار التي بناها وسماها (دار السعادة) وكان راغب باشا صدوقا وصريحا لايجامل فيما يراه غير معقول حتى انه اذا اختلف مع الإمام في أمر من الأمور يقوم ويخرج من عنده حانقا ويرفض الوظيفة ويبقى في بيته حتى يرسل الإمام وفدا يسترضيه، وكان كذلك يختلف مع أولاد الإمام حتى مع ولي العهد، فيصارح الإمام بأعمال أولاده وبإدارتهم الفاسدة ويحذره من عواقب الفساد ووخامته.

أول تكذيب للإمام !

قلنا ان القاضي محمد راغب كان يراجع الإمام من أجل المسجونين ويسميهم مسجونين سياسيين، وكان يراجعه بإلحاح، فما

كان من الإمام إلا ان قال له: ياقاضي محمد.. لا تراجع للخبثاء وقد وصلتنا رسالة طويلة من محمد حورية يشكو من هؤلاء المفسدين ويقول انه سمع منهم كلاما كريها مفسدا للعقيدة والدين كلاما من يسمعه يكفرهم به فلا تراجع لهم أبدا. فما إن سمع راغب ذلك حتى حرر رسالة للسيد أحمد المطاع وذكر له فيها مارواه الإمام عن السيد محمد حورية، فما ان وصلت هذه الرسالة حتى قلقنا وذهب بنا الفكر كل مذهب وجافانا النوم، ولما كان وقت صلاة الظهر ودخل السيد محمد حورية المسجد فاتحه المطاع في الموضوع بأسلوب لين وقص عليه الخبر، فغضب السيد محمد حورية وقال: والله مالي عدو في الدنيا إلا اثنين هما إبليس ويحيى حميدالدين، والله إنه كذاب أفاك، كل مافي الأمر ان رسالة منه وصلتني يسألني فيها عنكم فأجبت: اني تباحثت معهم فوجدتهم شبابا علماء مدركين ليس فيهم مما يقال شيء ولكن الناس يتقولون ويكذبون، هذا خلاصة الجواب، والآن حرروا الي سؤالا وعاتبوني فيه وانا سأجيب عليكم بالحقيقة، فحرر له المطاع والعزب فأجاب جوابا طويلا وكذب فيه ماقاله الإمام فأرسل ذلك المطاع الى القاضي راغب فتعجب واندهش وعرف حقيقة الأمر، وكانت صفعة للإمام!

وسبب سجن محمد حورية انه كان عالما جليلا وكان الإمام يعتبره منافسا له وكان يخشى منه فحبسه في حبس القلعة لهذا السبب، ولم يكن هناك أي جرم أو ذنب اقترفه، وقد ظل في السجن عدة سنوات.

قلنا ان من عادة الحبس الإمامي ان يجمع فيه الناس على اختلاف ذنوبهم وقد كان من جملة المحابيس معنا السيد حمود أبو طالب الذي حبس بدعوى قتل فأوعز اليه الإمام ان يراقبنا وأرسل له بكتاب ليقرأه على المساجين وهو كتاب (العتب الجميل) لابن عقيل في مناقب أهل البيت، ومؤلفه معروف بالغلو في التشيع، وكأن الإمام أراد بذلك ليحصن المحابيس من أفكارنا ومانعدو اليه.

وكان معنا في السجن كذلك الشيخ قناف دغيش حبس من أجل شريعة (**مقاضاة المتخاصمين امام الحاكم**) واختلطنا به وشبعناه بالفكرة، وعرف كل شيء، واستمر بفكرته حتى قيام الثورة.

وعاد الأحرار بتوزيع الجرائد والمنشورات ومحسن الشرفي الذي كان لدى حاكم المقام العزي الوزير وكان يوزع الجرائد والمنشورات، كما في السجن النقيب حسن الشايف وكان يصغي الى ما نلقي عليه من المعلومات ولم يزل كذلك حتى استشهد في حجة عام ١٣٦٧هـ.

ما إلى أمك؟

كان الإمام يسأل الناس: مارأيكم في المحابيس الأشرار؟ فيقول بعضهم: والله لقد أرحتم الناس منهم، وآخر يقول: لقد حكمت فيهم حكما سماويا، ومنهم من يقول: لعنهم الله، والإمام منور بصيرة .

وذات يوم طلع الإمام ليرى الحبس الجديد، فوصل مدير السجن فسأله الإمام: كيف ضيوفك؟ فقال: مشدد عليهم، وكل بمفرده، فقال أحد الحاضرين: والله مايستحقوا إلا أن (تُجَغْمِنْهم) فصرخ الإمام: «ما الى أمك؟» وهي كلمة غضب يقولها اليمنيون، ومعناها: مالك ولهذا الكلام، وعند الغضب ما الى أمك يعنون: ما لأمك ولهذا الكلام. وقد قصد الرجل بكلمة (تُجَغْمِنْهم) أي تصنع بهم ما صنعت بالقاضي محمد جغمان ذلك الرجلَ العلامة المفتي الذي رفض مبايعة الإمام يحيى فأرسل له من اغتاله، وقد اسود وجه الإمام يحيى عند سماع هذه الكلمة لأنه ذكر الحاضرين بمافعله الإمام يحيى بجغمان وكذلك بالقاضي إسماعيل الردمي وكحيل وعبدالله المكرمي الذين قتلهم سنة ١٣٢٣هـ.

خمود نار الدعاية

وبعد ثلاثة أشهر بردت الدعاية ضدنا وبدأ الناس يتساءلون: ما سبب حبس هؤلاء الستة؟ واختلف الناس في السبب... واستطعنا افهامهم ان سبب حبسنا هو انتقادنا للحكم الإمامي واستنكارنا للظلم والتلاعب بالشريعة وسلب أموال الشعب.

ومما يجدر ذكره انه يوجد داخل السجن مسجد صغير وكنا نخرج للصلاة فيه ونجتمع بالسيد محمد حورية مدة ساعة نتذاكر فيها في علم الفروع والأصول وكان أكثر الحديث يصدر من عبدالله العزب، والناس يسمعون فيعجبون ولا يخرجون من الحبس إلا وقد حملوا عنا فكرة حسنة ومناقضة لما قيل... ويقولون: هؤلاء علماء (قلّك) نقصوا القرآن؟!

قلنا انه بعد ثلاثة أشهر بدأت نار الدعاية السيئة عنا تخمد وفتح باب المراجعة، وكنت أول من قدم مراجعة واتفقت مع أحد حراس السجن ان أدفع له ريالا واحدا مقابل عشر مراجعات يقوم هو بحملها ومتابعتها . وكان عامل صنعاء حسين عبدالقادر يراجع لنا ويؤيده القاضي محمد راغب ومن كلامه للإمام: مولاي اطلقهم لأن حبسهم سيلفت نظر الناس، وان قضية السلطان عبدالحميد أولها أشخاص ثم توسعت. ورحم الله القاضي راغب وعامل صنعاء فإن المعونة المالية كانت مستمرة منهما، وكان راغب يصل الى بيت المطاع يؤمّن عائلته . وكان من المراجعين لي القاضي عبدالكريم مطهر، وكان يطلع على مراجعتي ولم تعجب الإمام لأنها ليست مراجعة رجل عادي مثلي، فكتب لي القاضي عبدالكريم مطهر: تفأفؤا في مراجعتكم وكتب لي صورة مراجعة: مولانا أمير المؤمنين حفظكم الله وشرح صدركم بحق محمد وآله أنا قاصد الله ما أعرف شيء أرجو اطلاقي يامولاي لا أظلم وانتم في الوجود ...

خادمكم محمد صالح السنيدار

صدى قضيتنا في الخارج

أول صحيفة نشرت عن المساجين في اليمن هي صحيفة الشورى لصاحبها محمد علي الطاهر بمصر وكان أول مقال تنشره بعنوان: الإمام يحيى ملك اليمن يزج بدعاة الإصلاح في اليمن الى سجن القلعة والذي يرأسهم السيد أحمد المطاع. ومقال آخر بعنوان (أحمد المطاع وحزبه يدعون الى الإصلاح ويطلبون من الإمام إصلاح الوضع القائم في اليمن) واستمرت الصحيفة تنشر عن اليمن وتنتقد الأوضاع القائمة.

وكان الإمام يتهم المطاع والعزب بأن لهما صلة بصاحب الصحيفة ويقول: هذا النَّفَس من هذا، وكان عنده من هذه الصحيفة بعض أعداد وبها مقالات للمطاع قبل أن يسجن، فقد كان السيد أحمد المطاع يرسل بمقالات اليها وأذكر منها مقالا عن العبيد الذين كانوا مماليك لسيف الإسلام محمد بن يحيى الذي غرق في البحر وقد كان اعتقهم ولم يرض الإمام يحيى بالعتق بل أنكر ولما نشرت المقالة تراجع. ومقالا حول الثياب التي خلفها محمد بن يحيى المذكور وكان الإمام يريد بيعها في السوق. ومقالا ثالثا بعنوان: (ماذا استفادت الحكومة اليمنية من الحرب مع السعودية؟) استفادت توقيف رئيس المجلس العالي السيد العلامة زيد الديلمي وعزل العلامة القاضي أحمد الجرافي عامل بلاد آنس بسبب انتقاده أوامر الإمام باسترجاع معاش الجيش الذي حارب

العلامة زيد الديلمي

السعودية حيث عقد الصلح وكان باقي على نهاية الشهر عشرة أيام فامتنع الجرافي ولم ينفذ أمر الإمام كما امتنع السيد علي عبدالله الوزير.

استمرت المراجعة مني ومن المحلوي بلين وبصورة مستمرة، أما السيد أحمد المطاع وأخوه وعلي الشماحي وعبدالله العزب فكانت مراجعتهم بلهجة قوية نظما ونثرا، فكان الإمام يحتفظ بالشعر الذي يصل اليه من المطاع والعزب وكذا الرسائل المطولة من علي الشماحي.

اجتمع السيد أحمد المطاع بزملائه الخمسة وقال: من الأحسن ان تستمر المراجعة من واحد حتى يتزحزح الإمام والرأي ان تكون المراجعة من العزي صالح والمحلوي، فاستمرت المراجعة مني، وقام الحاج محمد السنيدار رحمه الله بالمراجعة، وبعد بضعة أشهر ما شعرت إلا ومدير السجن ينادي: العزي صالح السنيدار، فخرجت الى مكان السجانين وصادف اني اغتسلت وصليت الضحى، وإذا صاحبي أيام التشيع الحاج علي حسن كباس والحاج عبدالله الحضرمي وكيل الإمام، فبمجرد نظره الي صاح: صل على النبي وآله، والله ان الوجه المنور وجه توبة، أنا أعرف بصاحبي ولم يغرر به إلا الشياطين. ووعظني الحاج عبدالله الحضرمي وحثني على التوبة ليرضى عني الإمام، فقلت: أناتائب، فقال: امدد يدك فمددت يدي، وقال: احلف بالله أنك ستخرج من مذهب الدعيس وان تصلي على النبي وتحب آل محمد وتقرأ دلائل الخيرات،وظننت ان الإطلاق أصبح قريبا ولكن لم يتحقق ظني. وكنت مشفقا على علي هاجر لأنه قائم بالدكان وبالمصاريف، فبلغنا انه لاقى مخاوف وسب وشتم، حتى امتنع عن فتح الدكان ثم عاد بعد أيام بتشجيع من القاضي عبدالكريم مطهر على الفتح.

وكان علي هاجر يقوم بمنافعنا بكل جهده، ولم يزل الحاج أحمد محمد السنيدار يكرر المراجعة بالرغم مما في نفسه علينا، لأنه

بلغه أحد الكاذبين الحاقدين اننا نتكلم في عرض القاضي عبدالله العمري والقاضي محمد راغب وعامل صنعاء.

أذّنوا قبل دخول الوقت !

ولم يسمع الإمام الى أي مراجعة، وبعد أيام عطف القاضي عبدالوهاب الشماحي على ابنه فأرسل له فرشا الى الحبس وذهب الى الإمام ليراجع له، وكان القاضي عبدالله العيزري موجودا عند الإمام فقال له العيزري: لا تراجع ياقاضي فولدك وأصحابه أذّنوا قبل دخول الوقت!

وفي ربيع الأول عام ١٣٥٥هـ وصل الينا النقيب حسن الشايف مسجونا، وتفاهمنا معه ودخل معنا في الصف، وعده السيد أحمد المطاع قوة ونصرا لقضيتنا. وبعد أيام تحسنت سمعتنا وأحس الإمام بأن الناس بدأوا يفهمون سبب حبسنا فبدأت أجوبته تلين، وكان يشكو لمن يراجعه بشأننا: ماذا يريدون مني؟ من يؤمنني من ألسنتهم؟ اليمن في نعمة؛ أمان وشريعة واستقلال... ماذا يريدون.. هل يريدون نصارى؟

وفي تلك الفترة خرج الإمام الى منتزه القرية فأنشأ القاضي عبدالكريم مطهر قصيدة مدح فيها الإمام وأشاد بالأراضي التي اشتراها الإمام بالروضة، فأعجب الإمام بالقصيدة وقال: هذه القصيدة تستحق الجائزة، اقترح ياقاضي جائزتك للقصيدة.. فقال: اطلاق المحبوس العزي صالح السنيدار. فغضب الإمام وقال: طلبت المحال. لاأريد من أحد ان يكلمني في قضية المساجين أبداً. فقال القاضي: لا أرضى بجائزة غير رحمة الإمام، وعفوه يسع الجميع. فصاح الإمام وقال: ماتقول ياعمري؟ وكيف بباب الدكان التي ماتنفك من التجمعات، وهي أضر من غيرها لأنها تجمع الناس على اختلاف أصنافهم، والسنيدار قالوا مازال يثرثر كمادته.

فقال القاضي العمري: سعادة الإمام سنبحث عن حل... وبعد أخذ ورد حرر الإطلاق ولكن تحير كيف يحرر الإطلاق فامر بتحرير الإطلاق بواسطة المجلس الذي يرأسه ولي العهد أحمد بن الإمام. وظلوا ثلاثة أيام وهم يدبرون كيف يكون تحريره، وبعد ذلك حرر الإطلاق بما معناه: مدير حبس القلعة يكون إطلاق العزي صالح السنيدار بعد أخذ الكفال من الحاج أحمد محمد السنيدار وأحمد بن أحمد صالح السنيدار بأن لا يعود في الخوض فيما لا يعنيه ولا يتكلم عن السلف، وإذا عاد فسيكون إخراجه من اليمن. وحرر الكفال على الشيخ عبدالوهاب نعمان الذي كان محبوسا من قبلنا ليخرج من السجن الى مكان حراس السجن.

خرجت من السجن ومحمد المحلوي رحمه الله قد بدأ فيه المرض، فقلت له إذا كان يريد ابقى لديه فسأبقى، فقال: قم اخرج حَجَرة وتزحزحت فلا تسل ماذا لقيت بعد خروجي من تبكيت وعتاب من الناس حتى من الفقراء الذين يعيشون في بؤس لامزيد عليه ويتلخص عتابهم في: قبحكم الله كيف تعترضون على الإمام الذي هو في مقام النبي هذا جنون أو نيصاب صدقتَ الأشرار؟ (نيصاب: **يطلقونها على من يرضى بتنصيب ابي بكر وعمر**).

ولما وصلت الى أحمد محمد السنيدار صاح في قائلا: حتى بيت الذين لولاهم لما خرجت من السجن؟ ولاقيت أسبوعا كأنه النار، وبعد أسبوع ثارت علي الدودة الزائدة فذهبت الى الطبيب الإيطالي (ديبوزي) فلما وصلت اليه كلمة المترجم (الحاج فلي) وقال له: هذا أحد المساجين السياسيين، اجتهد في معالجتي بكل رغبة.



المحلوي .. أول ضحايا الحرية

وبقي المحلوي في الحبس يعاني المرض فقمت بالمراجعة له بواسطة بيت مطهر،

فـأقسم الإمـام يحـيى يمينا مـغلظة أنه لن يطلقـه إلا إذا خـرج من صنعاء، فرفض المحلوي ووصل اليه حنش يراجعه بأن يخرج حتى الى الروضـة ليبـر بقسـم الإمام فـرفض، وبعـد ذلك أطلقـه الإمـام وخرج وهو مـريض فذهبت الى الطبيب ديبوزي وكلمه الحـاج فلّي فتـرك عمله وذهب الى بيتـه لمعاينته، فقـرر له الدواء فاسـتعـمله فنفـعه، ودفـعت للطبيب ثلاثة ريالات أجرة طلوعه للبيت فـرفض أخذها وقال اشتروا بها دواءً، لكن المرض عاود المحلوي مرة أخرى فقرر له الطبيب دواءً آخر دون فائدة، وكنت أزوره يوميا وفي آخر ليلة وصلت اليه وهو ملقي على الفراش فقلت له: بخيـر إن شـاء الله، فأشار لي بيده وأومأ بعينيه أني أعالج سكرات الموت. وتوفي رحمه الله في تلك الليلة، وفي اليوم التالي خرجت جنازته وكان أول ضحية من ضحايا الحرية وكان رحمه الله يردد الكلمة الخالدة في الشعب المغفل المسكين: «أريد له الحياة ويريد قتلي»...

مات محمد المحلوي الذي كان له الفضل في إخراجي من عالم الجمود الى عالم الحرية، المجاهد الصابر الذي لقي الأمرين في سبيل إيقاظ هذا الشعب النائم، مات الذي كان يحفظ من مشائخ السنة في الحديث ويحفظ في التفسير والتاريخ والرياضيات والطب وأحوال الدول الغربية والشرقية. وأما السياسة فكان مبرزا فيها ولولعه في البحث والاستطلاع فقد استعار التوراة والإنجيل المسماة بالعهدين القديم والجديد، استعارها من بيت سعيد يسر وهي التي ترجمت ووزعت في أيام السلطان عبدالحميد، وقد درسها المحلوي لدى الحاخام الكبير يحيى الأبيض الذي كان متبحرا في العلوم اليهودية والإسلامية حتى انه عندما اطلع على كتاب (إظهار الحق) لرحمة الله الهندي العلامة التاريخي الكبير الذاب عن الدين الإسلامي الذي جرت بينه مناظرة مع العالم المسيحي (فندر) في حيدر آباد وقد اطلع عليه الحاخام يحيى الأبيض وأيد بعض ماجاء فيه... درس عنده المحلوي التوراة والإنجيل كما ذكرنا وكان يحيى الأبيض دردعي المذهب مثل البروتستانت في المسيحية، وكان المحلوي يناقشه بأشياء معقولة والأبيض لا يعارضه، ولكن قال له ذات مرة: ياعزي أرجو ان تكون

مناقشتك ونحن وأنت ويحيى المشرقي فقط، فأنا لا أحب المناقشة أمام التلاميذ لأنه عندما يناقشنا بعض التلاميذ يكون جوابنا عليهم: «اقرأ واسكت وإذا لقيت وكسة دعممت» يعني وإذا لقيت ماتستنكره فتجاوزه بدون مناقشة، فالمشاكل كثيرة. وذات يوم خلا للمحلوي الجو مع يحيى الأبيض فقال له: أريد ان أسألك سؤالا ولو كان محرجا... فقال سل عما تريد. فقال: بالله عليك بصفتك قد اطلعت على كتب المسلمين اطلاعا كاملا فما رأيك في الدين الإسلامي؟

فقال الذي جاء به محمد عليه السلام هو الحق ولا ننكره، ولكن أين المسلمون اليوم؟ وأين ماجاء به النبي محمد؟ فقال: هل لك رغبة فيه وهل تحدثك نفسك بشيء؟ فقال: بالله عليك ياعزي أنا بين اليهود بهذا المنصب ومقدر عندهم بل وعند المسلمين وخاصة رجال الحكومة، فماذا ترى لو أسلمت ماذا سيكون موقفهم مني؟ إما أنظف القاذورات أو موقّر، هل سيقدرونني مثل أيام النبي «له مالنا وعليه ماعلينا ويؤتى أجره مرتين» ولكن لن يحدث شيء من هذا، بل سيسمونني يحيى المهتدي ومحتقر، من منهم سيزوجني بأخته أو ابنته؟ فهكذا أحسن لي والله المطلع على السرائر فسكت المحلوي وانتقل به الى حديث آخر..

دار حديث بيني وبين المحلوي ذات يوم عن رجال اليمن والجهل المخيم على اليمنيين فقال: النوابغ في كل العالم قليلون ومحاربون من الملوك وعلماء الجمود وأهل الأغراض والأطماع لاسيما في اليمن فإن ملوكها عزلوها عن العالم وحتى الآن في العصر الذي يسمونه عصر النور، والاستعمار والاستبداد هما السبب في ضعف الدين ولم يبق من الدين إلا القشور، ولا تظن أن اليمن ليس بها نوابغ ولكنهم يعدون بالأصابع وأريد أن تعرف الرجال المفكرين وهم الأحرار الذين لم يتقيدوا بمذهب، بل ان مذهبهم الكتاب والسنة، هذا عن العلماء وثم مفكرون بعقول صحيحة من المشائخ والقضاة والفقهاء وقليل من التجار، سأعرفك بمن أعرف منهم ولابد انك

ستعرف أو قد عرفت بعضهم، ولكن الغشاوة والغفلة جعلتك تنظر اليهم بعين البغض فأجبت عليه: نعم قد عرفت أشخاصا ولكني كنت أسمع عنهم انهم يبغضون أهل البيت، وعرفت انها دعاية ضد كل من خالفهم، وأخذنا نسرد رجال اليمن في القرن الرابع عشر الهجري ومالاقوه من متاعب، وسيأتي ذكرهم أثناء المذكرات.

وقبل الانتقال الى الخطوة التالية بعد الخروج من الحبس سنعود قليلا الى الوراء لتقصي بعض المواقف التي لم نذكرها مما كان قبل السجن.

توسع مجلسنا وكان المحلوي يبث أفكاره في أوساط الناس وأحمد المطاع التزم بعالم البياض المعممين وغالبيتهم من المتعلمين **(كان اليمنيون يختلفون من حيث ملابسهم بحسب درجاتهم الاجتماعية والثقافية؛ فالحكام كلهم يلبسون العمائم وهي لاتعني كل ما يلبس على الراس كما هو معناها اللغوي، بل تعني قطعة من الشاش قد تكبر وقد تصغر ويلبس الشخص ما يسمى (بالقاوق) وهو كوفية غليظة محشوة بالقطن أو بمواد من الحشائش تخاط بخيوط من الحرير وتطوى العمامة على هذه الكوفية. وقيل ان العمامة المعروفة في اليمن بشكلها الحالي من أصل إيراني، وهناك طلبة العلم كلهم يلبسون العمائم، فالعمامة عنوان على أن لابسها يفهمم من علم العربية والفقه شيئا قل أو كثر. وهناك القبائل الذين يلبس بعضهم ما يشبه العمامة ولكنها من ثوب مصبوغ بالنيلة وقد اختفى هذا النوع الآن. وهناك من يلبسون قطعا من القماش قد تكون مخططة وقد تكون بدون خطوط أو شالا يلبسونه على رؤوسهم أمافوق كوفية من القماش أو الخيزران أو بدون كوفية وهذه تسمى سماطة وتتدلى منها ذؤابة خلف الرقبة.)**

وانضم الينا كثير من الناس مثل السيد محمد موسى والقاضي علي الحضرمي وأصحابه ومن المدرسة العلمية ومن الموظفين وكل فئة من هؤلاء تضم اليها أشخاصا آخرين، وكانت تحصل مواقف سياسية وتاريخية وعلمية من أروع مايكون، وكان ذلك يريح المحلوي فيقول: ماكنت أحلم أن هذا سيحصل إلا بعد مدة طويلة. وعندما يرى من يضمهم المجلس يستريح ويعد نفسه بأنه قد انتصر

انتصارا كبيرا ويبث مافي صدره ويناقش بحرية، وممازاد في تشجيع بعض الإخوان الشيخ حسن الدعيس رحمه الله فإنه كان يؤيد المحلوي، ولكونه واسع الاطلاع وفقيها فقد كان يزيد الموقف حماسا.

وأول من قبل الفكرة وفهمها بسرعة وهو مازال حدثا الحاج علي بن محمد السنيدار، وكذلك الحاج أحمد بن أحمد عبدالله السنيدار، والحاج عبدالله بن محمد عبدالله السنيدار، ولكن علي محمد برز عليهم بشجاعته وصراحته.


الحاج علي محمد السنيدار

وكان المجلس ينتقل بعد المقيل الى مسجد الجديد من المغرب الى بعد العشاء وتحصل هناك مذاكرات ويحضرها أشخاص كثيرون منهم السيد محمد عبدالرحمن الظفري والفقيه حسين سعد المعافا وآخرون، وبعد المذاكرة في المقيل وفي المسجد يقول المحلوي: هل تأملت الذين يسمعون حديثنا؟ ولو تألموا فقد (لطعت) يقصد تركت أثرا. وكان المجلس يضم العشرات من الإخوان، وكان أقطاب المجلس والذين يديرون الحديث أحمد المطاع وعبدالله العزب ومحمد المحلوي والشيخ حسن الدعيس، وأحيانا يحضر مجلسنا محمد بن زيد الملقب المفرح، وكانت المناقشة حول التاريخ وتقدم الأمم وحالة المسلمين، وكنا نجمع المصادر من الكتب القديمة والحديثة كمؤلفات المنفلوطي والعروة الوثقى والمنار ودائرة المعارف ومن كتب السنة كمؤلفات السيد محمد بن إسماعيل الأمير ومحمد بن إبراهيم الوزير وابن تيمية والمقبلي وغيرهم.

أما فقهاء الشيعة والمتعصبون فقد كانوا يهاجموننا ويبثون دعاية ضدنا بالجائز والمستحيل بالسب واللعن حتى سلطوا علينا الأولاد الصغار؛ فكنا إذا خرجنا من المقيل يستقبلنا هؤلاء الأولاد بالهتافات: لعن الله معاوية، لأنهم أفهموهم أننا نبغض الإمام علي بن أبي طالب ونحب معاوية، وكذلك العوام في الأسواق والحمامات والطرقات.

وكنت عندما أصل السوق يصيح أهل الدكاكين: ياالله بحق محمد وآله ، وكم سب وكم شتم، ومواقفنا كلها تصل الإمام.

مواقف سرية !

كان للمحلوي وجماعته مواقف سرية مخصوصة وكانت العيون عليهم، وذات يوم كان جماعة يمشون منهم المحلوي ومحمد إسماعيل الردمي والحاج عبدالله سنين وأحمد المطاع والد الشهيد، وآخرون فألقى الردمي عليهم سؤالا هو: ما قولكم هل البلاء جوهر أو عرض؟ فأجابوا كلهم : البلاء عرض بالاجماع، فقال المحلوي: أنا مخالف للاجماع وأقول إنه جوهر، فقالوا: ماديلك وأين هو؟ وكان الإمام في مجلسه اليومي لمواجهة الناس، فأشار الى الإمام بيده وقال: ذاك هو البلاء، ولو مثل البلاء لكان شخصه، وقال: كل واحد منكم يتفرس ماذا سيكون أمره؟ قال عبدالله سنين: سيحكم البلاد ويفقر الشعب وهم يدعون له! قال المحلوي: ستغلو الأسعار في أيامه وما ارتفع سعره فلن يعود. قال محمد الردمي: سيفقر الناس حتى يغلقوا الدكاكين بالخيوط. قال أحمد المطاع: ولن يموت حتى يمقته ويبغضه أهله وأولاده.

وكان المحلوي يخالط الناس ويتنازل ويسايرهم حتى في الخرافات ليكسبهم، وكان ممن يسايرهم الحاج عبدالله عصدة ومحمد كابع وحسن غانم وكان هؤلاء مشغولين بالكيمياء وعلى

طريقة القدماء، ومن رفقائه حسن الرخمي وهو قدير في علم الحساب والرمل والحاج علي توفيق، وكانوا يحضرون مع أهل الكيمياء وكان أشدهم ولعا به محمد كابع، وكانوا ينصحونه بقولهم: أفنيت عمرك وأفنيت ماتملك أربعون سنة وأنت على هذا الحال ولم تحصل على شيء. فأجاب عليهم: قرب وقت التحصيل وإذا لم يصح شيء هذه المرة (فحُزْوِيَة طعيمة) يقصد فزورة لطيفة. ولم اذكر هذه القصة إلا ليعرف القارئ أن المحلوي كان كما يقال (لا يعيب سلاح) أي يجامل ويتحين الفرصة ليبذر.

وكان الحاج عبدالله سنين يذهب صباحا الى المحلوي ويقول له: بالله عليك ياعزي تعال نقم بجولة نتذاكر ونحجم يشبه ما يبثونه مما في صدورهم كالحجامة التي تخرج الدم الفاسد. قال عبدالله سنين أعجبت من المحلوي بكلمة هو انني عزمته ليخرج عندي الروضة، وكان ذلك في اليوم الذي وصل فيه الإمام يحيى الى الروضة، وقد وصلت لاستقباله عشرات الألوف من صنعاء من القبائل المجاورة ولما رآه المحلوي قال عبدالله سنين: مارأيك؟ فقال: التسليط على الشعب بعينه، قال: كيف عرفت؟ قال: إنه لم يشبه أحدا وليس له شبيه في الناس.

وكلمة ثانية أعجبت بها منه؛ انه حينما بنى الإمام يحيى دار السعادة وشرع أولا في بناية السور، ولما مر المحلوي مع أصحابه قال: انظروا الى البناء ومافيه... فقالوا ومافيه؟ قال: مواشيق❖ قال: هذا يظهر سوء نية الرجل وأنه ينوي الخيانة وكل خائن خائف.

❖ الذين يبنون بيوتا حصينة تصلح للحرب يجعلون في البيوت وفي أسوارها منافذ تصلح لتوجيه البندقية ليرمون منها وتسمى (مواشيق) ويحتمون بها عند الحصار

تدبير العمري في مسألتي

طلب القاضي عبدالله العمري الحاج أحمد السنيدار اليه وأبلغه ان الإمام لايريد عودتي الى الدكان للخياطة، وقال العمري: أرى أن يرهن العزي صالح بصيرة مما يملكه في الغيل الأسود لدى مولانا الإمام ويعطونه ألفي ريال يفتح له بها تجارة بجلب بضاعة من عدن وهي حرفة بيت السنيدار، ولا يخوض في أي شيء وليعلم ان العيون تراقبه ولا يخفى شيء. فاستلمت المبلغ وذهبت الى عدن.

وكان إطلاق القاضي علي الشماحي في رمضان ١٣٥٥هـ ، وفي سفرتي الثانية الى عدن قضى الله حاجتي وربحت فأرجعت فلوس الإمام وماوصلت من عدن إلا وقد كان إطلاق السيد أحمد المطاع وأخيه محمد وعبدالله العزب، وكان سبب إطلاقهم هو مراجعة السيد عبدالله بن قاسم حميد الدين لأنه صهر أولاد المطاع، وكفل عليه بأن لا يسلكوا ولا يخوضوا في السياسة ولا في غيرها.



صاحب المذكرات في عدن

وصل الي السيد أحمد المطاع وتحادثنا في أشياء منها الحالة في عدن، فقلت له: لم أر في عدن أي نهضة أو تقدم سوى أنه قد فتح ناد اسمه (نادي الإصلاح) واجتمعت بالشيخ أحمد الأصنج الذي تعرفه وبشيخ البهرة خير الدين الذي واساكم الى الحبس. فقال لي: اسمع ياعزي الآن خرجنا من السجن ومعلومك إنا لا نقدر على الفراق ولا على أي عمل، وإذا اجتمعنا فستسمع انتقادا ولوما،

ولكن يجب ان نتحمل، ومن اليوم نخرج معا للدورة(**نزهة سيرا على الأقدام**) ونتحمل الانتقاد، لأننا إذا افترقنا ثم نجتمع فيما بعد سيثار حولنا ضجة، فمن اليوم نجتمع ونصبر على كلام الناس الذي سيبرد بعد حين. فوافقته على رأيه، وقلت له: لي اقتراح عليك وهو ان تختلط بالتجار وعامة الناس، لأن اعتزالك الناس سيجعلهم يقولون انك متكبر. فوافق على ذلك.

ومضينا في خطتنا فلاقينا انتقادات وعتابا ولوما لمدة شهر حتى يئس الناس وتركونا، وكنا نروح للمقيل يوم الجمعة والسبت عند الحاج أحمد محمد السنيدار، فأعجبوا بالمطاع وبأخلاقه، وزين المجلس بالمذاكرة العلمية والتاريخية فأولعوا بنا واستمررت في مزاولة السفر الى عدن للتجارة.

تعين بعد اطلاق المساجين علي الشماحي حاكما في وصاب السافل، وعبدالله العزب حاكما في وصاب العالي، السيد محمد المطاع كاتبا لدى السيف عبدالله. أما السيد أحمد المطاع فلزم البيت لأنه أقسم بالله أنه لن يراجع الإمام أو العمري في وظيفة قط، وبقي على ذلك سبعة أشهر.

وهنا أذكر مسألة : عندما خرج الثلاثة المذكورون من السجن اقترح راغب عليهم ان يذهبوا الى الإمام للسلام عليه، أما أنا فامتنعت لأن لي عدة أشهر منذ أطلقت من السجن واعتذرت للقاضي عبدالله العمري وعلي يحيى الهمداني. ولما وصلوا الى مقام الإمام مع القاضي محمد راغب بعد الظهر، وظل الإمام يتشاغل عنهم الى بعد صلاة العصر، ولم يفتح أي كلام... فقال راغب: مولاي أولادكم وصلوا اليكم. وكان حاضرا في المجلس محمد بن الهادي الملقب أبو نيبة، وأناس آخرون، فالتفت الإمام ووجه الخطاب نحو السيد أحمد المطاع، وقال: هؤلاء الأشرار ماذا يريدون مني وماذا ينتقدون؟ أمنت البلاد، أقمت الشريعة، حفظت استقلال اليمن، فتحت المدارس، أحييت العلم... هذا الشيطان

الرجيم (يقصد أحمد المطاع) يكتب مقالات ضدي ويرسل الى الصحف خارج اليمن، وأنا أعرف نَفَسه. ثم وجه الخطاب الى أبو نيبة: يا صنو محمد لوترى المقالات والشعر البليغ حقهم شعر، شعر لكن واأسفاه على ألسنتهم أين تذهب؟ هذا.. هذا.. بَحْر رَجْرَجْ(**حارة في صنعاء يسكنها من كان يحتقرهم الناس فهو بهذا يشتمه)** قالوا انه من أولاد العباس بن علي، من ياصنو محمد هذا العفط **(كلمة صنعانية تعني الجلف)** قرّيت، بزيت، ربيت، ورجع علَي. واستشهد بقول الشاعر:

ومن يصنع المعروف في غير أهله يلاقي الذي لاقى مجير أم عامر

بزاهـــا ورباها فلما ترعرعت ....

ونسي الشطر الأخير والتفت الى الحاضرين وقال: بزاها ورباها فلما ترعرعت.. ومه؟ فلم يجب أحد فاستدعى عبدالكريم مطهر، وقال: ما بعد البيت يامطهر؟ فقال: لاأحفظه في هذه الساعة. فالتفت الى أحمد المطاع وقال: هاهو الشيطان الرجيم لابد انه يحفظه، فقال المطاع:

فرته بأنياب لها وأظافر

فصاح الإمام وصفق بيديه وقال: إيْ والله.. فرته بأنياب لها وأظافر، واستمر يردد الشطر الأخير ويصيح: أنا لم أعجبكم؟ تريدون نصارى؟ ويصيح حتى ظن الحاضرون انه سيرجعهم الحبس.. وبقي على ذلك الى قبل المغرب، ثم حول لهم بستة أقداح شعير ولم يخرجوا من عنده إلا وقد ضاقت أحوالهم قبل المغرب وهو يرعد ويبرق ويتوعد كل من يعترض أو ينتقد.

ذكرت أن الذي أعاننا على نشر الفكرة هو حكم الإمام وأولاده وأعوانه وسوء تصرفهم، ومن ذلك أنه أتاح المجال لليهود في التجارة وجعلهم ينافسون التجار المسلمين، وكان يتساهل معهم في

العوائد التي كان على التجار دفعها مثل السماسر (**مخازن كبيرة يودع فيها التجار بضائعهم)** والبرك والحراسة وغيرها (وهذه كلها تكلفهم مصروفات) أما اليهود فتصل تجارتهم وبضائعهم الى بيوتهم وليس عليهم من ذلك شيء.

وكذلك مزاحمة أولاد الإمام للتجار وتدخلهم في التجارة. وثالثا دخول الشركة الإيطالية الى صنعاء وقيامها بمزاولة التجارة في البن وكانت تسمى (لزريني) وكان وكيلها بصنعاء السيد أحمد الحيوتي، وقد استمالت القبائل الذين يزرعون البن فتضايق التجار من ذلك وخاصة أولاد الحاج عبدالله السنيدار الذين لاعمل هم سوى تجارة البن، وهنا قررنا ان نجرهم الى صفنا ولكنهم كانوا متخوفين ومتحفظين ولا يصارحوننا إلا إذا كان المجلس خاليا.

الصحفي القعطبي

كان مما نحرص عليه مراسلة محمد علي الطاهر صاحب صحيفة الشورى بمقالات يكتبها السيد أحمد المطاع، وأول ما نشر مقالا عن العبيد الذين أعتقهم محمد ابن الإمام يحيى وكان أنكر ان ولده أعتقهم، وكذلك مقال عن الثياب التي تخص محمد أيضا، حيث أراد الإمام بيعها وتسلسلت المقالات حول الحكم في اليمن، وكانت إذا وصلت الصحيفة الى الإمام يطلب عددا من جريدة الإيمان ويضمها الى صحيفة الشورى ليقارن بين مافيها من كلام المطاع ومافي تلك، وكان المطاع ينشر ذلك باسم مستعار هو (القعطبي) وكان الإمام يقول: «بحيث» وهذه الكلمة كانت قسما يقسم به، فكان يقول: بحيث... ان هذا النفس ويشير الى صحيفة الشورى من هذا النفَس ويشير الى جريدة الإيمان.

وأذكر هنا قصة تدل على حنق الإمام يحيى على المطاع إذ حرر مقالا عن السعادة ومرضى الأخلاق وحمل فيه على البخل وجمع

المال، وقد استشهد بالأبيات التالية:

سيد الناس من يجد ويسعى ... لرقي البلاد دنيا وأخرى
والسخيف الذي تصدر بالما ... ل أو العلم فازدرى الناس كبرا
يحسب الناس ما سواه ترابا ... وهو من بينهم تكون تبرا
ليت هذا السخيف كان حمارا ... للنبيل الذي تقدم ذكرا

فقامت قيامة الإمام واستدعى عبدالكريم مطهر وصاح : من حرر هذا وأنت المسؤول؟ قال: المحرر هو أحمد المطاع. فأرسل للمطاع وقال: يامطاع مال الجريدة؟ فقال المطاع: مالها؟ وظل يكرر: مال الجريدة؟ والمطاع يقول: مالها عدة مرات، ورجع الى عبدالكريم مطهر وقال: يامطهر أنت المسؤول. فأجاب: «أنا بينحررها بلاش مالك ذلحين؟» يعني أنه يحررها مجانا فماذا تريد؟ (كلمة تقال عند الغضب) فقال: «كذاب أنا ذاك بيندي لك قبايل» يقصد أنه يعطيه قبائل ممن لهم قضايا ليحرر لهم أجوبة يأخذ منهم أجرة عليها، ورجع الى المطاع وقال: «بحيث.. لأقيدنك إذا لم تسلك»، «فرجع المطاع الى مكانه وحرر له كتابا شديد اللهجة ومما علق بذهني منه قوله: إذا كنت سأحمل على الأدهم فأنا مستقيل وأقدر أعيش. ولكن الإمام يحيى كان لبيبا فناول العمري الكتاب وقال له انظر ماذا يريد هذا العفط. فقال المطاع للعمري: لا أقدر إلا لوظيفة واحدة، إما محرر أو مصحح أو مشرف، فقال العمري: ماذا تريدون ياسيدي الصفي؟ فقال: أولا ان أحرر في بيتي وأصحح وألتقط الأخبار ولا أقدر على الكتابة وأنا في المطبعة والناس ذاهبون آيبون أو فاتركوني، فقال القاضي: لك هذا ولكن لاتزيد الحملات المؤلمة، قالها وهو يضحك. فقال: أنا أخاطب الناس في الخارج مالي وللإمام؟ لأنها جريدة رسمية ولسان الإمام؟ فضحك القاضي وقال: هو كذلك، والتزم المطاع بيته، وهي أمنيته إذ انفلت من رباط المقام، ورجع للمقيل عندي، وكان يحرر ويصحح عندي في المقيل وفي بيته وأنا فوق مكنة الخياطة ففشل الإمام مع السيد أحمد المطاع.

أجل ذكرت أن أول بزوغ الفكرة كانت همسا في الآذان بتخوف شديد، وفي سنة ١٣٥٠هـ أصبح الكلام علنا عندما وجد الأحرار مكانا للاجتماع وهو في بيتي خمسة أيام في الأسبوع ويومين في بيت عبدالله السنيدار، وبعد أن بدأ المجلس بأشخاص قلائل وهم المحلوي والسيد أحمد المطاع وأخوه وحسين السياغي والدعيس وعبدالله العزب وعبدالله حسن الثور وعلي أحمد هاجر وصاحب البيت، ولكن بعد أشهر اتسعت الحلقة وظهر أشخاص كانوا متكتمين فلما اتسع المجلس وكثر الإخوان وكل ينشر الفكرة من جهته فأحمد المطاع والدعيس والعزب وأتباعهم والسيد محمد المطاع ورفقاؤه وهم الحاج أحمد السياغي وأولاده وعبدالسلام صبرة وغيرهم، وكان عامل صنعاء يتحين الفرص لمن يتقبل الفكرة من مدنيين وقبائل ممن يحضرون مجلسه، وكذلك مجلس علي عبدالله الحضرمي وجماعته مثل عبدالخالق الزبيري وغيرهم، أما عبدالله العزب ومحمد موسى فقد كانا يصبان اهتمامها على المدرسة العلمية وانضم اليهما عدد من الطلبة، أما المحلوي والعزي صالح فقد كان عملهما يتجه الى السوق وضموا اليهم أناسا، وأما السيد أحمد المطاع وجماعته فقد انتشروا بين المعممين وكبار الشخصيات، والجميع ديدنهم خدمة الفكرة وكسب أنصار جدد.

وكان أحمد المطاع على اتصال بالقاضي يحيى الإرياني وولده عبدالرحمن، وفي أول ملازمتي للمطاع كنت ألاحظ منهم التحفظ مني حتى أفهمهم أحمد المطاع فاطمأنوا، وكان القاضي عبدالرحمن الإرياني أكثرهم اطمئنانا الي وكذلك الشاب المخلص الطاهر القاضي علي بن يحيى الإرياني الذي توفي وهو في عنفوان الشباب، كما كان للمطاع اتصال بالسيد محمد زبارة وكان مجلسه جيدا إذ كان يوعي الكثير من الناس، وكذلك ولده أحمد زبارة إذ كان له آنذاك نشاط كبير مع زملائه وخاصة ابني القاضي أحمد



إسماعيل الجرافي

الجرافي وهما إسماعيل ومحمد، وكان أحمد زبارة وإسماعيل الجرافي يصارحان الإمام وطلبا منه تكوين مجلس شورى، وكانت إجابته عليهم: إن النبي ﷺ لم يكن له مجلس شورى. ولا تنكر أعمال أحمد زبارة ولا أعمال ابني الجرافي حتى قيام الثورة.

وأول من عرفنا من العسكريين الأدباء الظرفاء هو السيد أحمد المروني.

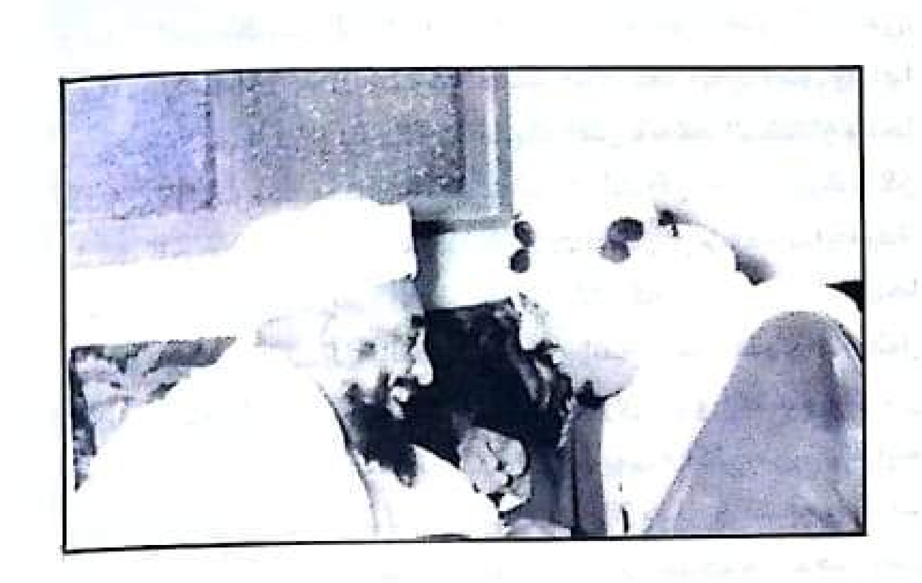


احمد المروني

وأول من اشترك في الصحف والمجلات -وكانت تنشر بين الإخوان- هو القاضي علي الحضرمي اشترك في مجلة نور الإسلام وغيرها، والسيد العلامة زيد بن علي الديلمي اشترك في مجلة الفتح التي كان يصدرها محب الدين الخطيب، أما السيد أحمد المطاع فكانت تأتيه صحف ومجلات كثيرة مبادلة؛ إذ كان يرسل لهم جريدة الإيمان، وكانت هذه الصحف يتداولها الإخوان جميعا وخاصة الصحف التي كانت تكتب عن اليمن مثل صحيفة الشورى.

ذكرت ان الإمام أفسح المجال لليهود ليمارسوا التجارة، وانه سمح لشركة إيطالية بتجارة البن، وانه تدخل هو وأولاده في التجارة مباشرة، وأعطى بعض التجار مالا للمضاربة، وهذه هي الأسباب التي جعلت دعايتنا ضد الحكم تلقى قبولا عند التجار، وعندما أحس الإمام بتبرم التجار حاول ارضاءهم بإنشاء شركة تجارية ومنحهم امتيازا في تجارة التنباك ووضع شروطا بأن لا يسمح

لأحد التجار بالسفر الى الخارج ماعدا الشيخ علي يحيى الهمداني، وساهم الإمام في هذه الشركة بخمسمائة ألف ريال، وكان وكيلها في عدن الشيخ عمر باصالح، والشهيد علي محمد السنيدار بالمخا وتعز، وكل فرع له مكتب ورئيس وقد كانت الأرباح كبيرة، ولكن نشبت الحرب اليمنية السعودية فانتهت بعض البضاعة بالحديدة، وبعد انتهاء الحرب ألغى الإمام امتياز الشركة، وكان من ضحاياها الحاج محمد عبدالله السنيدار الذي انتحر من القهر، لا أقول انتحارا بأن قتل نفسه لئلا يتوهم القارئ فهو التاجر والرجل العارف، بل ان وفاته كانت بعد مرض لم يمهله أكثر من ثلاثة أيام من شدة القهر، ولم يمت -رحمه الله- إلا بعد ان تشبع بفكرتنا وفهم خطة المحلوي والمطاع والدعيس وكان مذهبه مذهب أهل السنة.



الحرب اليمنية السعودية

لما نشبت الحرب السعودية اليمنية واستسلم فيها الإمام وأمر بالانسحاب من ميدي الى زبيد بعد ان كان يظن انه سيدخل الى الرياض، لأن الاقتصاد السعودي في ذلك الوقت كان منهارا وتعتمد الحكومة السعودية على موسم الحج والجمارك فقط وليس هناك معادن ولا زراعة ولا بترول، بينما كانت اليمن غنية بزراعتها، وظن الإمام انه سيهزم السعودية فكان ماذكره التاريخ وتناولته الصحف، وظن الأحرار مثل المطاع والمحلوي والعزب والدعيس وغيرهم من الإخوان ظنوا انهم سيفرحون بانتصار السعودية ولكن الحقيقة كانت عكس ذلك، فإنهم قاموا بالدعاية ضد السعودية لا انتصارا للإمام بل خوفا على البلاد؛ إذ ان مرادهم ان تقوم اليمن بإصلاح نفسها برجالها، حتى ان القاضي عبدالكريم مطهر استدعاني الى

بيته، فلما وصلت اليه بادرني بقوله: ياعزي نريد ان تعرفوا الحالة، وهاهي اليمن في حرب مع السعودية فاليمن هي يمننا، وماغرض السعودية إلا أخذ اليمن والسيطرة عليها وإذا تحقق ذلك -لاسمح الله- فستستغلها اقتصاديا وتستولي عليها استيلاءا كاملا، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يعتقد السعوديون أننا مشركون فكونوا حيث الظن، فعرفت ان خطابه ليس خاصا بي وإنما هو خطاب لجميع الإخوان، فأجبت عليه: إني والإخوان يعرفون هذا ويخافونه ويتكلمون بما ذكرتموه والغرض عندنا وعندكم هو الإصلاح ولانريد غير الإمام. فقنع بجوابي.

قلت إن الإخوان خافوا من استيلاء السعودية على اليمن وظنوا انه بعد انتهاء الحرب سيقوم الإمام بتغيير الأوضاع والشروع في الإصلاح حتى انهم هموا بالرد على ما نشرته السعودية في الكتاب الأخضر وأرادوا إصدار كتاب باسم (الكتاب الأحمر) ولكنهم رأوا ان يتريثوا الى ما بعد الحرب فإما إصلاح وإما الاستمرار في الجهاد، فلما انتهت الحرب قام الإمام بنشاط في أطماعه وظلم الرعايا أكثر مما كانت عليه الأحوال قبل الحرب، فقرر الإخوان الاستمرار في التوعية والنشر، فقام المطاع بعمله وهو التحرير والمراسلة لصحيفة الشورى إذ نشر مقالا بعنوان: (ماذا استفادت اليمن من الحرب السعودية وماذا عملت؟) وقال كلاما معناه: استفادت اليمن بعد الحرب السعودية عزل القاضي أحمد بن أحمد الجرافي من عمالة آنس والسبب أنه تم الصلح بين الإمام يحيى وعبدالعزيز آل سعود ، وكان الإمام قد صرف مرتبات الجنود، ولما رأى أنه صرف المرتبات للمحاربين وكان بقي من الشهر عشرة أيام فأمر بتحصيل قسط العشرة أيام من الجنود فاعترض عامل صنعاء حسين عبدالقادر كما هي عادته لأن جسده مع الإمام وقلبه مع الأحرار، فرفض الإمام ذلك، ولما وصل الأمر الى القاضي أحمد


هكذا كان حال الجندي اليمني!

الجرافي راجع الإمام ولما رأى إصرار الإمام على ذلك رفض تنفيذ الأمر فعزله الإمام، فذكر المطاع في مقاله هذه القصة وأسهب في الموضوع وكان التوقيع تحت اسم (القعطبي).

ثم نشر مقالا آخر تحت نفس العنوان (ماذا استفادت اليمن من الحرب السعودية؟) فقال: استفادت أيضا ان غضب الإمام على العلامة الكبير السيد زيد الديلمي غضبا شديدا وقد كان عينه رئيسا للمجلس الأعلى وأمر بسجنه في محل عمله، والمراد إهانته، لأنه كان صريحا وكثير المعارضة للإمام يحيى، وأسهب الشهيد المطاع في مقاله، وهكذا استمرت المراسلة لصحيفة الشورى حول الحكم الفاسد في اليمن والاستبداد المطلق.

وعند عودتي من الحج جاءني الى مسجد الأبهر القاضي عبدالله العراسي والعطاب ومحمد الفسيل وغيرهم فسألوني عن أحوال مكة وحكومة السعودية وأحوال الحج، والمشاريع التي تقيمها السعودية، لأنهم كانوا لا يثقون بكلام غيري، فوصفت المشاريع والسبل المعدة للشرب والنظافة والأمان والحكم الحازم وكيف الفرق بين أيام الأشراف وهذه الأيام، وختمت كلامي بالثناء على الإمام والدعاء له، ثم أصف مانلاقيه في ميناء الحديدة

من متاعب وعذاب وتلاعب المسؤولين هناك، وفي أثناء حديثي أقول: ياخسارة! السعودي يعمل هذه الأعمال مع أنه خارجي، وأسبه ثم أثني على الإمام وأدعو له لأنه ابن النبي ﷺ وإمام حق... وهكذا، فيجيبون علي: دعنا من هذا واذكر لنا أحوال مكة والمدينة، ونحن نعرف ان السعودي مخالف للإمام، والإمام من أبناء النبي ﷺ... يقولون هذا على وجه السخرية. ومما قلت لهم: والله إننا في أيام الشريف كنا نتمنى شربة من الماء، والسعودي وفر الماء في الطرقات والشوارع، ولكن ما جعلني أبغض السعودي هو انه كتب على السبيل الذي بناه خارج زمزم: هذا مابناه الإمام عبدالعزيز آل سعود.. سمى نفسه الإمام وهو ليس من أهل البيت، وكانوا يبتسمون مني ويتعجبون من تضارب الادراك والعقيدة.

المفكرون من رجال القرن
الرابع عشر الهجري في اليمن

● من صنعاء:

القاضي علي المغربي
السيد عبدالله بن إبراهيم
السيد حسين عبدالقادر
القاضي محمد حسن صبرة
السيد أحمد محمد الكبسي
القاضي أحمد صبرة
الحاج محمد سنين
محمد عبد الواسع الواسعي
صالح ساعد
حمود الخلقي
حمود الجنداري
محمد ريحان
علي توفيق
حسن محمد جغمان
عبد الله علي الكوكباني

حسين الرخمي
الحاج محمد السنيدار
الحاج صالح السنيدار
الحاج حسين الثور
القاضي محمد جغمان
محمد المحلوي
أحمد المطاع والد الشهيد
الشهيد أحمد المطاع
محمد أحمد المطاع

● ومن ذمار :

القاضي عبد الله العيزري
السيد أحمد عبد الوهاب الوريث
أحمد بن أحمد سلامة
السيد زيد الديلمي
القاضي علي الشماحي
القاضي محمد بن علي الأكوع (المؤرخ)
القاضي إسماعيل بن علي الأكوع
السيد محمد بن حسن راوية

● ومن إريان :

القاضي يحيى بن محمد الإرياني
القاضي عبد الرحمن بن يحيى الإرياني
القاضي يحيى علي الإرياني

● وهناك أشخاص لم أذكر من أي بلد هم مثل :

أولاد أبو دنيا

السيد محمد المنصور

السيد عبد القادر بن غالب

السيد عبد الله المنصور

القاضي شاكر

القاضي المسعودي

القاضي يايه

● ومن الحيمة :

القاضي عبد الله العزب

● ومن إب :

الشيخ حسن الدعيس

هؤلاء من العلماء والتجار، ومن المشائخ :

النقيب حمود شريان – من برط

محمد إسماعيل الردمي – من بني مطر

النقيب النيني جد بيت النيني – من خولان

النقيب جد بيت العذري – من أرحب

النقيب الشيخ حزام الصعر – من حاشد

جد بيت الحسيني من بني حشيش

الشيخ علي مطلق – من همدان

النقيب سنان السماط – من بني مطر

النقيب محمد خليل

النقيب علي بن راجح بن سعد – من عيال سريح

النقيب أحمد ناصر الرماح – من بني مطر

النقيب حمود يحيى العماد

الشيخ ناصر بن ناصر مبخوت الأحمر – من حاشد

الشيخ حسين بن ناصر الأحمر

النقيب مقبل دغيش – من بني الحارث

الشيخ نايف كحيل

وسأذكر ما أعرفه عن بعض المذكورين وأبدأ بالعالم الكبير القاضي علي المغربي رحمه الله.

القاضي علي المغربي

وهو العلامة الكبير، كان بحرا في العلوم الدينية ومن أكبر مشائخ علماء السنة، وكانت فتاواه في جميع العلوم وله الكلمة الخالدة التي حفظتها من أسلافي عندما خرج المنصور محمد بن يحيى من صنعاء للدعوة الى نفسه كإمام كاتب العلماء بصنعاء وفرض عليهم وجوب الهجرة من صنعاء دار الفسق كما قالوا فهاجر بعض العلماء وقال القاضي علي المغربي: أنا لن اتبع جرثومة الفساد.

العلامة أحمد الكبسي

السيد العلامة أحمد محمد الكبسي لم يستجب للمنصور، وكان من كبار علماء السنة وكان صريحا في خطاباته، وكان ملجأ لأهالي صنعاء وغيرهم إذا مسهم ظلم، ولم يتجاسر على مصارحة أحمد فيضي باشا سواه سواء في المنبر أو في البيت، ومن جملة ماقاله وهو على المنبر مخاطبا أحمد فيضي: ياحاج أحمد اتق الله، فإن الناس يشكون من الموظفين من رجالك الذين وليتهم، وسيقول الناس... قال فيضي: ماذا سيقولون؟ قال: سيقولون: يا الله. فارتدع فيضي، وكان من ولاته المشهورين بالظلم رجل اسمه مرزاح وكان يضرب به المثل، ومحمد هاشم وله الكلمة التي القاها عندما قرأ (الفرمان) وستأتي في محلها.

القاضي محمد صبرة

القاضي محمد حسن صبرة والد القاضي علي وعبدالسلام، كان مناوئا لبيت حميدالدين وله مواقف عظيمة، وعندما دخل الإمام يحيى صنعاء وسمع من الإمام إشارات وتلميحات فقال للإمام: كانك تريد الثالث، يلمح بذلك بأن أخويه اللذين كانا موظفين مع الأتراك، فقتلوا، فما وسع الإمام إلا ان يتجاهل، وعيّنه أخيرا موظفا في ماوية.

القاضي عبد الله العيزري

ومن علماء السنة وعظماء الرجال العلامة المجاهر بقول الحق في مدينة أغلب أهلها متشيعون وهو القاضي عبدالله العيزري من

ذمار، وكان مجاهرا بعلوم السنة، وتخرج على يديه كثير من أبناء ذمار، وكان لايخاف في كلمة الحق لومة لائم حتى أنه كان يصارح الإمام يحيى ولا يخشى منه، وكان من تلاميذه عدد من الشباب منهم أحمد عبدالوهاب الوريث وأحمد بن أحمد سلامة خطيب جامع صنعاء والقاضي إسماعيل الأكوع.

السيد عبدالله إبراهيم

وهو من كبار علماء السنة كان عالما وشاعرا يجيد خمس لغات العربية والتركية والفرنسية والفارسية والعبرية، وكان موظفا مع الحكومة التركية بمنصب (باش كاتب) في المحكمة وكان يديرها باقتدار، ومن العارفين بالتاريخ وطبيعة الحكم الإمامي، وكان ينتقد الأوضاع التي عايشها، وفي سنة ١٣٢٣هـ كان في الطويلة فوصل الى مسامعه ان الإمام أرسل له العبيدي (**مهمته اغتيال من يريد الإمام التخلص منه**) ليغتاله فما هو إلا ان عمل بالمثل الشعبي «قارب الخوف تأمن» فتوجه الى الإمام فلما وصل اليه أعرض عنه عدة أشهر وهو صابر حتى نفد ما بجيبه، وبعد ذلك قربه الإمام واستوزره، وبقي وزيرا له حتى سنة ١٣٣٧هـ حين استبدله بالقاضي عبدالله العمري وبقي بصنعاء مدة، وكان الإمام يحتاج اليه إذا جاء وفد من الخارج للترجمة، وعين عاملا في حيس وفي حراز.



العلامة عبدالله بن ابراهيم



الوالي التركي محمود نديم

موقفه من محمود نديم وأحد علماء الأهنوم

دار الحديث بين الوالي محمود نديم وهذا العالم والسيد عبدالله إبراهيم حول الحكم والوضع بعد ان تغير بدخول الإمام صنعاء فاحتج الأهنومي على محمود نديم قائلا: انك أنت الذي مهدت الأمور لدخول الإمام صنعاء وتسليمها اليه من الأتراك، وباسم الدين قاتلناكم بحجة أنكم أحللتم المكس والرشوة والفساد والظلم وو الخ، واليوم أحل الإمام المكس والرشوة وصارت أكثر وأكثر وقد سمعت أناسا يتمنون الحكم التركي، ولكي نكفر عن سيئاتنا جميعا لابد ان نحاجّ الإمام حيث يقسم في رسائله ودعايته انه لايريد من الدنيا شيئا إلا الغيرة على الدين وإقامة الشريعة وإزالة الظلم والفساد، فقال الوالي: هذا صحيح وقد وجب علينا القيام بالنصح والاحتجاج، واتفقا على ذلك فودعهما وخرج.

وبعد خروجه ضحك السيد عبدالله إبراهيم فتعجب الوالي وسأله عن سبب ضحكه فقال: ماكنت أظن الوالي يجهل الأمور،

والله إنا سنحكم اليمنيين ونجعلهم يتمنون الحكم التركي، وسنفقر اليمن ونستبد... ومع ذلك ستجد اليمنيين يدعون لنا مدة أعوام. فقال: بأي سلاح سيحكم الإمام اليمن الذي أعجز الأتراك مدة أربعين عاما؟ أين المدافع؟ أين السلاح؟ أين الرجال؟ فقال: عندنا سلاح أقوى من أي سلاح. قال: طائرات؟ قال: أقوى. قال: بالله صف لي هذا السلاح.. فقال: برنجي ايكنجي أوجنجي (**كلمات تركية تعني: الأول.. الثاني .. الثالث**) فقال: أوضح ما نوع برنجي؟ فقال: بثثنا في العوام في القرى والمدن الدعاية بأن أهل البيت هم الذين اصطفاهم الله وهم حجة الله في أرضه، فمن أحبهم نجا، ومن خالفهم هلك، ورضاء الله في رضاهم، وجعلنا الدعاية في كل مجلس وسوق، وألفنا كتبا في هذا. وعمت الدعاية كل تجمع؛ في الوليمة، في العرس، في الموت، في الاستسقاء، وحتى النشادون في السوق، والنشادات في مجالس النساء، وقصائد الشعراء وخطب الخطباء؛ كل هذه شحنت بهذه المعاني، حتى تمكنت هذه العقيدة في القلوب، وحتى ان الرجل يقتل المخالف للإمام سواء كان عربيا أو تركيا، يفعل ذلك وهو يطلب أجره من الله، والولد يعادي والده والأخ يعادي أخاه.

قال: فما ايكنجي؟ قال: هم فقهاء الشيعة في المدن والقرى، وهؤلاء بثثنا فيهم الدعاية وألفنا كتبا في الأحاديث الصحيحة التي أخذناها من الأمهات والصحاح وعزوناها إلينا، وكذلك الموضوعة، وفي الفروع والأصول والتاريخ والسير والقصص، وكلها تعزز في مجملها التشيع وحب أهل البيت، وقلنا لهم: من قرأ في غير هذه فهو ناصبي، حتى ان الأمهات الست وغيرها من كتب السنة لا يمكن أن يقرأها الشيخ لتلاميذه إلا في البيوت، وهؤلاء -أي ايكنجي- جعلناهم الدعاة لنا عند العوام، فإذا تظلم المواطن زجره الفقيه وقال: حرام عليك تعترض على الإمام فما فوق يده إلا يد الله، ورأي الإمام سديد، وهو أدرى وأخبر بكل شيء، ولا يفعل إلا ماهو مصلحة، وقد قال الإمام عبدالله بن حمزة: لافرق بين أعمالنا وأعمال الطغاة إلا بالنية.

قـال فمـا أوجنجي؟ قـال : هؤلاء هم المخـالفـون لنا، وقـد جـعلنا الصنفين يبثون الدعـاية ضدهم بـأنهم يبغضـون أهل البيت وانهم نصَبَة. وأوجنجي مثل بيت الأميـر الذين منهم السـيـد مـحـمـد ابن إسماعيل الأمير وبيت الشوكاني الذين منهم شيخ الإسلام الإمام محمد بن علي الشوكاني، وبيت المجاهد، وبيت السياغي، وبيت العراسي، والسيد العلامة الحر محمد بن إبراهيم الوزير حتى سلطنا عليه أخاه. ومنهم القاضي عبدالملك الآنسي وولده، والعالم النحرير الحر المقبلي صاحب (العلم الشامخ) وبيت العمري، وغيرهم، هؤلاء استدعياناهم وقلنا لهم بلسان الحال: نحن حكام اليمن وأنتم قد خرجتم مما نحن عليه، فإما ان تدخلوا معنا وتعيشوا وإلا فهذا، وهو السيف، فدخل البعض وخرج البعض، والذي خرج سلطنا عليه العوام وطاردناه...

فقال محمود نديم: عرفت عرفت، اسمع ياسيد عبدالله فينا نحن الأتراك من يعصي الله ويرتكب الفواحش ويظلم ويفسد، لكن أما ان نكذب على الله وعلى رسوله مثلكم فلا.

ومن الذين لم يستجيبوا لدعوة المنصور محمد بن يحيى حميد الدين، السيد محمد المنصور الملقب الأحمر، وسيدنا حسين العمري والقاضي عبدالملك الآنسي وابنه محمد وغيرهم من علماء السنة، بل أقاموا بصنعاء وظلوا بها يدرسون علوم السنة، وآخرون هاجروا الى المنصور.

ومن الرجال المفكرين من أهل السنة والذين كانوا ينددون بالأوضاع الفاسدة أولاد أبو دنيا وقد قتلهم الإمام يحيى.

ومن المفكرين أيضا الذين كانوا ساخطين على الأوضاع القاضي أحمد صبرة والسيد أحمد المطاع والد الشهيد أحمد المطاع ومعظم بيت الإرياني الذين منهم القاضي يحيى وولده عبدالرحمن والشاب الفاضل القاضي يحيى بن علي الإرياني الذي توفي وهو شاب كما ذكرنا.

واختتم الحديث عن العلماء المصلحين بذكر العلماء الذين سمعت عنهم وسمع الناس جميعا عنهم الذين كان يخافهم الإمام وقد قتل منهم الكثير، ويعدون من طلائع الفكر والحرية، وقد أفاضت كتب التاريخ وما يتناقله الناس عنهم، وهم:

- القاضي محمد جغمان
- القاضي إسماعيل الردمي

كما قتل الإمام يحيى شخصين ليسا علماء ولكنهما كانا على صلة بهم وهم:

- نايف كحيل
- عبد الله علي المكرمي

● ومن الأحرار والمفكرين من غير العلماء :

- الشيخ مقبل دغيش شيخ بني الحارث، الذي لم يستجب للمنصور، بل ظل مع الحكومة العثمانية الى ان أرسل له المنصور جماعة الى الروضة، وقد مكر به أحمد فيضي باشا ولم يرسل له نجدة إلا بعد ان أخذته جماعة المنصور، ولم يسمع عنه بعد ذلك، ومعلوم ان المنصور قد قتله وكان ذلك في عام ١٣١٦هـ.

- جد آل الحسيني من بني حشيش وكان يوصم بأنه من النصبة المعادين للحكم المنصوري، وقد اغتيل رميا بالرصاص في الروضة وهو على ظهر حصانه في وسط الحلقة في لعبة الخيل.

- ومن الرجال المفكرين جد آل النيني من خولان وكان يقال عنه ناصبي.

- ومنهم جد آل العذري من أرحب الشيخ صالح بن أحسن العذري.

- وكذلك الشيخ أحمد ناصر الرماح من بني مطر وقد ظل مناوئا للحكم الإمامي الى ان اغتيل على يد رجال من الشيعة.

هؤلاء من الجيل الأول الذين سمعت عنهم ولم أعرفهم، والآن نتكلم عن الجيل الثاني من المخضرمين الذين ادركوا الجيل الأول، وأبدأ بذكر:

- القاضي محمد إسماعيل الردمي ابن الشهيد القاضي إسماعيل الردمي وكان زميلا للمحلوي وجماعته، وكان مخالطا للمشائخ المفكرين والمنددين بالأوضاع، وأذكر له قصصا وكلمات تاريخية سمعتها من المحلوي، وسأذكر أولا حكاية عجيبة هي:

ان بلاد البستان أو بني مطر التي بها بيت ردم محل القضاة آل الردمي ومنهم القاضي إسماعيل والقاضي أحمد وغيرهم من إخوة القاضي إسماعيل وأبنائهم، وكانت قبيلة البستان من الشيعة المناصرين للأئمة، ولكنهم مع ذلك لا يقطعون في أي أمر إلا بعد الرجوع الى بيت القضاة بيت الردمي رغم انهم يعدونهم نصبة، وبعد اغتيال والده (إسماعيل) كان صريحا في نقده لتصرفات الإمام وكان ذا ذهن وقاد وعقل راجح وواسع الاطلاع، وقد وقع في يد الإمام فحبسه في شهارة ولكن في أي سجن؟ لقد أراد الإمام - والله أعلم- أن يموت على يد غيره في السجن، فأنزله في زنزانة كان فيها السيد حجر خال الإمام يحيى وكان السيد حجر هذا مجنونا بزعمهم وشجاعا، فلما وصل اليه الردمي لم يخف لأنه كان أيضا شجاعا وقويا، فحياه السيد حجر ورحب به وقال: قد ساقك هذا الظالم الي يظن أنني سأقتلك، استرح أنت في أمان الله وأنا وأنت في هذا المكان إخوان حتى يحلها الله علينا من هذا الظالم.

ومضت ثلاثة أيام ولم يسمع الإمام عنهما شيئا مما جعله ينقله من عند المجنون، ووصل رجال من بلاد البستان بفلوس ليراجعوا الإمام في إطلاقه فرفض فسلموا الفلوس للردمي وبعد ذلك اطلقه الإمام.

وبعد أيام عين ضمن الوفد الذي ذهب أيام السلطان عبدالحميد الى اسطنبول، ولم يتجاسر أحد من الوفد ان يصارح السلطان عبدالحميد غير محمد بن اسماعيل الردمي، حتى أعجب بجسارته وشجاعته الياوران، لأن أحدا لا يتجاسر على رفع الطرف الى السلطان من وزرائه وحاشيته، وهو الذي يقول فيه الشاعر:

وقف الدهر دونه خاشع الطرف مطيعا يروعه عصيانه

هل تريدون أن تربطوا له النساء ؟

وإليكم هذه القصة:

وصل جماعة من عقال بلاد البستان وقد رقموا اتفاقا بينهم على تحديد مهور النساء بمبلغ معقول ووقعوا عليها وحضروا بها الى صنعاء ليعرضوها على القاضي محمد بن إسماعيل الردمي وقالوا انهم سيعرضونها على الإمام ليعمدها وليأمر بضبط من يخالفها، فلما وصلوا الى الردمي وقع عليها وقال: يكفي ان تنفذوا ذلك بلا حاجة الى تعميد الإمام، فقالوا لابد من تعميدها من الإمام، فلما سمع منهم ذلك أخذها ومزقها وقال: يامغفلون يكفي أنكم ربطتم له الرجال، فهل تريدون ان تربطوا له النساء؟ فقنعوا ونفذوا الأمر بأنفسهم.

وبلغ ذلك الإمام فزاد حقدا عليه، وكان قد سمع ان محمد الردمي يجتمع مع بعض المشايخ ومنهم محمد حسن الرماح فأنذره وحذره بأنه إذا لم يترك الاجتماع بالرماح فسيعاقبه.

لابد من سيد !

وذات يوم سنحت الفرصة باجتماع بعض الرجال المفكرين من المشايخ وبعض أهالي صنعاء أذكر منهم المحلوي والردمي والشيخ حزام الصعر والعذري وآخرين، ودار الحديث حول الحكم الإمامي ومستقبل اليمن، وفي نهاية الحديث رأى الأكثرون انه لابد من قلب نظام الحكم، وقالوا: نحن مشايخ اليمن من حاشد وبكيل، وحزام الصعر ساكت لم يتكلم، فقالوا له: ما رأيك؟ فقال: افرضوا أننا قدرنا على قلب حكم الإمام فهل سيرضى الشعب بي أو بأحدكم أو أنه لابد من سيد؟ فقالوا: لا يمكن إلا أن ننصب سيدا بدلا عنه، فقال: مادام الأمر كذلك فهذا أهون وأسهل لأن أعماله ستقرب لنا الناس، فوافقوا على كلامه.

وبعد ان ادرك محمد بن اسماعيل الردمي ان حكم الإمام قد تمكن في اليمن انعزل وترك عمله كشيخ وبقي يزرع ماله بنفسه، وفي آخر أيامه توجه الى تعز ليبيع فرسه ليقصد بثمنه السفر للحج وكان بينه وبين السيد علي الوزير خلاف عندما كان عاملا في بلاد البستان فلما سمع الوزير بقدومه أرسل من يستقبله فلما وصل اليه رحب به وأكرمه وأعطاه أمرا الى العدين وعندما وصلها عرفه بعض أولاد علي باشا فأكرموه وتفاهم معهم وأعجبوا به. وعند عودته من الحج توفي رحمه الله في زبيد.

ومن الرجال شيخ همدان علي مطلق ورفقاؤه من مشايخ همدان مثل بيت دوده وغيرهم. وكان علي مطلق هذا أول من أسمع الإمام كلاما صريحا وجريئا، إذ قال له الإمام: من جعبلك وفعلك شيخ؟ فقال: الذي جعبلك وفعلك إمام وانت فقيه. وكان أول من رمى الى دار الإمام (دار السعادة) وحبسه الإمام وزملاءه من مشايخ همدان إحدى عشرة سنة ولم يطلقه إلا بعد ان استنفد كل ما يملك.

الشيخ حزام الصعر

كان من الناقمين على حكم الإمام وكان من ضمن الوفد الذي سافر الى اسطنبول والتقى بالسلطان عبدالحميد.

وذات مرة كان عند الإمام فجاء رجل يشكو الى الإمام بأن أحد باعة القات يغالي في الأسعار فأجاب الإمام: (برضاه) فخرج حزام الصعر وقال: قَرّحَ الضاد، والله انه من الآن لن يستطيع أحد ضبط أولاد السوق المغالين.

الشيخ حزام الصعر

النقيب حمود شريان

هو الرجل الحر الكريم وكان شيخ ذو حسين وكان أديبا سريع الأجوبة، كما انه كان مناوئا للحكم الإمامي ومطلع على مايدور من أمور السياسية، ومن كلامه لبعض الأمراء: أنا مستغرب لأعمال الإمام كأنهم يدرسون دراسة أخرى، أما نحن فلا يسمحون لنا بالقراءة إلا الى سورة الزلزلة وأنتم تقرأون (مطلع مطلع كيفه) يعني تدرسون كثيرا، بينما تمنعون عامة الناس من التوغل في الدراسة.

ومن نكته ما حدث له أيام الحكومة العثمانية: وهو ان بيت شريان كانوا مصاهرين بيت أبو فارع، فكان من بيت أبو فارع من وكلوا أحد وكلاء الشريعة ليطالب بميراث إحدى نسائهم من بيت

شريان، فلما أقيمت الدعوى في المحكمة الحنفية أمام القاضي التركي، فطلب القاضي الجواب على الدعوى من النقيب حمود شريان فأجاب: إجابتي بأنا لا نورث النساء، فغضب القاضي وقام وقعد وقال: وتنكر آيات الله يانقيب حمود؟ وفتح له آيات المواريث في المصحف. فقال: لا تغضب يامولانا القاضي، وأنا لا أنكر القرآن ولكن اسمع: عندكم علي أفندي الذي وضع القانون واسقط الحدود ومنها حد السارق وفتح له المصحف ليريه الآية، وحد الزنا وحد القتل وأبدل الآيات بمواد. ونحن لدينا (ابن زنباع) وضع لنا قانونا اسقط فيه ميراث النساء، فأحجم القاضي وتبسم وقال: أما أنك ذكي ولكن الشريعة غير القانون ولا أنكر ما قلت.

هم حق العام يامولاي !

وذات يوم حضر الى الإمام يطالبه في شيء، ولازال الإمام يماطله، فضيق على الإمام، فقال: يانقيب حمود انظر كم شغلة فوق الإمام وتراني فارش بالشريعة مثل القشام❖ انظر كم ناس حولي وكل يريد مني مطلوبه. فقال الكلمة التي تداولها الناس وصارت مثلا: «هم حق العام يامولاي» يقصد هم المراجعون الذين مازالوا يراجعونك من العام الماضي، فأخجل الإمام.

وحدث بينه وبين السيد عبدالله منصر الذي كان من قواد الحرب مع الإمام يحيى حدث بينهما شجار بسبب أن فرس أبو منصر هجمت على فرس حمود شريان فأحدثت فيها جناية بأن أحدثت بها كسرا، فترافع المذكوران وحكم لشريان بأن يسلم أبو منصر ثمانمائة ريال أرشا لفرسه فتمنع أبو منصر من تنفيذ الحكم مما استدعا حضورهما لدى الإمام، فأمر الإمام بتسليم الأرش وتصايحا فقال شريان: اشهدوا على هذا، وأشار الى أبو منصر،

❖ بائع البقل والكراث

فاحتج أبو منصر على شريان بأن الإشارة تعني السخرية، فقال الإمام: قول النقيب حمود هذا نسقط عليه مائتين ويسلم أبو منصر ستمائة، فقال شريان وأشار بيده الى أبو منصر: هذا هذا هذا وغلقوا له الحساب، كل هذا يامولاي بمائتين واحسبوا، فما كان من الإمام إلا أن أمر أبو منصر بتسليم الثمانمائة الريال.

وكان النقيب حمود شريان من أذكياء رجال اليمن ولا يعييه جواب، وكانت له مجالس أدبية ويستشهد الناس بكلامه في حياته وبعد مماته، وكان الإمام يحيى إذا وجه اليه كلاما أجابه بجواب مفحم، وكان الإمام يتحمل كلامه لأنه رئيس قبيلة مجاب ومتطلع فلم يسع الإمام إلا الصبر والإعراض عنه.

في بيته يهود !

وهذه قصة نادرة جرت له:

لما أعلنت الحرب العالمية الثانية وكان الإمام وقتها بالروضة والنقيب حمود شريان أيضا بالروضة، فجاء وفد بحري من فرنسا الى الإمام لمقابلته بالروضة، وصادف وصول يهود من أهل المشرق -أي من بلاد النقيب حمود- فأنزلهم النقيب حمود في بيته وفرغ لهم غرفة في أعلى البيت، فاستنكر بعض أهل الروضة ذلك وبلغ الإمام الخبر، فخرج النقيب حمود من بيته ورآه الإمام فاستدعاه وقال له: مه يانقيب حمود عندك يهود في البيت. فقال: نعم يامولاي (هم الوفد حقي) -يقصد أنه عندك وفد، وهذا وفدي، وإذا كنت تنكر علي ان وفدي من اليهود فوفدك من النصارى- فسكت الإمام ثم قال: وفي السقف الأعلى؟ فقال: نعم يامولاي قالوا انه ينزل عليهم الرجز (**رائحة كريهة تظهر بينهم**) فجعلتهم في أعلى البيت لئلا يخترق الرجز البيت، فأحجم الإمام.

أحمد المطاع وتاريخ اليمن



بعد أن خرج أحمد المطاع من السجن عين زملاؤه في وظائف إلا هو، وقد بقيتُ ملازما له الى شعبان ١٣٦٦هـ، وذات يوم قال لي: يظن الإمام والعمري أنني سأراجع في وظيفة كلا والله سأبقى الى آخر السنة وأخرج من اليمن. وفي شعبان وصل اليه الأمر بأنه قد تشكلت لجنة لكتابة تاريخ اليمن من ثلاثة أشخاص هم: السيد محمد زبارة والسيد أحمد المطاع والقاضي عبدالله الجرافي، وقد وزع العمل بينهم فمحمد زبارة يكتب من قبل البعثة النبوية الى خروج الهادي يحيى بن الحسين الى صعدة، وأحمد المطاع من تاريخ خروج الهادي الى أيام مطهر شرف الدين، والقاضي عبدالله الجرافي من أيام المطهر الى أيام الإمام يحيى حميد الدين، وكان الغرض من تعيين الفترة من تاريخ خروج الهادي الى أيام مطهر شرف الدين هو إحراج المطاع لأنه تاريخ مظلم وفيه المعاصرون للأئمة من الدول القحطانية وغيرها كبني زياد وبني رسول والأيوبيين وان المطاع سيعجز ولن يدري كيف يكتب، لأنه إذا تحرى الحقائق فإنه سيثلم في أعمال الأئمة من الهاشميين، وإذا غالط التاريخ وجامل وداهن فإن تاريخه سيلطخ، وقد قال له السيف عبدالله: ياصنو أحمد أمر الإمام بأن يكون التاريخ على منهج محمد كرد علي، وان تتحروا في الكتابة وتجعلوا الدول التي قامت في اليمن من القحطانيين أو غيرهم تجعلونهم هم المتغلبين وان الأئمة هم المالكين للبلاد، وهنا كانت المشكلة الكبرى، ولكن أحمد المطاع شمر عن ساعده وكتب بحكمة دقيقة خفيت على الإمام يحيى. وفي هذه الأيام وصل السيد أحمد عبدالوهاب



الوريث من ذمار وتفاهم مع المطاع ودبروا كيف تكون الحركة.

نعم .. بعد إعلان الحرب العالمية الثانية ارتاح الإمام ولسان حاله يقول: خلا لك الجو فبيضي واصفري.

وأراد ان يجعل أولاده أمراء في ألوية اليمن، أحمد في تعز وعبدالله في الحديدة، وحجة تابعة لأحمد، وفي إب الحسن، ومطهر في الجهات الشمالية من صنعاء، كما شرع يتنكر للعمري وغيره، وبدأ عبدالله يتدخل في الأمور العسكرية وفي أعمال العمري، وتولى قاسم وزارتي الصحة والمواصلات.

وظلت الحركة تنتشر بين المدنيين، ثم بين العسكريين، ومن الذين عرفتهم محي الدين العنسي وعبدالله السلال وأحمد الحورش والسيد أحمد المروني وغيرهم، وقد عادت البعثة العسكرية من العراق وهم متحمسون فحبس الإمام معظمهم، ومن المذكورين وممن عرفتهم أيضا زيد عنان وشخصيات من المدرسة.

وبعد ان تألفت لجنة التاريخ كانوا يجتمعون في بيت السيد محمد ابن محمد زبارة، وكان زبارة يبغض الإمام يحيى، وكان ولده السيد أحمد زبارة مع زملائه وقد اتصلت ببعض منهم كالقاضي إسماعيل الجرافي ومحمد الجرافي والقاضي محمد الخالدي، وكان كل منهم يقوم بنشر الدعاية ضد الحكم القائم باليمن، أما السيد أحمد زبارة فقد كان يصارح الإمام بشجاعة، وهنا أذكر ان محمد زبارة ومحمد أبو طالب فرا الى تعز فأبرق الإمام الى الوزير بأن يقبض عليهما لكنه مكنهما من الفرار الى عدن، ومنها توجها الى العراق.

وكانت دفة الحركة بيد السيد أحمد المطاع، وكانت المكاتبة بين المطاع وبين الأحرار في تعز وإب وذمار مستمرة وكذلك الحال بين المطاع والسيد علي الوزير، وبينه وبين العزب، وقد اتصل العزب

بأشخاص في تهامة ومنهم الحاج الخادم غالب.

وفي هذه الأيام توجه أحمد بن يحيى الى تعز فأشار المطاع على علي الوزير بأن يستأذن للحج حيث أحس ان الإمام قد دبر الأمر ضده فاستحسن الوزير رأي المطاع وذهب للحج.

منشورات

كان المطاع وإخوانه في صنعاء يدبرون مسألة المنشورات، وهي أول ضربة للإمام وأولاده، وكنا نجتمع في بيتي سرا؛ السيد أحمد المطاع وأخوه والحاج أحمد السياغي وأولاده وعلي توفيق وآخرون، وبينما نحن في ذلك إذ أعلنت الحرب العالمية الثانية، وكانت الجرائد تنشر عن اليمن، فلما اعلنت الحرب استراح الإمام وظن انه سيفعل مايريد ويضرب كل من ينتقد حكمه بزعمه انه من الأشرار، وخرج من باب قصره بالروضة صائحا: ياعمري أعلنت الحرب بين النصارى والحمد لله البنزين معنا متوفر.

وقد ملأ إعلان الحرب صدر الإمام سرورا وانشراحا وأمر بإيقاف صحيفة الإيمان، وتبجح وظن انه سينفذ كل مايريده ولكن خاب ظنه فما لبثا غير شهر وإذا بمنشور يلقى في شوارع صنعاء وفي أبواب بيوت حاشية الإمام وعلى جدران بعض المساجد، وخلاصة هذا المنشور:

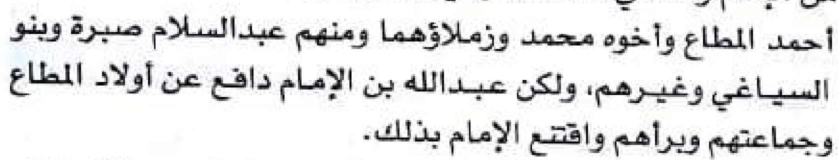
ما قولكم رضي الله عنكم في رجل تولى أمور المسلمين ونهب أموالهم وأفقرهم، وكنز الأموال وصرفها على نفسه وأولاده، وو..الخ، هل يجوز قتله وإراحة الشعب منه؟

فلما اطلع الإمام على ذلك فزع فزعا شديدا وظل يبحث عن الخط ومن يكون كاتبه، فاتهم القاضي محمد الخالدي، وصح أنه



محمد أبو طالب

هو فحبسه وأمر بجلده، وحبس السيد محمد أبو طالب والقاضي محمد محمود الزبيري والصفي محبوب وغيرهم، ثم نفى محمد الخالدي الى حبس وشحة والقاضي محمد محمود الزبيري وزميله محمد أبو طالب الى الاهنوم لأنهما القيا الخطب الرائعة عقب صلاة الجمعة وكانا يتكلمان بصراحة وبلهجة شديدة على مرأى ومسمع من الإمام وكنا في قائمة المتهمين أنا والسيد



أحمد المطاع وأخوه محمد وزملاؤهما ومنهم عبدالسلام صبرة وبنو السياغي وغيرهم، ولكن عبدالله بن الإمام دافع عن أولاد المطاع وجماعتهم وبرأهم واقتنع الإمام بذلك.

وكانت نتائج المنشور الأول كبيرة وأولها انه كان سببا للتعارف بين الناس ففي صنعاء تعارفنا مع جماعة من طلاب المدارس والموظفين والعسكريين والسوقة المغمورين الذين وجب علي ذكرهم لئلا يهملوا .

وتعارف أحرار صنعاء بأحرار إب وتعز وذمار وبعض المشايخ والعلماء، وأذكر من الأشخاص العاملين في صنعاء الذين ربما لن يذكرهم أحد: القاضي حسين العنسي وعلي عامر وأحمد المقعش وحسن الكبوس ومحسن الشرفي والحاج محمد عكارس وعلي أحمد هاجر والحاج علي محمد السنيدار وعبدالله أحمد حسن الثور وأحمد بن أحمد عبدالله السنيدار ومحمد عبدالواسع الواسعي وحسن لطف الثور.

ومن العسكريين عرفت حمود الجايفي وأحمد المروني وعبدالله السلال وحسن العمري وزيد عنان ومحيي الدين العنسي وأحمد الحورش ومن إب محمد صبرة والقاضي إسماعيل الأكوع وأخوه محمد وبعض أعضاء الجمعية التي كان يرأسها القاضي

عبدالرحمن الإرياني، ومن المدرسة السيد يحيى المطاع وحسين المقبلي وغيرهما. ومن الأمراء عامل صنعاء وولده وعبدالسلام صبرة وعبدالله الشماحي والسيد علي بن علي زبارة. ومن العلماء: الصفي الجرافي وولداه. ومن المشايخ: الشيخ علي محسن باشا والشيخ قناف دغيش والشيخ علي راجح والشيخ علي الرويشان وبعض مشايخ خولان ومنهم الشيخ علي الغادر، ومن تهامة ممن جرهم القاضي عبدالله العزب الى صفه مثل الحاج الخادم غالب ومحمد حسين الزهيري وغيرهما ممن لا أعرف أسماءهم. ومن ذمار من جماعة السيد أحمد عبدالوهاب الوريث القاضي أحمد سلامة وغيرهم .



علي بن علي زبارة

وبعد توزيع المنشور الأول تغيرت وجهة الإمام نحو أولاده ورجع الى أعوانه واستعان بهم فهدأت العاصفة قليلا، ولما أحس بعض أعوانه ببرود الإمام نحوهم أوعزوا الى بعض القائمين بالحركة يستنفرونهم الى معاودة المنشورات وان هذا واجب عليهم للنهي عن المنكر، فتحركت المنشورات بكثرة من جهتنا وجهة عبدالسلام صبرة وبني السياغي ومن جماعة الشيخ عبدالوهاب نعمان ومن المدرسة والعرضي ومن تعز ومن إب، فقامت قيامة الإمام، وعرف السيد أحمد المطاع ان هذه المنشورات يستغلها أمراء الإمام ليزداد بهم تشبثا وركونا، وكان أحمد المطاع وزملاؤه يريدون ان تكون هذه المنشورات بنظام ولكن لم يقدروا على إيقافها فقد اندفع الناس اندفاعا فظيعا.

فكان رد الإمام على ذلك بأن شدد الحراسة وبث الجواسيس ولكن أعوانه كانوا يغضون الطرف لأنهم هم الذين يجنون ثمار هذه المنشورات.

نقل المعركة الى الخارج

محيي الدين العنسي

وقد فر محيي الدين العنسي وأحمد الحورش الى مصر، وأحمد محمد نعمان ومحمد محمود الزبيري الى عدن، ومن هناك قاما بنشر المنشورات كما كررا ارسال الرسائل الى الإمام يحيى والى أناس آخرين خارج اليمن.

وكان الشيخ عبدالوهاب نعمان رحمه الله هو حلقة الوصل بين صنعاء وعدن.

وفي الدفعة الثانية فر أحمد الشامي وزيد الموشكي ومطيع دماج وعبدالله أبو راس، وكان هؤلاء ينشرون المقالات في صحيفة (فتاة الجزيرة) وحدث ان عبداللطيف بن راجح وصل بمنشورات وبطاقات اشتراك ولكن التوزيع لم يكن محكما فأدرك بعض المسؤولين ما يقوم به ولكن القاضي حسين مطهر نبهه وقال له: انج بنفسك فالكلام يدور حولك، وسعى له بأن يذهب الى تهامة للتداوي.

العلاج بالمخدرات !

ولما توالت المنشورات في كل أسبوع بل في كل يوم فكر الإمام في ما يخدر به الناس، وهداه تفكيره الى عدة مخدرات:

- وزع ثيابه على العلماء والقراء.

- أمر بقلع عشة الأثل التي كانت تسقى من الورشة.

- أمر بتوزيع صدقة في صنعاء وغيرها شهريا؛ ففي صنعاء خصص لكل ربع من أرباعها موزعين، وقد عينت أنا وأحمد عبدالله الحضرمي للربع الجنوبي من صنعاء، فتخدر الناس بهذا ولكن المنشورات لم تنقطع وقام عبدالسلام صبرة بتحرير منشور يتكلم عن الصدقة بالثياب البالية، وان الإمام ما أراد بذلك إلا ذر الرماد في العيون ومغالطة الناس، وقد عرضه علي قبل نشره وقد استحسنا نشره، فقامت قيامة الإمام يحيى وأولاده، وبالمقابل ارتاح أمراؤه، ورحم الله السيد حسين عبدالقادر عامل صنعاء الذي كان مع الأحرار وكان ممن شارك في توزيع المنشورات.

وممن شارك في توزيع المنشورات الى المحلات الهامة السيد علي بن علي زبارة، وكذا الحاج محمد عكارس الذي استعان ببعض خدم الإمام ليضعوهن في المكان الذي يجلس فيه الإمام.

البعثة العسكرية العراقية



جمال جميل

ومما هو جدير بالذكر وصول البعثة العراقية الى صنعاء، وهي بعثة عسكرية أرسلت لتعليم الجيش اليمني، وكان رئيسها إسماعيل صفوت، ومن ضمنهم جمال جميل الذي اتصلنا به وتفاهم مع معظم الأحرار من مدنيين وعسكريين، وسنفصل الكلام عنه في وقت لاحق.

مضت سنوات والفكرة تزداد

انتشارا وطرأ جديد إذ وصل برنامج (حزب الأحرار) فوصل القاضي إسماعيل بن علي الأكوع الى صنعاء بكمية منه جاء بها من ذمار، ووصل الى باب دكاني، وأخبرني بما جاء به معه، نظرت اليه وهو شاب وسيم فتعجبت من ذلك وقلت في نفسي: شاب وسيم ويعيش في سعة ويقوم بدور في القضية بشجاعة، فقلت له: ياأخي ما حملك على هذا؟ يكفي ان ترسل بها مع مكري ❖ موثوق به ممن لا يؤبه له، لأن وصولك الى صنعاء سيلفت الأنظار ففهم هذا.

وفي اليوم الثاني أو الثالث وصل الي السيد علي بن علي زبارة ومعه نسخة من البرنامج وقال: اقرأ هذا واحرقه بعد اطلاعك عليه ولا تطلع عليه أحدا ولا تتركه دون أن تحرقه، وأضاف: وعندي في البيت كمية منه سأقوم بتوزيعها، ووصل الي الحاج محمد عسلان وحذرني بقوله: لاتقبل وصول إسماعيل الأكوع الى باب دكانك فالكلام حوله يدور وقد سمعت ذلك بأذني، فلما وصل القاضي إسماعيل أخبرته الخبر وقلت له: إذا سُئلت لماذا جئت الى صنعاء فقل للدراسة لدى السيد زيد الديلمي، أما الفرار من صنعاء فسيؤكد التهمة.

وجبة معاجين!

كان القاضي يحيى السياغي وأخوه محمد غير موجودين بصنعاء، فكان ان وصلا وقد انتشرت الجواسيس حول بيتهما وحول عبدالوهاب نعمان والسيد محمد زبارة وحول بيت أحمد المطاع وأخيه محمد وكذا حول عبدالسلام صبرة، وحول بيتي، وبعد العشاء وصل الي الحاج محمد عكارس وأحمد المقعش وعبدالسلام صبرة جاؤوني الى البيت وقالوا: هذا الكتاب (حزب الأحرار) يجب

❖ الذي يكري حماره للسفر عليه، كان ذلك قبل وجود السيارات

ان ننشره في الشوارع وغيرها، ولكنا قررنا ان لا نفعل ذلك إلا بعد مشاورة أحمد المطاع ومشاورتك، فهل توافق؟ فقلت: ماذا قال المطاع؟ قالوا رفض ولكنه قال: شاوروا العزي صالح إذا كان سيوافق، فقلت: أنا غير موافق أبدا للأسباب التالية:

- انتشار الجواسيس
- ان نشره في صنعاء لايفيد.
- ان نشره خارج صنعاء أكثر نفعا
- ان أولاد السياغي وصلوا قبل يومين وسيتهمون، والعين مركزة علينا وخاصة إسماعيل الأكوع وجازم الحروي، ولكنهم اصروا على نشره في تلك الليلة واتهمونا بالجبن والخوف، فانصرفوا ونشروا منه كمية، وبعد يومين اعتقل أولاد السياغي وجازم الحروي وإسماعيل الأكوع وعبدالسلام صبرة وعبدالوهاب الشامي. وكنت أنا وأحمد المطاع وأخوه محمد ممن حوتهم ورقة المعتقلين، ولكن دفع الله عنا الشر والحبس بسبب فعل الخير:

من يفعل الخير لم يعدم جوازيه

لا يذهب العرف بين الله والناس

قامت الجواسيس بتقديم الأوراق الحاوية لأسماء الأحرار الى الإمام وأولاده، فلما وصلت الى الإمام صاح بأعلى صوته على ولده عبدالله وسأله: أين أولاد المطاع؟ وماذا يعملون؟ فقال: يامولاي أولاد المطاع موظفون لدي وأنا مراقب لهم بالإضافة الى أنني جعلت عليهم عيونا.

ابن الإمام مكلف بمراقبتي!

وبالنسبة لي فقد كان إسماعيل بن الإمام هو المكلف بمراقبتي وقد كلف من يراقبني في السوق، وفي كل مكان اتحرك اليه، فحرر ورقة حوت فيمن حوت أولاد المطاع والعزي صالح السنيدار وعلي محمد السنيدار وغيرهم. فكيف نجونا؟ سبق ان قلت ان المعروف لا يضيع، فقبل حوالي عام من تلك الأيام كان السيد غالب بن عبدالقادر بن غالب ملازما لأولاد الإمام وخاصة إسماعيل، وقد سبق ان حبس في حبس القلعة، وكان فقيرا معدما فأرسل لي كتابا في التفسير ومعه رسالة يقول فيها انه معدم وليس معه فراش ولا غطاء ولا مايأكل فاسعفوني ياولدي، فأرسلت له بفراش وفلوس، فكانت عنده مروءة كبيرة خرج من السجن ولم ينسها. وعاد بعدها الى مرافقة أولاد الإمام وعندما رأى الورقة التي حوت اسمي وأولاد المطاع عند إسماعيل بن الإمام، وكان عازما على تقديمها للإمام، فقال له السيد غالب: والله انكم تخلقون لكم أعداء من الشارع والله وبالله ان العزي صالح وأولاد المطاع يحبون الإمام وسيوف الإسلام وإنما هم ينتقدون على الوزير والعمري الذي يلعب بالإمام ويغريه على أولاده، وظل معه في أخذ ورد حتى أقنعه فنزل إسماعيل الى الإمام وأقنعه وكان ذلك مؤكدا لما قاله عبدالله ابن الإمام عن أولاد المطاع، ونجونا بذلك بسبب فعل الخير ومعروف السيد غالب.

وبعد ذلك أصبح الإمام لايقبل كلاما غير كلام أولاده، وكنا والله على شفا ولكن الله سلم. وبعد ذلك أمر الإمام بإحضار المساجين اليه في الروضة وهم جازم الحروي وعبدالسلام صبرة ويحيى السياغي وحمود السياغي والقاضي إسماعيل الأكوع، ثم



يحيى السياغي





حمود السياغي



محمد السياغي

أمر بإدخالهم الى صنعاء، وبعد بضعة أيام طافوا بهم في شوارع صنعاء وعليهم السلاسل والأغلال، ثم ساقوهم الى تعز حيث جمعوهم بالمساجين من إب وهم الشيخ حسن الدعيس والقاضي محمد الأكوع ومحمد أحمد صبرة، وكذلك من جبلة ومنهم علوي وغيره، وبالمساجين من تعز ومنهم السيد محمد بن علي المطاع وقاسم غالب والشيخ محمد حسان وعبدالقوي الشعبي وغيرهم.



محمد الاكوع

ولما التقى الكل في تعز كان نفيهم الى سجن حجة وكان من هؤلاء المساجين من لا يملك مالا بل في غاية الفقر والحاجة وتركوا عائلاتهم بدون شيء ولكن الله لطيف بعباده ويعلم من قام بمواساتهم سرا وعلانية، وكانت المساعدات تصل الى الشيخ عبدالوهاب نعمان من خارج اليمن فيشتري لهم القماش وأقوم أنا بخياطتها وإرسالها مع (مكرين) موثوق بهم كما اني أنا وأحمد المطاع عملنا ما يعلمه الله، وكان ممن يواسي المساجين وعائلاتهم الحاج أحمد محمد السنيدار والحاج علي محمد السنيدار رحمه الله وكذلك الحاج محمد عكارس والحاج عبدالله محمد ابراهيم

صبرة الذي كان يواسي عائلة عبدالسلام صبرة وكنت اشترك معه وأشجعه على ذلك.

عبدالسلام صبرة

حيلة ونجحت !

بعد مضي عام على المساجين في حجة هداني الله الى فكرة فنفذتها إذ عملت برقية الى الروضة للإمام باسم والدة عبدالسلام صبرة ولم يطلع عليها أحد سوى الحاج عبدالله صبرة وهذا معناها:

مولانا أمير المؤمنين أيدكم الله

اشتد علي المرض وأشرفت على الموت استرحمكم ان ترحموا لحالي إما بإطلاق ولدي عبدالسلام صبرة أو منحه رخصة ليصل الى صنعاء فأنظر اليه وأودعه.

والدة عبدالسلام صبرة

ولما عرضتها على الحاج عبدالله صبرة استبعد نجاحها،وكنت بين بين وقلت له: قيمة البرقية ريال إذا لم تنفع فلن تضر، وذهبت لسحب البرقية وسلمت الريال وأكدت على الموظف بأنه إذا عاد جواب فليرسله الي، وفي آخر نهار ذلك اليوم وصل الرد، ومعناه:

من الإمام الى والدة عبدالسلام صبرة قد رحمنا لحالك لا تقلقي فقد أطلقنا ولدك من حبس حجة.

ولما وصلني الجواب في وقت المغرب ذهبت مسرعا الى بيت عبدالسلام صبرة وبشرتهم ودموعي تذرف من الفرح ولشدة سرور أهله، وحمدت الله على التوفيق.

نعم هنا توسعت منطقة الفكرة وخاصة في المدن وتحركت الصحافة وخاصة صحيفة الصداقة التي كان يرأس تحريرها عبدالغني الرافعي في مصر، اذ كانت مهمة في اليمن وكانت تندد بالحكم الإمامي وبأولاد الإمام وأعوانه.

وهنا أذكر الناس الذين اشتركوا في الجهاد كلا بقدر حاله وهم أصناف :

- الصنف الأول : الذين ساهموا في توزيع الصحف والمنشورات كما ساهموا بالمال.

- الصنف الثاني : الذين ساهموا بالتوزيع ولكن ليس لهم مال ليساهموا به.

- أما الصنف الثالث : فهم المتعطشون للاطلاع على ما ينشر ويطالبون بالحاح، ولكنهم لايمدون أيديهم بالمساعدة بشيء خوفا من الإمام، وقد وصلت الى الحاج يحيى عسلان وكان من أغنى من في صنعاء وطلبت منه المساعدة فلم يسمح بريال واحد، بل رفض رفضا باتا.

فمن الذي كان يمد الأحرار؟

كان المغتربون خارج اليمن يمدون الأحرار في عدن وفي مصر أما في الداخل فقد كان أكثر من يبذل هم أهل تعز وتأتي بعدها إب، أما أهل صنعاء فليس إلا النادر وأذكر منهم حمود الجايفي وأحمد المطاع ومحمد حسين عبدالقادر والعزي صالح السنيدار والحاج علي محمد السنيدار وعبدالله حسن السنيدار وأحمد حسن السرحي وعبدالرحمن الرباعي، هؤلاء من عرفت ولا أدري إذا كان هناك غيرهم، أما أغلبية الأغنياء فقد أطلقت عليهم الصحف اسم المتمذّغين (**المتمذغ: الذي يتذوق الشيء ليعرف طعمه فإذا أعجبه طعمه كرر تذوقه**) تقصد معجبين بالنشر وبما ينشر، ولكن اذا طلبت منهم المساهمة فلا يمكن.

صحيفة الصداقة

وكنت أحد الموزعين لهاوكان السيد إسماعيل غمضان ولطف عسلان -وهما من أكبر الأغنياء في صنعاء آنذاك- يرسلان الي حتى في الليل يطلبان صحيفة الصداقة، وكذلك بعض القضاة والعمال والموظفين وكان اذا لم يصل من الصحيفة إلا كمية قليلة تتداولها الأيدي حتى تتمزق.

أما الذين كانوا يوزعون هذه الصحف فهم:

الشيخ عبدالوهاب نعمان رحمه الله والسيد أحمد المطاع وأخوه محمد وعبدالسلام صبرة، وأحمد البراق والحاج علي محمد السنيدار والعزي صالح السنيدار وعلي بن أحمد هاجر وأحمد المقعش والحاج عزيز يعني وعلي أحمد عامر والقاضي حسين العنسي وعلي أحمد الحميدي ومحسن الشرفي والحاج محمد عكارس والسيد علي زبارة، ولا أنسى أولاد الصفي الجرافي العزي

وإسماعيل، فلهما يد كبيرة، ومن المشايخ الشيخ قناف دغيش والشيخ علي بن علي الرويشان وهم القليل.

وفي يريم كان ممن انضم الى صف الأحرار محمد الربيع وكانت المراسلة مستمرة بينه وبين أحمد المطاع، وكان المطاع يكلفني لقضاء ما قد يحتاج اليه من منافع، ومن الطريف ان المطاع والربيع لم يتعارفا شخصيا وإنما كان ذلك بالمراسلة حتى اجتمعا في سجن نافع بحجة.

الشفرة

واذكر -بلا فخر - انني كنت الوسيط في إخراج الأخبار التي كانت تتلقفها الصحف وكان أحمد المطاع يكتب الأخبار وكنت أنا أو علي محمد السنيدار نرسلها الى عدن، وقد وجدنا طريقا سهلة وهي ان نكتبها بالخط الذي لا يُرى ونكتب في ظاهر الورقة طلب بضاعة من وكيل التجار في عدن وهو الحاج أحمد بن أحمد ابن عبدالله السنيدار، وكان بدوره يسلم ذلك للإخوان في عدن ومن هناك يرسل الى مصر، وكان يجيب علي بنفس الأسلوب يكتب في الظاهر بيانا بالبضاعة المرسلة وفي باطن الورقة يكتب بالقلم الخفي جوابا على رسالتنا، واستمرت الحال هكذا ولعله كان هناك مراسلون غيري لم أعلم بهم.

مخاوف التفتيش

كم تعرضنا لمخاوف التفتيش أنا وأحمد المطاع، وهنا أذكر حادثتين:

- كتبت مرة رسالة عبر البريد كتبت في الرسالة وفي الظرف بالقلم المستور معلومات مهمة فصادف وصول البريد الى ماوية

فقام موظف البريد بإخراج الرسائل من الظروف وبدلها بظروف أخرى ولما وصلنا الخبر داخلنا خوف شديد وكلمت السيد أحمد المطاع وحسن لطف الثور، وكنت أخشى أن يرمي موظف البريد الظروف القديمة، كنت أخاف أن يرميها على الأرض فلربما تصيبها الشمس فيظهر الخط المستور، ولم يصل الينا الخبر ان صاحب البريد مزق الظروف إلا بعد أن سهرنا ليالي فارتاحت ضمائرنا.

٢- الحادثة الثانية: كان السيد أحمد المطاع يرسل رسائل ومنشورات ومقالات إلى العزب حاكم حيس، وكان يحفظها عنده في الشنطة، وحدث أن مرض فنقل إلى تعز حيث أدركته المنية، ويوم وفاته أمر الإمام محمد حسين العمري بتفتيش بيته في صنعاء، كما أمر أحمد ولي العهد بنقل أوراقه وشنطاته من حيس إلى تعز، فلما وصلنا الخبر ضاقت علينا الدنيا بما رحبت، وبقينا تحت مطرقة التوقع والخوف، وحسبنا أننا هالكون لا محالة، وكان السيد أحمد المطاع يقول: يا عزي لست مهتماً بنفسي أو بك، ولكن خوفنا على كثير من إخواننا الذين في شنطة العزب الكثير مما خطته أيديهم، وكان علي الزنداني صاحب الروضة بمعية العزب، فاستخدمنا البرقيات بواسطة موظف البرق محمد حسن هاجر سرويس (**تعني مجانا بأن يسحب الموظف ببرقية الى زميله في المركز المتلقي ويعود جوابها خدمات متبادلة بينهما وتكون الأجرة لهما وليس للحكومة**) كنا نسحب البرقيات إلى الزنداني رفيق العزب، وكل يوم خميس برقيات، ودامت الحالة هكذا مدة أسبوع، ونحن على أحر من الجمر، ومنتظرون السجن في أي لحظة طول النهار ونحن ننتظر حتى يأتي الليل، ولم يستقر المطاع في بيته، بل كان يصل إلي ويجلس نصف ساعة، ولا أمكث سوى نصف ساعة ثم أذهب إلى بيته لأطمئن عليه، وهكذا مضى الأسبوع، ومن ألطاف الله سبحانه ووقايته أن وصلتنا برقية علي الزنداني هذا نصها: صنعاء، مطاع عزي صالح، فتشوا الشنطة ولم يجدوا فيها شيئاً اطمئنوا.

وعرفنا تفاصيل الخبر فيما بعد أن السيف أحمد أمر بتسليم الشنطة إلى القاضي عبدالرحمن الإرياني، فلما وصلت إليه أخرج المنشورات وكل ما هو مهم، ثم أرسلها إلى السيف أحمد وقد خلت إلا من الأوراق التي ليس لها أهمية ولا خوف منها، ولا أنس الأخ عبدالله طاهر وسحب البرقيات بالبرق وباللاسلكي الذي كانوا يسمونه يومئذ (طار الهواء) وما كنت أنا وأحمد المطاع ننساه من المواساة، وكذلك محمد حسن هاجر، وكنا نسلم لهما الأجرة مضاعفة ليكتما سرنا ولأنهما كانا يشغلان آلة البرق أحياناً عدة ساعات من أجلنا، ويعود الجواب بسرعة، وكانت تلك الأمور تكلفنا كثيراً من المال، ولكن في وقت الخوف لا يبالي الإنسان بالبذل إذا سلمت رؤوس الرجال فذلك أكبر مكسب.

استمرت النشرات والصحف تنشر مثل صحيفة (الصداقة) في مصر و(فتاة الجزيرة) في عدن وصحف أخرى، ولكن التوعية كانت مقتصرة على المدن في الجنوب من صنعاء وقليل من مدن تهامة، أما القبائل فقليل، وكان من أسباب فشل ثورة (١٣٦٧هـ/١٩٤٨م) انحصار الوعي في المدن وعدم انتشاره بين القبائل، ولا أنسى من قبل الفكرة في صنعاء وكانوا يساعدوننا في نشرها في أسواق صنعاء، وهم علي الحميدي وحمود إسماعيل المترب ومحمد الوتاري وأخوه والحاج عبدالله محمد السنيدار ومحمد سنين وغالب الخلقي.

وأما في الجيش فكان الإخوان الأحرار ينشرون الفكرة وكان الرئيس جمال جميل العراقي يقوم بالتوعية في الجيش بحكمة ونشاط، وكانت له اليد الطولى، ومما أذكره كلمة قلتها للرئيس جمال عندما أخبرني بما يقوم به لأنه كان يتردد إلى دكان السيد حسين الحبشي وإلى دكاني أكثر الأيام، فقلت له: يا حضرة الرئيس، أقترح عليكم أمراً.. فقال: هات، قلت: إننا نكثر الدعاية لإخواننا العرب العراقيين والسوريين والمصريين وغيرهم، ولكن مع الأسف يصل إلينا من هؤلاء من يترفعون على اليمنيين ولا يجدون منهم بشاشة أو أخلاقاً حسنة، بل يظهرون كمن يحتقروننا، فيرجع

أصحابنا اليمنيون باللائمة علينا نحن الذين نبث لهم الدعاية ونحسنهم في عيون أصحابنا فنلقى منهم العتاب والتكذيب، فأرجوكم التعرف بالناس ومقابلتم بالبشاش، فقال: اقتراح في محله، فلما تعرف بالناس أحبوه وأعجبوا به.

أما الإمام فعليه سلام الله !

والذي ساعد الأحرار في نشر الفكرة وكشف القناع عن وجه الإمام الذي كان مستوراً وكان كل ما يعمله الإمام من ظلم وجور ينسب إلى حاشيته، أما هو فحاشاه، أما هو فكل الألسن تلهج بالدعاء له والثناء عليه، ويرددون تلك الكلمة: لا رحم الله المحوشين (**الحاشية**) أما الإمام فما عنده إلا كل خير. ولكن بدأت الأمور تتضح أكثر فأكثر، فعندما حبسنا وخرجنا من السجن تساءل الناس: لماذا حبس الستة الأشخاص؟ وما سبب حبسهم؟ وسبب اخر هو أن الإمام كان يدير الأعمال بنفسه، وأكبر عون له في أموره كان القاضي عبدالله العمري، ولا يخفى ما كان للإمام من قدرة على الإدارة والدعاية والتضليل وكان ثابتاً على مبدئه الذي هو الشر، ولو صرف هذه الكفاءة في الخير لكان امبراطور المسلمين، لأنه كان يتظاهر بالدين ويتترس به، وينسب الأمور إلى أعوانه وحكامه وعماله، وكان كل ذلك ينطلي على الناس لسذاجتهم وبراءتهم حتى قام أولاده وولاهم الأمور فعاثوا في الأرض فساداً، ولم يتركوا منكراً إلا فعلوه، وهنا عرف الناس أن كل ما يجري من ظلم وفساد فعن علم من الإمام وبرضاه، وقد وقف أولاد الإمام ضد العمري وأعوانه وكتابه، فتقرب هؤلاء الأعوان من الأحرار، وكانوا يتسترون عليهم ويتساهلون في البحث عن المنشورات وعمن يوزعها، وكان الإمام يغض الطرف عن كل ما يصدر من أولاده مما يكشف حقيقته للناس، ولكن مع الأسف لم تنتشر الدعاية بين القبائل لأسباب منها:

١- لأن الجواسيس كثرت ولم يستطع الأحرار الحركة إلا في بعض البلاد وهي النادر، بواسطة المشائخ كما ذكرنا سابقاً.

٢- لأن الأحرار اعتمدوا على توجع القبائل وشكواهم الدائمة من الظلم ومما يلاقونه، وغاب عنهم ان العقيدة باقية، وهي قادرة على اكتساح أي عقبة أمامها، كما سنعرف فيما يأتي.

٣- أن القبائل يعتقدون أن الظلم صادر من أهالي صنعاء لأن الموظفين من صنعاء.

٤- خروج من سموه سيف الحق إبراهيم بن الإمام يحيى ونشرت تفاصيل القضية صحيفة (الصداقة) وكان لخروجه إلى عدن مع سكرتيره أحمد البراق صولة عظيمة ارتج لها الإمام يحيى وأولاده، وقامت قيامتهم، حتى اضطر الإمام إلى نشر مقالة في جريدة الإيمان كتبها بقلمه، ونزل على ولده بالشتم والسب، وكان رئيس تحرير جريدة الإيمان حينها السيد عبدالكريم الأمير، وقد سبب خروج إبراهيم علينا محنة وداخلنا خوف شديد وما كدنا نسلم من القتل، كل الأحرار مدنيين وعسكريين وظللنا ننتظر الانتقام، وعندما وصل السيف إبراهيم وبعد برهة طلب من الأحرار بعدن أن يدبروا خروج عائلته ووصولها إليه، فكتبوا رسالة إلى صنعاء

أحمد البراق

إلى الشيخ عبدالوهاب نعمان، فدبر خروجها من صنعاء إلى خولان، وقد بحث الإمام عنها ولم يترك جهداً إلا بذله، وفي خولان نزلت عند الشيخ علي بن علي الرويشان فاستبطأ الأخوان وصولها، وكانت المراسلة جارية بين الأحرار في صنعاء وعدن والسؤال عنهم بواسطة أحمد بن أحمد عبدالله بعدن والعزي صالح السنيدار في صنعاء، وكانت المفاهمة بألغاز وإشارات في البريد وبالقلم المستور، وكان السؤال يتم بهذه الصيغة: يا أخي هل وصلت البضاعة أم لا؟ ويأتي الجواب: لا، تحروا عنها.. وبقيت المسألة نحو شهر وأكثر، ففكرنا أنا والسيد أحمد المطاع وأخوه محمد والشيخ عبدالوهاب نعمان وعبدالسلام صبرة بأن أحرر للأخ أحمد بن أحمد عبدالله بأن نبشر الأخوان بوصول عائلة إبراهيم ليكف الإمام وأولاده عن البحث، فكانت فكرة ناجحة، ولم أشعر ذات ليلة إلا وباب بيتي يطرق، فنزلت فإذا أنا بالأستاذ محمد عبدالله الزهيري وقد أتى من لدى الشيخ عبدالوهاب نعمان، ويقول لي: إذهب الآن إليه، فقلت: كيف أذهب إليه في هذه الساعة من الليل والجواسيس تملأ الشوارع، ثم أرسلت ولدي أحمد، وفي الصباح توجهت إليه، فقال لي: إن عائلة إبراهيم باقية في خولان عند الشيخ علي الرويشان، والمطلوب فلوس تكاليف سفرهم إلى عدن، والرسول موجود عندي مختفي، دبر ياعزي كيف نعمل، فذهبت إلى السوق وأخذت قرضة خمسين ريالاً لأن السمسرة كانت مغلقة، فذهب الشيخ عبدالوهاب إلى السيد علي الوزير فأخبره بالأمر فدفع مائة ريال، وقال: السبق للعزي صالح، وكان الإخوان بعدن -كما ذكرنا- قد نشروا أن العائلة وصلت، فيئس الإمام وأولاده، وتركوا البحث عنها، ولما هدأت الزوبعة أشاروا على الشيخ علي الرويشان بأن يوصلها ويطمئن ويطمئنها، فكان سفرهم من خولان وبعد أسبوعين وصلني البريد من الحاج أحمد بن أحمد عبدالله ويقول له: إن البضاعة وصلت والحمدلله.

ودأبت صحيفة الصداقة تنشر عن اليمن، وفي تأييد الأحرار

وتأييد سيف الحق إبراهيم، وكذلك صحيفة فتاة الجزيرة ما كان يخلو عدد من أعدادها من مقال حول الحكم في اليمن، كما استمرت المنشورات والأحرار مستمرون في بث الوعي وتوزيع المنشورات والصحف بكل جد واهتمام حتى استخدموا النساء في توزيع المنشورات واستخدموا بعض حجاب الإمام لهذا لغرض، كما استخدموا كذلك إحدى بنات الإمام، كما نشرت جريدة الصداقة في آخر أيامها صورة كتاب عن الفضيل الورتلاني وجماعة معه يطلبون من الإمام الإفراج عن بقية المساجين بحجة، ولا ننسى ما كان يقوم به الرئيس جمال جميل العراقي مع الضباط والجيش من محاضرات وبحكمة واتزان، وكذلك المدرسين الذين انضموا إلى صف الأحرار، ولا زلت أكرر أسفي الشديد بأن المسألة لم تتعد المدن إلى القبائل وفي أوساط الشعب وهذا من الأسباب في فشل ثورة ٦٧هـ/٤٨م، وكان الاتصال بين السيد أحمد المطاع وبين السيد عبدالله بن علي الوزير، وكان ممن يعرف الأحرار والأحرار أنفسهم يعرفون أنني كنت ملازماً للسيد أحمد المطاع ليلاً ونهاراً ، وما كان يقطع في أمر إلا بعد مشاورة زميله ورفيقه الوحيد العزي صالح، وإذا جاء أحد من أصحابه كان يعرفه بي لاشترك معهم في كل ما يبحثونه ويطمئنهم، وبعد أن عرف عبدالله بن علي الوزير كنت أنزل معه، ولم أتجنب أحداً ممن كان يتصل بهم ما عدا القاضي حسين الحلالي فإني رفضت ولم أشترك معه في حديث، ولا يظن القارئ أن هذا مني تفاخراً أو ذكاءً، بل كنت متهيباً للحلالي، ولم يطمئن قلبي إليه، مع أنه أظهر تجاوباً فوق ما نتصوره حتى أنه حرر شفرة بينهما وأودعها عندي، وبعد أن غضب عليه ولي العهد أشار لأحمد المطاع بأنه سيدفع عشرة آلاف ريال إلى السيد أحمد المطاع ليسلمها إلي لأشتري له بيتاً في عدن خلال سفراتي للتجارة، وأبدى استعداده للانضمام إلى الأحرار، ولكن بعد أيام سعى له القاضي العمري في أن يعين نائباً للإمام في الحديدة.

صوت اليمن

أعلنت الصحف بأن الإخوة الأحرار في عدن قد حصلوا على رخصة لإنشاء صحيفة اسمها (صوت اليمن) وقد وصل أول عدد منها إلى الشمال، وانتشر بكثرة في المدن، ونشرت في المشهد (مصلى العيد) وفي الشوارع والمساجد وكانت تنشر مقالات طنانة، أقامت الإمام وأولاده وأقعدتهم، وظهر إعجاب أعوان الإمام بها، بعضهم بإخلاص والبعض نفاقاً، ومن هؤلاء البعض السيد يحيى النهاري، قال لي عامل صنعاء السيد حسين عبدالقادر رحمه الله بعد اطلاعه عليها: «ومه يا عزي، ولو هكذا يمكن يخلعونا» يقصد سيقدحون في الكل الغث والسمين، فقلت له: هذه حكمة لتبعد من هو مثلكم عن التهمة، لتبقوا عوناً مع الأحرار، وكان لعامل صنعاء يد كبيرة في تنوير الأفكار مع بعض المشائخ والشخصيات بحكمة وعقل، ولو فهم الأحرار دور عامل صنعاء لعدوه من أكبر المخصلين للشعب، لأنه كان منعماً: معيشة رغدة، بيوت، بساتين، أموال، جليس للإمام لا يرتاح في دورة أو نزهة إلا إذا كان عامل صنعاء مرافقاً له، وقد يقول قائل: إنه كان يعمل ذلك لغاية تعود عليه بالنفع، فأقول: إذا كان ذلك منه لغاية في نفسه فأي غاية لن توصله إلى أحسن مما هو عليه أيام الإمام يحيى، لأن مثله لا يهمل، وكان أحسن من سكرتير ووزير، إذ منحه الإمام منصب عامل العمال وقمسيون، ولو كان هذا الكلام عن ابنه محمد بن حسين لشككنا القائل ولكنه كان إلى



العلامة حسين عبد القادر

الإنتقام أقرب، وكان بودي أن أذكر ما جرى بين أحمد المطاع وأخيه محمد والقاضي عبدالله الشماحي وأنا حاضر مع رشيد سنوه عقب وصوله من لبنان، نقده لرجال اليمن الذين لم يتجاوبوا مع حكومة الإمام، رشيد سنوه الصحافي الذي جاء من لبنان ضمن البعثة التي جاءت إلى اليمن، ومن بعد ذلك محاضراته وانتقاده، وما جرى له مع الإمام وأعوانه حتى كره الحياة في اليمن، والتقى بعد بضعة أشهر مع أحمد المطاع، وكان المطاع يتسلل إليه في البيت الذي كان يسكنه، وأنا برفقته ولكني تركت التفاصيل في هذه وفي غيرها، وتركت ترجمة المحلوي والمطاع خوفاً من أن تعاجلني المنية ولم أنته من الأمور الهامة التي اطلعت عليها، وآثرت الاختصار لأصل إلى الغاية المقصودة، وإن شاء الله إذامد الله في العمر فسأكتب تفصيلاً.

كان رشيد سنوه يعجب بالمقالات التي تصدر في صوت اليمن لأنه يعرف أن اليمن خالية من كل شيء لا مدارس ولا كليات، فيقدر كتابها ويقر لهم -وهو الصحفي- بالتفوق.

نعم كثرت النشرات والمقالات والمنشورات والكتيبات في المدن اليمنية الجنوبية من صنعاء وفي صنعاء، أما الجهات الشمالية من صنعاء فقليل إلا ما كان يرسل إلى حجة، وكانت ترسل بواسطة السيد عبدالملك المطاع.

ذكرت فيما مضى بعض المخاوف التي كنا نتعرض لها، وبقي أن أذكر بعضاً منها: أرسلت مقالات وأخبار داخلية إلى عدن وكتبتها بالقلم المستور وجعلتها داخل صرة فلوس وأرسلتها مع تسع صرر وهي العاشرة وجعلت في أعلاها بذر الكشت **(نوع من البقوليات)**، وذهبت عن طريق قعطبه **(مدينة بين الشطرين سابقا)** مع جمّال مرسلة إلى الحاج بابلي وكيل التجارة بقعطبة، ومن المحنة والمصادفة وصلت إلى الحاج بابلي فأراد منفعتي فصرفها في قعطبة من صاحب مريس، وأفادني بذلك ، فلما وصل الخبر إلي جن جنوني وداخلني خوف لا يعلمه إلا الله، وأخبرت أحمد المطاع

فشاركني القلق والخوف والسهر، فهرعت إلى محمد حسن هاجر صاحب البرقيات وأخبرته الخبر وسلمت له أجرة تلغرافات إلى الحاج بابلي مضمونها: الحاج بابلي أدرك الصرة التي بها بذر الكشت وهو مطلوب إلى عدن ضرورة، فقال: قد صرفنا الجميع، فعقبنا عليه وظلت البرقيات مستمرة حتى أفادني بعد أيام قليلة، فتشنا على الفلوس وقد فك خياطها المريسي وبحمدالله لم يبق إلا الصرة التي بها بذر الكشت، أجبت عليه: أرسل ذلك إلى عدن إلى الحاج أحمد بن أحمد عبدالله السنيدار لا تؤخرها أبداً، وكنت خائفاً من الحاج بابلي إذ ربما يتقرب بنا إلى الإمام، ولكن الله لطف بنا، وبعد أن أجابنا أحمد بن أحمد عبدالله بوصولها استرحت، وكلفنا الحاج بابلي بإرسال الرسائل إلى عدن واستخدمناه في أغراضنا ولم يدر بما نصنع، لأنه قد دخل معنا بإرسال الرسائل الأولى، وكانت العاقبة خيراً بعد خسارة في صنعاء وفي قعطبة.

استمرت الحالة والإمام لم يسمع نصح ناصح، وقد نصحه حتى وزراؤه وذات يوم التقينا بالقاضي عبدالله العمري وأنا والسيد أحمد في باب الروم **(أحد ابواب صنعاء)** وفتح لنا الحديث عن حالة اليمن ومصيرها، وقال: اسمع يا سيدي الصفي، إذا كان الرجل (يعني الإمام) سيسمع النصح ويمشي بما يمشي فيه الناس، وإلا فمستقبلنا ومستقبل اليمن وخيم ومظلم، ولم يكلمنا بهذا الحديث إلا لأنه قد عرف أن ولده القاضي محمد في صف الأحرار ومتبرم من الحالة، والعزي عبدالله كان معروفا بسعة اطلاعه في العلوم السياسية والعلوم العصرية فوثق بنا والده وإلا فهو أحذر من غراب.

وقصة أخرى من المخاوف

كتب لي أحمد بن أحمد عبدالله السنيدار -كالعادة بأن منشوراً بلسان سيف الحق إبراهيم وقد أرسل عدة صور منه إلى الشيخ عبدالوهاب نعمان ومع أولاد علوان وإليّ ولم يبين مع من أرسلت التي

إليّ، وظننت أنها بين البضاعة، وأخبرني بعض التجار أنها وضعت في (بندة غزل) وفي حينه أمر الإمام بتفتيش البضاعة في قعطبة وذمار، وهنا لجأنا إلى البرقيات بواسطة موظف البرق محمد حسن هاجر كالعادة، أبرقنا إلى قعطبة بأن يفتش الغزل ويخرج ما فيها وأخبر السيد أحمد المطاع والحاج علي محمد السنيدار والحاج عبدالله حسن السنيدار، وبعد أخذ ورد أفاد الحاج بابلي بعد البحث أن بعض الغزل قد أرسل من قعطبة، و لم يجد في الذي فتش شيئاً، وكان عامل ذمار انذاك السيد يحيى بن عبدالرحمن عبدالقادر وهو ابن أخ عامل صنعاء، وفي الوقت نفسه قام الحاج عبدالله حسن السنيدار بإرسال محمد قاسم جباري بعد أن حكينا القصة للسيد محمد حسين عبدالقادر ابن عامل صنعاء فحرر كتاباً لابن عمه عامل ذمار بتدارك الأمر وأكد عليه، فذهب الرسول بعد أن سلمت أجرته الوافرة، ووصل إلى ذمار، وقام السيد يحيى عامل ذمار بواجبه وأخرج الغزل إلى بيت الأكوع بذمار، وهناك فكوه وبيع بذمار، أما الذي أرسل مع أولاد علوان فقد كشف، وأرسلوهم إلى سجن صنعاء، ووصلت المنشورات ووزعت بغزارة لأن الذي أرسل إلى عبدالوهاب نعمان والذي أرسل إلي لم يكتشف.



احمد احمد عبدالله السنيدار

العلامة حسين الكبسي

ومما يجدر ذكره انضمام السيد حسين الكبسي إلى صف الأحرار بعد أن كان مغرورا بالإمام وأولاده، وخاصة بالسيف الحسين، (وذلك لسبب) ما جرى له مع الإمام عند عودته من اليابان، ثم ما حدث له إذ ارسله الإمام يحيى ممثلا لليمن في الجامعة العربية بمصر، إذ أبرق له الإمام يحيى بأن يكون مستمعا فقط.

بداية المعركة

سبق أن ذكرنا أن الفكرة والمنشورات والصحف انحصرت في المدن اليمنية من جنوب صنعاء، ولم تتسرب إلى الأرياف إلا في بعض القبائل مثل خولان الطيال، وبعض حاشد، وعندما انتشرت الفكرة في بعض مشائخ خولان كانوا يتجمعون في صنعاء ويتوجهون إلى الإمام ويخاطبونه بالكلام الصريح، ويطلبون منه الإصلاح وينقدون الحكم القائم ويطلبون منه أن ينشئ مجلس شورى، وكانت هذه المطالب على الإمام وأولاده صواعق وقنابل اهتز لها عرشه، وارتبكت أحواله، إلا أنه كان يتظاهر بالقوة والشدة ويرعد ويبرق ويتوعد ويقبل ويدبر وكان تأثره شديدا إذ أحس أن الفكرة قد تسربت إلى القبائل، وأذكر هنا ماحدث للسيف عبدالله مع كبار الشخصيات اليمنية في بيت الإمام بعد رجوع السيف عبدالله من أمريكا، لأنه عاد من أمريكا واليمن تموج موجا فاقترح على والده بأن يمد يده إلى أمريكا ويعطيها امتيازات في مقابل أن تحمي البيت المالك، ومثل هذا أمر نشر في الصحف، فأمر الإمام كبار رجاله بأن يجتمعوا في بيته في مؤتمر يدرسون فيه اقتراحات ابنه عبدالله، فلما سمع علي بن عبدالله الوزير ذلك من عبدالله قام وقعد، واحتج على عبدالله، وندد باقتراحاته وأنه سيدخل على اليمن الوبال والدمار، وانتقد تصرفاته وندد به وبما صرفه من أموال الدولة في رحلاته، وكانت ليلة لم يسبق لها مثيل في اليمن قط.

ولما عرف السيد أحمد المطاع الموقف توجه إلى علي الوزير

وفصل له الخبر، ثم ذهب إلى عبدالله بن أحمد الوزير وقد وصل إليّ قبل الظهر وطلب مني أن أذهب معه إلى بيته، وعنده فكرة جديدة، فوصلنا واجتمعنا وليس لنا ثالث إلا الله سبحانه وتعالى، وحرر برقية خلاصتها أن عبدالله بن الإمام يلقي باليمن إلى الهاوية ويسوقها إلى الاستعمار الأمريكي في الوقت الذي نرى فيه البلاد العربية تطرد الاستعمار، فالحجة عليكم، وبرقية إلى الرئيس الأمريكي ترومن بأنه إذا وقعت معاهدة لم يطلع عليها الشعب اليمني فهي مرفوضة وبرقية إلى فاروق ملك مصر وبرقية إلى الملك عبدالعزيز آل سعود وبرقية إلى عبدالله ملك الأردن وإلى ملك العراق، وإلى الجامعة العربية وصورة لتنشر في صوت اليمن، وقد عرضت هذه البرقيات على عبدالله الوزير، فقال: أرسل بها إلى الخادم غالب، وقد حولت مائة جنيه أجرتها، وأفاد الخادم أنه (غلّق) أضاف سبعين ريالاً من عنده.

وجاء وقت العمل

ازدادت المنشورات وكثرت الصحف، فقال السيد أحمد المطاع لبعض الإخوان الذين يثق بهم من الشخصيات البارزة كالحاج علي محمد السنيدار والعزي صالح: اليوم انتهى دور الأقوال، وقد لعبت دوراً، ويجب أن ننتقل إلى دور الأعمال الإيجابية.

وصل محيي الدين العنسي وأحمد الحورش، كما وصل الفضيل الورتلاني والسيد عبدالله بن علي الوزير والحاج الخادم غالب.

كان أحمد المطاع لا يطمئن إلا إذا شاركه العزي صالح في كل الأمور، فوصل الحاج الخادم غالب إلى السوق ونزل هو والسيد أحمد المطاع، وقال لي أغلق الدكان واتبعنا، فلما وصلت ودخلت عليهما وهما يتحادثان، فلحظت أن الحاج الخادم يتحفظ، فقمت من مكاني ونزلت الدور الأسفل كأنني ذهبت لحاجة وبعد قليل استدعاني السيد أحمد المطاع، ولما دخلت عليهما رأيت الحاج



الفضيل الورتلاني

الخادم ينظر إلي ويبتسم فعرفت أن السيد أحمد قد حدثه عني، وبعد ذلك فتح الحديث عن الحكم وكيف إذا استمرت اليمن على هذه الحالة فإن العاقبة هي الدمار والهلاك، وأن الجرائد والمنشورات قد أدت دورها الآن وقت العمل الإيجابي، والمسألة تحتاج إلى فلوس، والرئيس جمال جميل يقوم بدور مع الضباط والجيش، فأجاب الحاج الخادم عليَّ خمسة عشر الف ريال، وإذا نجحنا فمن سيخلف الإمام، وكيف سيكون نظام الحكم؟ فقال السيد أحمد: أن الأمر سيكون بالتشاور مع الأشخاص الذين أثق بهم ولن يترددوا، وهذه أول نواة العمل الإيجابي.

نعم أول عمل قام به الفضيل الورتلاني أن اقترح إنشاء شركة يمنية يساهم فيها التجار وغيرهم، وفاتح الإمام فيها وحسنها له ولأولاده، فاقتنع الإمام وساهم التجار والمواطنون وأولاد الإمام وغيرهم، وكانت الجلسات تعقد في بيت السيد حسين الكبسي.

وأذكر هنا قضية تستحق الذكر وهي أن السيف أحمد عندما توجه الفضيل الورتلاني من تعز عين شخصاً يرافقه وهو السيد أحمد الشامي كجاسوس وكان الفضيل تغلب عليه بمنطقه وضمه إلى صفه، فلما وصل إلى صنعاء كنا أنا والسيد أحمد المطاع وأخوه محمد وعبدالسلام صبره والشيخ عبدالوهاب نعمان، كنا نوجس منه خيفة، وقد كنا نعرفه من قبل وكنا على اتصال به ولكن بلغنا



أحمد الشامي وحديث مع الأمير البدر

أنه انقلب، فانكمشنا منه، فشكى للفضيل الورتلاني، فلما وصلنا إلى الورتلاني كلمنا عن الشامي وأنه قد جذبه إلى صفه، وأقسم أنه سيعمل بإخلاص فوثقوا به واطمأنوا، فتفاهمنا معه، وهكذا كان الورتلاني يجذب الناس بمنطقه ، حتى الطباخ الزارقه وغيره كانوا يطلبون منهم أن يعطوهم أخباراً، وأخبار من يصلون إليه، ولم يمض أسبوع إلا وقد أصبحوا معه لا عليه.

نعم، وصل الفضيل الورتلاني وأحمد فخري مدير الآثار بمصر، وتأسست الشركة بعد توالي الجلسات، وساهم الناس من تجار وموظفين، وساهم الإمام وأولاده وكان رئيسها الفضيل ونائبه أومديرها الحاج علي محمد السنيدار، والمفتاح بيد الحاج حسن الكبوس، والشرطي الهبل، وكان يحضر كل شيء، ولكنه لم يعرف السر المكنون، ومن جملة من كان يحضر الجلسات من الشخصيات الكبيرة عبدالله بن علي الوزير والقاضي محمد عبدالله العمري والسيد أحمد المطاع والسيد محمد حسين عبدالقادر ومحمد الغفاري وكثير من الناس.

ومن العجيب أن الفضيل الورتلاني استطاع أن يظهر بأبهة كبيرة حتى ظن الناس أنه مرسل من دولة عظمى، حتى كانوا يصارحونه بما يلاقونه من ضغوط، وحتى تهيبه الإمام نفسه.

وتقرر أن يكون مقر الشركة بالعمارة التي أنشأها محمد علي باشا مكتباً للبنات، وهي ما كان فيما بعد المدرسة الثانوية، والآن وزارة التربية والتعليم،وقد تم إبرام العقد في مجمع كبير حضره القاضي عبدالله العمري ورئيس الاستئناف قاسم بن إبراهيم وعبدالله الوزير والسيد أحمد الكحلاني وجمع غفير من العلماء والرؤساء والتجار ومن طلبة المدرسة والأدباء.

وألقى الفضيل كلمة رائعة كان يستشهد بآيات قرآنية ويفسرها، ثم ألقى السيد فايع خطبة أثارت المشاعر، وفي الأخير وصل الرئيس جمال جميل وألقى خطبة أظهر فيها أنه غير راض عن بعض كلام الورتلاني، ولما انتهت الجلسة قال عبدالله الوزير: إن الجلسة تعتبر نصف ثورة لما سمع من الاقتراحات والخطابات.

بعد ذلك سافر الفضيل الورتلاني إلى مصر، وأقام محمد سالم سالم وكيلاً للشركة، وقام بأعمال الشركة الحاج علي محمد السنيدار رحمه الله.

وكان للشركة امتيازات وبدأت أولاً في عمارة زهرة التي أمام (المقلوي) ثم انتقلت إلى عمارة الميدان، وكنت القائم بصرف ما تحتاجه من إصلاحات، وقد فهم الحاج حسن الكبوس وأحمد المقعش وعلي هاجر وابني محمد بن محمد السنيدار فهموا الغرض من الشركة، فأما حسن الكبوس فقد حفظ السر وقام بأعمال جبارة، وأما أحمد المقعش فاتصل بالرئيس جمال ولم يدخر وسعاً وقام بمنافع كبيرة، وأما علي هاجر وابني فكانا يقومان بمنافع السيد أحمد المطاع ومنافعي، ولا سيما علي هاجر، فوالله ما ترك جهداً إلا بذله، وكان أحمد المطاع به معجباً، وكان ممن تقتحمه العيون، ولا يلتفت لمثله، وكان الرئيس جمال ينظر إلى قيافته

ويبتسم تعجباً من همته ونشاطه، ولا أنسى عبدالله طاهر وما قام به من الأعمال من موافاتنا بالأخبار السياسية بجد واجتهاد.

قامت الشركة بأعمالها وتجارتها، ولا يجهل ما تحلى به الحاج علي محمد السنيدار من الكمال في الإدارة والكتابة، وقام بكل أعمالها حتى عاد الفضيل الورتلاني.

رجع الفضيل الورتلاني للمرة الثانية وقد أسند الوكالة في القاهرة لمحمد سالم، وعند عودته اجتمع بالتجار والشخصيات واطمأن إلى أن الشركة تسير بانتظام، وقد أراد الإمام أن يحد من شوكته فقطع عليه ماكان يجري له من مصروفات، فقمنا بجمع فلوس وتفاهمنا نحن والأخوان، وأكرم رجل فينا كان أحمد الحورش، كان كل ما يملكه ثمانين ريالاً سلمها كلها مساعدة للفضيل، وهو أكرم رجل فينا لأنه أخرج ماله كله، عاد الورتلاني ومعظم إخواننا المساجين ما زالوا في سجن حجة مثل الشيخ حسن الدعيس وغيره.

فتح الفكرة السيد أحمد المطاع مع الأشخاص، فبدأ بالرئيس جمال جميل والعزي صالح والشيخ عبدالوهاب نعمان، ثم مع محيي الدين العنسي وأحمد الحورش ولم يكونوا قد عرفانا من قبل، فحدث لي معهم مثلما حدث مع الحاج الخادم رحمه الله حتى أفهمهما السيد أحمد المطاع، واشتركنا في الحديث جميعاً، وكذلك عرف السيد أحمد المطاع أخاه محمد وعبدالسلام صبره، وكان التدبير مع الرئيس جمال والفضيل الورتلاني، وعلى ذكر الورتلاني أحب أن أقول أن الإمام قد بحث عنه، فلما وصل التجار قال لهم: إن الفضيل الورتلاني من الجزائر، ومن القائمين ضد فرنسا.. أراد بهذا أن يظهر لهم بأنه لا أهمية له وأنه لا يستند إلى دولة.

الخطوات الأولى




عبد الله الوزير

وصل الحاج الخادم وقام مع الفضيل الورتلاني بوضع الخطوط الأولى، وأول مسألة تكلموا فيها: من ينصبون إذا تم الأمر؟ وكانت الاجتماعات السرية تعقد في بيت السيد حسين الكبسي، ويشترك معهم السيد أحمد الشامي وعبدالله بن علي الوزير، وقد تحفظ بعض الإخوان من اشتراك عبدالله بن علي الوزير، فقال الورتلاني: هو أكبر ثائر، لأنه منتقم من بيت حميد الدين، الذين حاولوا قتله بالسم، وكانوا يعرضون على عامل صنعاء حسين عبدالقادر وابنه محمد فاتفقوا على تنصيب عبدالله بن أحمد الوزير، ويشترط عليه أن يتقيد بما يقرره الجميع، فإن وفَّى وإلا خلع أو قتل، وبدأ الورتلاني والحاج الخادم والسيد أحمد المطاع الاتصال بالقاضي أحمد الجرافي، فساهم بخمسمائة ريال، كما ساهم عامل صنعاء بمثلها، وعلي عبدالله الوزير لا أعرف بكم ساهم، وكذلك السيد حسين الكبسي، كما ساهم الحاج عبدالله حسن السنيدار بعدد قليل من الآلاف ومثله العزي صالح، وكذا الحاج علي محمد السنيدار بخمسمائة ريال، وكان الاعتماد بعد الله على الحاج الخادم والسيد عبدالله الوزير، إذ كان التحويل من الحاج الخادم إلى مكتبه في الحديدة، حول من أحمد حسين غالب، وكنت أنا واسطة التحويل باسم أنها تجارة، وكان الرئيس جمال يرسل إليّ وإلى أحمد المطاع كلما احتاج لتلاميذه العسكريين شيئاً،

كما كان يرسل عبدالله أحمد الوزير بما يحتاجه لبعض القبائل والمشائخ الذين سيقومون بالعملية، وكانت التي حولت بواسطتي ما يقرب من ثلاثين الف ريال قيد الحاج الخادم على عبدالله الوزير عشرين الف ريال، كان ما يحتاجه الوزير يسلم إليه أولاً، ثم أسلمها إلى الحاج محمد هاشم الذي كان بالطاحون في سوق الملح، وكان يقوم بأعمال ومراسلات بنشاط.

ولما تم الاتفاق على أن يكون عبدالله الوزير الخلف للإمام فاتح السيد أحمد المطاع الحاج عزيز يعني وهو الذي شجعه وظل يزين له ذلك، لأن الحاج عزيز يعني كان ممن يثق به الوزير ولولا هو وأحمد المطاع والحاج الخادم لما اقتنع الوزير، وقد جرى الاتصال بالحلالي في الحديدة وكذلك الحاج محمد حسين الزهيري وإلى تعز بالسيد زيد الموشكي والنقيب حسن الشايف وعامل تعز وإلى عدن بالقاضي محمد محمود الزبيري والأستاذ نعمان وإلى مصر بالإخوان، ولما كان العزي محمد عبدالله العمري في صف الأحرار ولم يطلعوه على السر، وإن كان يفهم بعض الشيء، لهذا كان القاضي عبدالله العمري يراعي الأحرار، وقد أرسل لمحيي الدين العنسي وأحمد الحورش وأنذرهما وقال لهما: ارحلا لا تتأخرا فالحديث يدور حولكما، ففرا إلى عدن.

توسعت فكرة العمل بين الكثير من الناس، وشاعت حتى خشي من كشفها ولولا القدر والمشيئة السماوية التي سلبت عقول الأسرة المالكة، وهكذا تدابير الله إذا قضى أمره فلا مرد له.

كان عبدالله طاهر مدير المواصلات وكان إذا حدث أمر مهم مستعجل يتصل باللاسلكي، وكان مخلصاً في عمله، وكنت أنا وأحمد المطاع نكرمه بالمال، لأن المسألة خطر حياة أوموت، ولم يطلع على عمله سوى أربعة احمد المطاع وعبدالوهاب نعمان

والحاج علي محمد السنيدار وأنا فقط.

تدبير الخطة

بعد أن اتفق الفضيل والحاج الخادم وأحمد المطاع والحاج عزيز يعني وعبدالله بن محمد الوزير وحسين عبدالقادر مع عبدالله بن أحمد الوزير بعد محاولة وجهد فكروا كيف تكون العملية، فقال عبدالوهاب الشامي أنه سيتنكر ويدخل على الإمام إلى مكانه ويقضي عليه، فلم تقبل فكرته، ورأي آخر قال حسين محمد المقبلي الثائر أنه سيقوم مع زملائه من المدرسة العلمية ومنهم يحيى المطاع سيدخلون إلى الإمام وقت المواجهة في صورة أنهم مختلفون وسيفتعلون مشاجرة بين يديه وفي أثناء ذلك يقضون عليه، وكان الموعد يوم أربعاء، وقد كتب أحمد المطاع وجماعة منهم محيي الدين العنسي قبل سفره الدستور للدولة الجديدة.

وخلال تلك الأيام وصل إلي الحاج محمد عكارس بعد صلاة العشاء إلى البيت، وقال: إذا كان يوجد عندك أوراق أو منشورات أو صحف فتخلص منها، فيظهر أنه سيكون تفتيش المنازل، فقمت بعمل ذلك، ولكن لم يحصل تفتيش، وقال محمد عكارس أنه سمع الأمير عنبر وجماعة يتحدثون عني، وكان الأمير عنبر في تلك الأيام بيده الحل والعقد في البلاط الملكي، وبعد يومين وبينما أنا في الدكان وصل أربعة (عكفة) وأنا أكتب البريد فقالوا: جاوب. قلت: إلى أين؟ قالوا: إلى المقام، وهم مدججون بالسلاح فاستمهلتهم حتى أكمل كتابة البريد فوافقوا، فلما أنهيت البريد توجهت معهم والناس ينظرون إلي كأني قد هدمت الدولة، وكل واحد يختلق خبراً.

وصلت وأدخلوني إلى مكان العكفة، وكانوا يقرأون الكتاب المسمى (رأس الغول) ونظر إليّ أحد العكفة وقال: أقعد، الظاهر أنك ستنقل من صنعاء، بقيت إلى قبل الغروب، ووصل الأمر بأن

أذهب إلى حبس الرادع، سلمت أجرة العسكري ثلاثة ريالات فشكرني واقترح أحدهم أن أذهب معه إلى البيت لأطمئن العائلة، وعدت إلى الحبس، وقال أحد العكفة الذي شكرني: سنقول لمدير الحبس يتركك في العشة (مكان السجانين) بدلاً من أدخالك داخل السجن، وقد وجدت في الحبس حسين محمد المقبلي ويحيى المطاع وعبدالملك الطيب وغيرهم من طلبة المدرسة، ومن المشائخ الشيخ ناجي الغادر والشيخ علي بن علي الرويشان والشيخ عبدالوهاب دويد وغيرهم، والسيد عبدالله يحيى الديلمي الفريد هؤلاء سياسيون.

كان حبسي في شهر صفر ١٣٦٧هـ ومعلوم أن المادة هي كل شيء «المال يفتح كل باب مغلق، ويجعل الأعجمي فصيحاً» كنت أعطي المدير القات والتنباك والفلوس وكذلك السجانين حتى خفف علي الحبس ولم أحمل قيداً إلا يوماً واحداً، وسيأتي سبب ذلك، بقيت في الحبس وكانت المراجعة من الحاج أحمد محمد السنيدار مستمرة إلى الإمام والقاضي عبدالله العمري، وكان بعض المسؤولين يثبطون الحاج أحمد محمد السنيدار ويخوفونه، ولكن عبدالله حسن السنيدار كان يحثه على المراجعة، وكان مؤثراً فيه، والسبب أن عبدالله حسن قد دخل في سلك الأحرار، وكان هناك بعض الناس من الحساد والشيعة والأمير عنبر يهولون على الإمام وأولاده بأن العزي صالح رجل خطير وأنه مطلع على المنشورات وأن الجرائد تصل إليه، وخصوصاً من جعلهم أولاد الإمام جواسيس عليّ ليتقربوا بذلك.

بقيت سبعة عشر يوماً في بدايتها واجهت تضييقاً وشدة من المدير ومن حراس السجن حتى عرفت العلاج وهو مال أدفعه للمدير وللحراس بالمال وبالقات وكذلك أولاد المدير كنت أعطيهم شيئاً ولا سيما بنت المدير، إذ عرفت أنها أحب أولاده إليه فكنت أظهر لوالدها أني أحبها وأنها أجمل بنات العالم، وكنت لا أفطر إلا وقد حضرت، وكان المدير يدّعي بأنه رجل يعرف كل شيء، فكنت

أؤيد كلامه بأنه أكبر العقلاء حتى اندمجت معه ومع السجانين الذين لهم صندوق الرشوة حيث يتقاسمونها بينهم.

مكثت في السجن -كما قلت- سبعة عشر يوماً، وكان الزوار يتوافدون إلي مثل عبدالله السنيدار وعلي محمد السنيدار والحاج محمد عكارس، أما أولادي محمد وأحمد وعلي هاجر فكانوا يزورونني أكثر من مرة في اليوم، وكان القائم بعملي في السوق علي هاجر، في اليوم الثاني عشر من أيام السجن حصل حادث جديد سبب لي خوفاً وأوهاماً لا يعلمها إلا الله، وإليك ما حدث:

في صباح اليوم الثاني عشر فوجئت بوصول السيد أحمد المطاع إلى السجن أوصله بعض العساكر وصل وجلس في مكاني، ودخل المدير وهو يلهث وأمر بدخول المطاع بعد تفتيشه وأمر الحراس بأن يدخلوه في غرفة منفردة، ولا يتصل به أحد، فالمسألة مهمة جداً، كما أمر أن يقيدوني سريعاً، ولا يعلم إلا الله ما حصل عندي من خوف واضطراب فكر وأوهام، حتى سبب لي ذلك الحمى، ظننت أن قد كشفت الخطة، ومن لي بالاتصال بالمطاع، وهو في مكان مراقب، وجاء وقت الظهر فأوصل محمد المطاع الغداء لأخيه، فلم يؤذن له بالدخول، وكنت أفكر كيف أصنع، فسلمت شيئاً من الفلوس لبعض الحراس ليدخل إليه ويقول له: يقول صاحبك ماذا حدث، هل أنت مريض؟ فأجاب: قل له الحمدلله، أنا بخير ليطمئن ولا يقلق، فخفّ ما بي من الألم، فلما جنّ الليل إذا بالعسكر محيطون بمكانه للحراسة، وحتى المدير فرش لنفسه فراشاً فوق البئر ليراقبه، وكلهم مراقبون للمطاع طيلة الليل، وفي الساعة الثالثة ليلاً بالتوقيت الغروبي وصل الحاج عبدالله حسن السنيدار وأنا مقيد فسألته: ماسبب حبس المطاع؟ فقال: لا شيء، اطمئن اطمئن، فاسترحت ووصل المدير فراجعه عبدالله حسن السنيدار من أجل القيد وسلمت للمدير ثلاثة ريالات ففك لي القيد فأمنت واسترحت، وصاح المدير للحراس وقال: انتبهوا على المحبوس الجديد، ونام تلك الليلة -كما ذكرت- على البئر، وفي اليوم التالي

وصلت بنت المدير، ووصل المدير بعدها وهي في حضني تأكل، فخاطبني بقوله: المطاع المطاع، وقد أكد علي الأمير بأن لا يختلط بأحد، فماذا عندك أخبرني بالحقيقة، قلت: إسمع لا يغررون بك ويجعلونك عدو، المطاع رجل عظيم، وإنما أغروا به مولانا الإمام، كما أغروه بي، وأنت قد عرفتني، وانتظر هو سيجلس ستة أيام ويخرج وإذا الإمام يكتب له: الولد أحمد المطاع العلامة ويعود إلى الوظيفة لأنه كاتب، وأوهمته أن الإمام يحبه، وإنما هي غضبة من الإمام بكلمة من واش، وسلمت له بعض ريالات وأخبرته أنها من السيد العلامة المطاع، وقال: والله إن كلمتك هي الصدق وكم قد أسأت إلى أناس فما أن يخرج من عندي فإذا هو مقرب من الإمام وأولاده، وانقلب عدواً، فدخل إلى السيد أحمد المطاع ، وفي نفس الوقت سلمت لأمين صندوق الرشوة أحد الحراس بضعة ريالات وقلت لهم: هذه من السيد أحمد المطاع.

عبد الله بن حسن السنيدار

دخل المدير عند السيد أحمد المطاع وأول شيء عمله أن أكب على ركبتيه يقبلهما واعتذر له، وقال للحراس: أنا قد اختبرت المطاع فوجدته من الرجال العلماء الكبار، وقد أكد علي بعض الموظفين في المقام بأن لا نكدره، وليس عليه ذنب وليس إلا دسيسة من بعض أعدائه كذبوا عليه، فإذا جاء أخوه دعوه يدخل إليه لا تمنعوه ولا تعترضوا عليه، ومن جلس عنده جلس ومن سار سار ومن جاء جاء كونوا أبناء ناس وقدروا الرجال، فلما وصل الغداء أدخلوا أخاه، ودخلت وقت الصلاة، وإذا أحمد المطاع في المسجد مختلطاً بالمسجونين الذين من المدرسة والمشائخ، وكان الإمام قبل حبس المطاع يطلب مشائخ خولان كل يوم ويهددهم ويسألهم من

كتب الكتاب الذين فيه المطالبة بالإصلاحات، وسمعت بأن في المكتوب مؤامرة، وكانت التهمة موجهة بصورة أكثر إلى الشيخ ناجي الغادر، حتى أن الإمام أمر بنقله من الرادع إلى سجن القلعة، أما علي تلهى فقد فر إلى عدن بعد أن انكشف أمر عائلة إبراهيم، لأن الذي أخرجهم من صنعاء هو الحمال السريحي والواسطة علي تلهى.

التقيت بالمطاع داخل السجن، وقصصت عليه ما حصل لي في اليوم الذي وصل فيه إلى السجن، فقال: أنا أعرف ما سيحدث عندك من أثر، ولكن اطمئن، فالفرج أصبح قريباً جداً جداً، وليس هنالك إشكال، وقد كتب الميثاق في بيت الكبسي بخط السيد أحمد الشامي، وقال لي أنه بعد أن حبست التقى بحسين الرخمي وقال له: تابعوا المراجعة للعزي صالح، وحثّوا بيت السنيدار، وابذلوا فلوساً في سبيل خروجه من الحبس، فإذا مضى عليه شهر في الحبس فما أظن أن يخرج، وسيدخل في مأزق ثاني، وقد تأثر الرئيس جمال والحاج عزيز يعني لحبسي لأنني كنت حلقة الوصل في المراسلات بالبريد واللاسلكي، وخاصة والمسألة أصبحت قريبة، وقال: إن الإخوان أجمعوا أمرهم على أن يذهب أخي محمد المطاع إلى المحويت ليبرم الأمر مع علي الوزير، ويربط مع السيد علي بن حمود شرف الدين في الطويلة، وذات يوم وصل لزيارتي شرهان وأخبرني أن القاضي عبدالله العمري جاد في السعي لإطلاقي، كما يحث أحمد محمد السنيدار للمتابعة في المراجعة من أجلي، وإذا أرسلت له بهدية فسيكون أفضل، فعملت برأيه، واستدعيت علي هاجر وأخبرته الخبر واتفقت معه على أن يشتري صندوق سمن من أجود السمن باسم أنه وصل لنا هدية، فاشترى ذلك ونزل معه حمال يحمله إلى بيت القاضي عبدالله ولم يقبله، ولكن علي هاجر أقسم يميناً أنه عن طيب نفس فشكره، ولما لان الإمام في المراجعة قال الأمير عنبر: لا يمكن إطلاقي إلا بعد أن أحلف أنا والأسرة جميعها أنني لا أكتب منشورات ولا تصل إلي

جـرائد من عدن، وأن أترك مسـايرة أحمـد المطاع، وأنني لم أقل: كانوا سيحبسون حمار علي تلهى حيث فرّ و ترك حماره، وهنا كانت المشكلة الكبرى والعقبـة الكأداء التي سـتعرقل إطلاقي لأن بعض الأسرة سيرفضون القسم، فكيف المخرج وكيف الحل؟ الحل الوحيد هو إرسال رشوة للأمير عنبر، الفلوس هي الحل الوحيد، وأرسلت الرشوة لـلأمير عنبر فعدل القسم، وتم الاتفاق بين الأمير عنبر والقاضي عبدالله أن يقتصر القسم على السجين فقط، فحصل الإطلاق، يوم الخميس، وبعد الظهر أرسل الأمير عنبر بأمر الإمام وأخذ مني العهد القاضي عبدالله الذي كان يعرف أنه تصل إلي جرائد، ولكنه حكيم، طلبوني من السجن إلى المقام مع أربعة جنود وهم مدججون بالسلاح ومحدقون بي من الجهات الأربع، وكأني قائد جيش قبض عليه في معركة، وصلت إلى المقام والأمير عنبر والقاضي عبدالله وثلة من الجنود، فلما وصلت وقفت وإذا القاضي عبدالله يبتسم على العسكر وضحيتهم، فأخذ بيدي وقال: احلف أنك لم تكتب منشورات ولم تصل جرائد إلى يدك مرسلة من عدن وانك لن تساير المطاع ولا تكلمت عن حبس الحمار، فأقسمت أني لم يحدث أن كتبت منشورات بيدي ولا تصل جرائد إلى بيتي من عدن ولا تكلمت عن حبس الحمار، أما المطاع فلا يمكن أن أحلف لأن بيني وبينه مودة وثيقة وتعاملاً، فالتفت القاضي وقال للأمير عنبـر: ألم أقل لكم أن العـزي صـالح من أهل الديانة، وتحـرر إطلاقي، وعدت إلى الحبس، وسلمت الرسامة (**يدفعها المسجون للسجانين عند إطلاقه**) كما دفعت رشوة من أجل أحمد المطاع وتوجهت إلى السوق، وفي أثناء الطريق تحت دار الذهب التي فوق عقد السائلة، التقيت بالحاج عزيز يعني، وقال: عندنا أمر مهم إلى عدن ونريد سحبه باللاسلكي اليوم والرموز التي بينك وبين الحاج الخادم الوجيه لا نعرفها، وكذلك لا نعرف بواسطة من نسحبها، فحررنا البرقية في تلك اللحظة وأوصلتها إلى عبدالله طاهر وصلت إلى الدكان وكانت ضربة في وجه الوشاة والحساد الذين

أشاعوا أني سأسجن إلى الأبد، كان إطلاقي يوم الخميس، ولكن كان في بالي أحمد المطاع، وكان شغلي الشاغل، ووصلت البيت عقب المغرب، وإذا بالنساء يزغردن من بيتنا ومن الجيران، فعجبت فأخبروني أنهم تلقوا أخباراً مفزعة، فمن قائل: حبس مؤبد، ومن قائل:سيرسلونه إلى سجن حجة، ومن قائل: سيقتلونه.

وفي يوم الجمعة ذهبت إلى القاضي عبدالله العمري وسملت عليه، وسألني عن السيد أحمد المطاع فأجبت أنه لا زال مقيداً، فقال: قد أمرنا بفك القيد، وعليك أن تحث على فك قيده، فذهبت إلى المدير وقلت له: فك القيد بأمر العمري، ولقيت حسن الرخمي فحثني على المتابعة بإطلاق المطاع، وأفادني بما أفاد المطاع بأنه إذا لم يدبر إطلاقه بسرعة فلن يخرج بعد ذلك، فبذلت مالاً لإطلاقه، وبعد وصول الرشوة للأمير عنبر، قال: لايمكن إطلاقه إلا بعد أخذ اليمين بأن لا يساير عبدالوهاب نعمان، وهكذا: أحلف أنا لا أساير المطاع، والمطاع يحلف أن لا يساير عبدالوهاب نعمان، ونعمان طليق ليس في السجن، وحمدنا الله جميعاً لإطلاقه، وكان ما صرفته في سجني علي وعلى المطاع أكثر من سبعمائة ريال في أقل من شهر.

وكما قدمنا يدخل أهل المدرسة ويثيرون فتنة في المواجهة في موقف الإمام ويقضون عليه، ولا يبالون بحياة أو موت، وهكذا اتفق الناس على هذا وأخذوها قضية مسلمة إلى درجة أنه تم الإشعار إلى الحديدة وتعز وغيرها ينتظرون يوم الأربعاء وأن ذلك سيتم حتماً، ولكن مع الأسف لم يتم، إذ أن العجلة والتسرع من بعض الإخوة أوقعت الحزب في مأزق انتظرنا فيه الهلاك والقضاء على الحركة لولا وقاية الله، وقضاء الله لا يرد، أخبرنا بأن الحاج محمد عبدالله الزهيري أبرق إلى الإخوان في عدن أنه قد تم الأمر، فاستعجل الإخوان بعدن ونشروا الخبر ونشرت الصحف والإذاعات الخبر، وكانت ضربة للإخوان الذين في الداخل، وفي صباح الخميس نزلت إلى قاع شرارة (**يسمى الآن ميدان التحرير**) لنودع البعثة المسافرة .. وإذا بالأخ عبدالله طاهر يسلم إلي برقية من

الحاج الخادم من عدن لفظها: العزي صالح السنيدار أفيدونا سريعاً هل بعتم السواحلي الذي لديكم أم لا؟ (**السواحلي قماش ابيض وبعضهم يسميه مريكني**)

الجواب: عدن الحاج الخادم، السواحلي باقي، المشتري رفض، السعر غير موافق، العزي صالح.

فلما اطلع السيد أحمد المطاع والحاج علي محمد والحاج عبدالله حسن على البرقية عجبوا وتأثروا، وهنا كان الخوف الشديد والانتظار للتنكيل والقضاء المبرم على كل الإخوان، وإذا ببرقية أخرى في نفس اليوم: صنعاء، العزي صالح السنيدار، عجلوا ببيع السواحلي ولو بخسارة لا تتأخروا.

ولم نشعر إلا بالصحيفة من مصر وقد نشرت الميثاق وأسماء أعضاء الحكومة الجديدة فرداً فرداً، وبعد أربعة أيام وصل الحاج الخادم وهو منزعج جداً وينتظر لما سيحدث لأنه قد سمع أن بحوزة أحمد بن الإمام في تعز بيان فيه أسماء نحو خمسمائة شخص ولازال الحصر يتوالى، وهنا بدأ التفكير في الرجال الذين سيقومون بتنفيذ الخطة، وكان اختيار أولاد الحسيني وعلي القردعي وأولاد الشيخ محسن هارون والعتمي وسنهوب وريحان سائق السيارة، وكان محسن هارون على علم بالخطة، وكذلك الصفي محبوب يعرف سيرها من أولها إلى آخرها، وكان يقوم بالإرشاد ويلمح لمن يثق به بصورة محكمة.

وللأسف فإن السيد أحمد المطاع والحاج الخادم وثقا برجلين هما: القاضي حسين الحلالي وعامل تعز السيد محمد باشا، وكان عامل صنعاء السيد حسين عبدالقادر يحذرهما منهما فكان جوابهما: لا تقلقوا فنحن على ثقة، وقد دخلا في المخطط بإخلاص، ولكن عامل صنعاء كان متشائماً منهما جداً.

تدارك الأمر

بدأت المحادثة حول العملية بعد أن كشفت الخطة بالغلطة الكبيرة، واحتاجت القضية إلى فلوس فسلمت إلى عبدالله الوزير فلوس بواسطة الحاج محمد هاشم، وأرسل الرئيس جمال إلينا بأنه يحتاج إلى فلوس للجنود والضباط ، وأرسل لي يقول: يا عزي من الآن فصاعداً يجب أن لا تتصل بي ولا أتصل بك، ولا حتى سلام، وإذا كان هناك حاجة فنلتقي بعد الظهر في نقم، ونختار البقعة التي لا يرانا فيها أحد، فقلت: تحت السدرة التي تحت عين الفقيه (**موضع في جبل نقم وكانت فيه عين ماء**) وكان كذلك.

اتفق الحاج عزيز يعني وبيت الوزير والمطاع والكبسي وحددوا الرجال الذين سيقومون بالعملية، وقبل الحادثة بأسبوع أرسل الرئيس جمال جميل يقول: لابد من خمسة آلاف ريال يومنا هذا مالم سنفشل، وفعلاً أحضرت خمسة آلاف ريال ووضعناها في خمس صفائح وجعلنا في أعلى الصفائح تمراً، وكان المساعد لنا في ذلك علي هاجر وعلي الحميدي، كما قام الحاج عبدالله السنيدار بتفريغ محل في سمسرة المنصورة لأنها ملكهم وعمال السمسرة من خاصتهم، ووصل القيزل سواق عبدالله بن أحمد الوزير بالسيارة وحمل الفلوس، وكنا في هذه الفترة شبه فدائيين، ونزلت وقت الظهر الى بيت أحمد المطاع ببير العزب (**الجزء الغربي من صنعاء**) وكان قريبا من المنتزه الذي يسكنه الرئيس جمال، فجاء الى بيت المطاع، وتحادثنا وقال لي: ياعزي المسألة غير منظمة والله ان الفضيل يسوقنا الى المذبح بسياسته ولكن كما تقولون «قد احنا في الوسط» (**يقولها من تورط في أمر ولم يجد مفرا**) وامتنع الإخوان عن الوصول الى بيت السيد علي الوزير في الصياد (**منطقة في صنعاء**) وفكروا: كيف يكون الاتصال به لاسيما وبيت مدير الأمن عبدالله الشامي يقع بالقرب من بيت الوزير ومن

جاء الى بيت الوزير فعليه ان يمر من باب الشامي، وقد اسندت الي مهمة الاتصال ببيت الوزير فكنت امر وأنا أحمل في يدي قماشا وذراعا ومقصا متظاهرا بأنني ذاهب لتفصيل ملابس وستارات للبيت، كما كان احمد المطاع يذهب اليه متنكرا، وكنت انقل الأخبار من والى الإخوان.

سافر الحاج الخادم غالب بعد ان ألح بسرعة العمل، وكانت الجلسات تعقد في بيت السيد حسين الكبسي يوميا ويحضرها الكبسي والمطاع والورتلاني وأحمد الشامي فقط،كما كانت تعقد جلسات في بيت الشيخ عبدالوهاب نعمان وكانت تدور بين ثلاثة: عبدالوهاب نعمان والرئيس جمال والعزي صالح السنيدار، كما كانت تعقد جلسات أيضا في العرضي **(ثكنات الجيش وكان الكلمة تركية)** بين الرئيس جمال والضباط، كما كانت تعقد جلسات بيني وبين الحاج عبدالله حسن السنيدار والحاج علي محمد السنيدار.

وتعقد جلسات أيضا بين عبدالله بن محمد الوزير والحاج عزيز يعني والرجال الذين سيقومون بالعملية وكانت تعقد في بيت عبدالله بن أحمد الوزير، وكذا جلسات في بيت علي بن عبدالله الوزير بين عبدالله بن علي الوزير وجماعة من آل الوزير، ويحضرها جمع من الرجال العاملين، وكانت تعرض نتائج الجلسات على عامل صنعاء وولده، وكان الجماعة يخشون من عبدالله أحمد الوزير ان يتراجع لأنهم كانوا يلاحظون منه أحيانا ترددا، ولكن الحاج عزيز يعني وعبدالله بن محمد الوزير ومحمد الوزير كانوا يشحذون من عزيمته.

وفي آخر جمعة للإمام يحيى ذهب الى الصلاة بأبهة زايدة على المعتاد بالعربية والمظلة والهجانة، وأظهر قوة كبيرة، خرجنا من الصلاة والناس كثيرون، وإذا محمد الوزير يصيح لي بين الناس: «وذيّك يوم الاثنين» ويقصد ذلك الأمر المتفق عليه سيكون يوم الاثنين، فقلت له: «إذا يشتي البز سلم الفلوس» اعني إذا كان يريد البز فليسلم الفلوس، اقصد المغالطة، فعرف انه غلط، وكانت الكلمة علي كالصاعقة.

وفي يوم الاثنين السادس من ربيع الثاني ١٣٦٧هـ لم اشعر إلا بوصول ريحان سائق سيارة علي عبدالله الوزير ومعه ثلاثة عرفت منهم سنهوب وصل بحوالة يطلب فيها نقودا وكان ذلك ضروريا، فارتبكت وتألمت من هذا التصرف الأهوج، فما كان أمامي إلا أن أرسلت علي هاجر ليسلم لهم الحوالة، وبعد نصف ساعة وصل الي الحاج حسن الكبوس، وقال: الحاجة لسلاح شميزر **(رشاش قديم)** ولابد منه، فقلت: مرحبا كم قيمتها؟ فقال: اربعمائة وخمسين ريالا فسلمت له المبلغ.

الثلاثاء ٧ ربيع الثاني ١٣٦٧هـ

أصبح الصباح وسألت عن العملية: كيف ستكون؟ وأفادوني ان الحاج علي محمد السنيدار مدير الشركة قد اتفق مع بعض الإخوان الذين عقدوا الجلسات منهم الفضيل الورتلاني على أن يهيئ الحاج علي ومحمد الكبوس سيارة الشركة ويغطونها بطربال تغطية كاملة ويسوقها ريحان ويركب عليها الأبطال ويرقبون خروج الإمام يحيى حين يخرج للدورة، ويخرج السيد أحمد الشامي ليرقب العملية وعند ان تنجح يشير بخرقة يلوح بها للمراقبين في صنعاء الذين يراقبون بالمناظير.

وبقي كل شخص من العارفين في ارتباك ووساوس: هل تنجح العملية، وكان ذلك اليوم عندنا يوم حياة أو موت، وبقيت في السوق أغالط نفسي في سمسرة محمد بن حسن بالبيع والشراء. وفي الساعة الخامسة بالتوقيت الغروبي أي قبل الظهر وصل عبدالله طاهر وهو في حالة وساوس، وأنا وأحمد عبدالله المحفدي أتظاهر بأنني أريد منه شراء بضاعة حتى قرب الظهر، ووصل الحاج عبدالله حسن السنيدار وألح علي بأن نصعد أنا وهو الى المنظرة **(اعلى غرفة في البيت وتطل على المدينة)** في الدور الأعلى حتى نراقب، وكنت أحاول الرفض، فلم يترك لي فرصة، بل ظل يلح علي،

ومن المصادفة أنه كان عندي صهري أحمد هاجر فتركني، وذهبت للغداء أنا وأحمد هاجر ولكن الوقت يمضي ولا خبر، واستنكر الناس تأخر رجوع الإمام، فخرجت من البيت للصلاة فوجدت السيد محمد أحمد المطاع وهو غارق في بحر الوساوس، فسألته: ماذا عندك؟ فأجاب: ما هنالك خبر إلا ان الناس يتساءلون: ما سبب تأخر الإمام؟ فسألته: وأين خرج الإمام؟ قال:بيت حاضر.وذهبت الى مسجد القاسمي وفي الطريق وجدت أحمد حمود بعشر، وقلت له: إن كريمتي(يعني اختي) تبلغك السلام، وترجو منك معاونتها لدى الصفي الجرافي لأن الحاج حمود الراعي ينازعها في المسقى الذي يصل الى مالها في الروضة، ولاحظت صورته فإذا هي يظهر عليها الكدر والحيرة، فقال: اسمع من الهدار الفارغ ماذا سمعت؟ فقلت له: عمّ تسأل؟ فقال: قتلوا الإمام والقاضي عبدالله في سواد حزيز عند عودته من الدورة، وقد طلع عبدالله الوزير القصر. فرجعت الى البيت وشاع الخبر، وسألت عن الرئيس جمال فعرفت انه في مبنى البلدية وعنده عبدالسلام صبرة، وهما منتظران الخبر، وعند ان عرف الخبر ذهب للمقيل لدى عامل صنعاء، وجاءهم الخبر خلال المقيل.

دار الشكر .. أحد قصور الطغاة

وقد كان أحمد المقعش أحد المجاهدين المغمورين المنسيين كان حرر أوامر باسم أمير الجيش علي بن إبراهيم الى الحراس الذين

بباب خزيمة المسمى الآن باب الشراعي، حرر الأوامر بدخول الجنود من باب خزيمة، ووصل الرئيس جمال، ورتب العساكر في باب دار السعادة ودار الشكر، ومن العجيب ان السيارة التي أوصلت جثة الإمام يحيى والقاضي عبدالله العمري ومن معهما مرت من العرضي الدفاعي والعرضي النظامي والمدفعية ولم يتحرك ساكن.

وصل السيف الحسين وأخواه محسن ويحيى وخاطبوا الرئيس بلهجة عنيفة. وكان العكفة **(الحرس الخاص بالإمام)** حاضرين فأمر الحسين بإطلاق الرصاص على الرئيس جمال وعلى سرية الرشاش التي معه، فرد الرئيس جمال على ذلك بأن أمربإطلاق النار على أولاد الإمام فقتل الحسين ومحسن.

صدى الحادث في الخارج

وفي المساء نشرت الإذاعات العربية عن الحادث العظيم، وهنا ظهرت النوايا الخبيثة التي يكنها الملوك الفاسدون بالرغم من العداء لبعضهم بعضا، فهم أعداء فيما بينهم تبعا للمصالح الشخصية، وهم إخوان ضد الشعوب.

كان أحرار اليمن إذا شكوا لفاروق حال اليمن أجاب بقوله: اشرعوا في العمل ضد الحكام الفاسدين ونحن معكم، كما كان عبدالعزيز السعودي العدو اللدود للإمام يحيى، وأيضا سعود للإمام أحمد الذي أذاقه المر في المناطق التي وراء صعدة مما يلي أرض الحجاز، وكذلك موقف حكام العراق والأردن، إذ قامت قيامتهم، وحاربوا الثورة اليمنية في الإذاعات والصحف، وأيدوا أحمد وشجعوه على الشعب المنكوب.

طلع فجر يوم الأربعاء الثامن من ربيع الثاني على الناس وهم فريقان: فريق مسرور، وفريق حزين.

وقد أنيطت مهمة القضاء على أحمد في تعز الى أناس ولكن

القدر لم يساعدهم، بل فشلوا وكان عامل تعز أول المخادعين، ووصل أحمد الى باجل والتقى بالمخادع الثاني.

أسباب فشل ثورة ٤٨

وكان سبب الفشل ثلاثة أمور:

– نجاة أحمد ولي العهد الذي مرق من بين الرجال المكلفين بالقضاء عليه ولم يمسسه سوء.

– اقتصار التوعية على بعض سكان المدن ولم تنطلق الى القبائل في الأرياف.

– سلبية عبد الله بن أحمد الوزير وما أصابه من الخبال جعله لا يتقبل أي نصح أبداً.

هذه الأمور الثلاثة كانت هي النكبة الكبرى التي أصيبت بها الثورة.



الرئيس جمال جميل

وفي صباح يوم الخميس أقبل الناس على الرئيس جمال جميل من كل الطبقات عسكريين ومدنيين وغيرهم، وقد جعل مكان القيادة العمارة التي تقع شرق مسجد المتوكل، وكانت آنذاك هي مبنى البلدية، وقد ظهر الرئيس جمال بمظهر القائد المحنك القدير، الذي يمثل القيادة والكفاءة والشجاعة والحكمة، وأول شيء فعله ان رتب الجنود

ترتيبا منظما، وخاصة في باب السبح (**احد ابواب صنعاء**) حيث القيادة، ودار السعادة، ودار الشكر، ووضع المدافع والرشاشات ووزع المرتبات على الجيش، وكان يرى ضرورة القضاء على ولي العهد، وإذا لم يتم هذا فهو الفشل لا محالة، وكانت إدارته في محل القيادة، إدارة حكيمة تصحبها أخلاق حميدة وسياسة واعية ومحكمة.

الإمام الجديد !

أما السيد عبدالله أحمد الوزير الذي نصب خلفا للإمام يحيى فإنه جعل مقره في قصر غمدان، وقد وفد عليه الناس من جميع الطبقات، وأراد أن يقلد الإمام يحيى من أول يوم، إذ أغلق الأبواب وكثّر الحجاب واستعجل في ارسال العذبتين❖ وأخذ البيعة، والعجلة هي شنشنة في العلويين من قديم الزمان.

ذهبت الى باب القصر، ووالله إني توقعت الفشل من ذلك اليوم بسبب السياسة الخرقاء التي اتبعها عبد الله الوزير، ونظرت اليه كغيري، وقد سلبت منه تلك المعنوية التي كان يتمتع بها حتى في كلامه، وفي هذه الأيام التي سميت بأيام الدستور، سأذكر ما شاهدت وسمعت مما علق في ذاكرتي، ولابد ان يذكر المؤرخون تلك الأيام.

❖ جزء من العمامة يتدلى على الظهر أوعلى جانب من الرأس

نعم ان معظم الرجال الكملاء خرجوا من مقام الوزير وهم غير راضين عن سياسته وعلى الخصوص الذين قدموا له النصح، فإنه أبدى تهورا في كلامه ولم يسمع نصح من نصحوه.

نصحوه بأن لا يزود القبائل بالسلاح فلم يسمع...

نصحوه بأن يتريث في إعلان نفسه إماما فلم يسمع.

نصحوه بأن لا يبقى في القصر بل يخرج للناس فلم يسمع...

نصحوه بأن يقابل الوفود من القبائل بأخلاق واتزان وحكمة فلم يسمع...

نصحوه بأن يستبقي الجيش الدفاعي حيث أنه من المناطق الجنوبية لأن الجيش النظامي غير مؤتمن فلم يسمع...

هذا كله والرئيس جمال يتميز غيظا من سوء تصرفات الوزير وكان عبدالله بن محمد الوزير من المتحركين بنشاط وكان ينتقد تصرفات عمه، وكذلك عبدالله بن علي الوزير والسيد أحمد المطاع والسيد حسين الكبسي، وغيرهم.

لماذا فشلت ثورة ٤٨م ؟

وقد هدأت الأمور في البداية وكان السيد عبدالله بن أحمد الوزير كلما وصل اليه رجال من القبائل يقابلهم بالوعيد والارعاد والابراق!

أما الفضيل الورتلاني فقد اعتمد على الجامعة العربية وكان يعد الناس ويمنيهم بأن الجامعة العربية ستشد أزر الحكومة الدستورية، وكان هذا من جملة الأسباب التي ساقتنا الى الفشل.

تركت التردد على عبد الله الوزير ولازمت الرئيس جمال، كذلك فعل أحمد المطاع وعبدالسلام صبرة، كنت أنا وعبدالسلام صبرة ننفذ كل ما يأمرنا به الرئيس جمال، وقد اختار لنا توزيع مرتبات الحرس، وكذلك توزيع الصدقات، والقيام بأعمال البلدية، وكان مقرنا مكتب عبدالسلام صبرة، وكنا نمشي لتوزيع الصدقة على من لايقدرون على الخروج من بيوتهم إما لعجز أو خجل من التعرض للسؤال ممن لا يسألون الناس إلحافا، وأما أحمد المطاع فكان يقوم بالإرشاد وتسكين روعة الخائفين من عامة الناس، وكل الإخوان المخلصين بذلوا جهودهم.

وقد هدأت الحالة بعض أيام حتى سمع الناس بنجاة ولي العهد ووصوله الى باجل واتفاقه بالحلالي، ثم وصوله حجة أخيرا، وكان العقلاء قد أشاروا على علي عبدالله الوزير بالانتقال من المحويت الى حجة واستحسن الكثيرون هذا الرأي ولكن الإمام الوزير رفض لحاجة في نفسه والله أعلم بالسرائر.

وعندما سمع الناس بوصول ولي العهد الى حجة انقلبوا وثارت القبائل، ونكث بعض العلماء بالعهود، ثم وصل سيف الحق إبراهيم الى صنعاء وكذلك القاضي محمد محمود الزبيري وغيرهم، كما وصل البدر بن الإمام أحمد، أما الأستاذ نعمان فقد توجه من عدن مع بعض الجماعة ومعهم جنود الصاعقة، ووصلوا الى تعز، وكان القائم بإمارة الجيش والأمن العام في تعز الباشا سري شايع، وكان النقيب حسن الشايف والسيد زيد الموشكي وحمود الجايفي وغيرهم من الإخوان بتعز، بينما كان عامل تعز يراوغ ويخادع.

لما تجمعت القبائل وثارت أشار الإخوان ومنهم الرئيس جمال على الإمام الوزير بالخروج من صنعاء الى الجهات الجنوبية، فهي

أسلم والقبائل متجاوبة فرفض، ولما أحس علي عبدالله الوزير بالخطر توجه من المحويت الى صنعاء ولم يصل الا بعد مشقات، ثم تأزمت الأمور فكان الجيش النظامي يفر من العرضي بسلاحه نحو حجة أو نحو قراهم، ويحارب بالسلاح الذي معه، أما محيي الدين العنسي وأحمد المقعش وجماعته فقد قاموا بالمحافظة على الأمن داخل صنعاء وضواحيها، وكان الرئيس جمال قد عين ابني وعلي هاجر وعلي الحميدي للقيام بالدورية ليلا، وأظهر السيد محمد الحلبي مأمور الضبط إخلاصا كبيرا. ولاننسى طلاب المدرسة العلمية فقد تجندوا وقاموا بعمل لا يستهان به، كما قام شيعة بيت حميد الدين بالخداع بكل مايستطيعون، وأريد أن أشير هنا بصورة موجزة الى نقطة هامة، وهي أنني لم أقصد بكتابة هذه المذكرات الافتخار وأنني من الرعيل الأول في الجهاد ضد الظلم والظلام، مع إخواني الستة الذين زج بهم الإمام في حبس القلعة، وهم: محمد المحلوي، والسيد أحمد المطاع وأخوه محمد، والقاضي عبدالله العزب، والقاضي علي الشماحي والشيخ حسن الدعيس والذي عين كما ذكرنا عاملا في حيس كمنفي وقد ذكر ذلك في كتاب (دعوة الشعب وحده) للأستاذين محمد محمود الزبيري وأحمد محمد نعمان في صفحة رقم (١٠) وعند جهينة الخبر اليقين.

ومعلوم أني فتحت بيتي لإخواني القائمين بخدمة القضية فتحته لهم عدة أعوام، وقد كان الإمام أمر بتخريب بيتي لولا أنه كان مرتبطا بالبيوت المجاورة.

ولم أرد الفخر بنفسي وإنما أريد أن أقوم بواجبي بذكر الإخوان الذين عملوا في القضية ولم يكونوا شعراء ولا كتابا أو شخصيات مرموقة حتى يذكرهم المؤرخون، بل بعضهم من أبناء السوق من تجار وغيرهم، ولكون المؤرخين لا يعرفون هؤلاء ولا ماذا عملوا ولا

يلتفت اليهم لأنهم مغمورون، ولأنني أعرف عن هؤلاء مالا يعرفه غيري رأيت لزاما علي أن أذكر هؤلاء، واليكم طائفة منهم سواء من عملوا قبل الدستور أو أيام الدستور أو بعده:

فأول من بذر الفكرة ولم يعش حتى يرى نتيجة جهوده، وله اليد الطولى في الجهاد:

- محمد عبد الله المحلوي
- الحاج علي محمد السنيدار، استشهد أيام الجمهورية
- الحاج علي تلهي: فر الى عدن ونجا ثم حبس بعد ذلك
- الحاج محمد عكارس
- الحاج حسن الكبوس: فر ونجا
- الحاج محمد هاشم: سجن في حجة.
- القاضي عبد الرحمن الرباعي : نجا من الحبس.
- علي أحمد هاجر : نجا.
- علي أحمد عامر : سجن بحجة.
- علي الحميدي : نجا
- القاضي حسين العنسي : فر الى عدن.
- محمد بن العزي صالح السنيدار : حبس في صنعاء.
- محمد عبد الواسع الواسعي : سجن في حجة.
- الحاج سعيد الدمشقي : فر قبل الدستور ونجا، ثم سجن بعد ذلك.
- السيد محمد راوية
- الحاج عبد الله حسن السنيدار : حبس في زنزانة منفردة في سجن القلعة.

- محسن الشرفي : قبل الدستور
- العزي حُميد : قبل الدستور
- علي بن علي زبارة : قبل الدستور
- اسماعيل ومحمد الجرافي
- المريحي الحمال
- محمد عبد الله الزهيري : سجن
- الحاج محمد حسين الزهيري : سجن
- الحاج محمد حمود اليماني : عمل أيام الدستور
- الحاج حسن السرحي : عمل أيام الدستور
- الحاج محمد السخي : عمل قبل الدستور.
- الحاج عبد الله صبرة : عمل قبل الدستور.
- السيد عبدالله غمضان : عمل قبل وبعد الدستور.
- السيد عبد الله الديلمي الفريد من ذمار : عمل قبل الدستور وحبس معنا في الرادع قبل الدستور بشهرين (كما حبس بعد الدستور في حبس القلعة).

بوادر الفشل

بعد ان وصل أحمد حميد الدين حجة تغيرت الأحوال واشتد الكرب وخاصة على أهل صنعاء، وكان الرئيس جمال لايكف عن العمل ليلا ونهارا، ولم تفتر له عزيمة رغم ما يسمع من أخبار أحمد حميد الدين وثورة القبائل ضد الحكومة الدستورية، وكان سيف الحق ابراهيم في دار الضيافة كما ذكرنا، فلما ضاق الخناق ورأى الرئيس جمال ان الوزير لم يقبل نصح ناصح، وان الجيش النظامي قد فر من العرضي، ولم يبق إلا اليسير من المناضلين، ولم يبق من المدفعية إلا أحمد المندي وقاسم الثور، وعادل، ولم يبق في القصر إلا الحاج محسن هارون وأصحابه، ومحمد قائد الحسيني، وعلي القردعي وعبدالولي الذهب، وقد أظهر الشهيد محيي الدين العنسي شجاعة ومقاومة فائقة، وكذلك عبدالله السلال وحسن العمري وغالب الشرعي والحاج حزام المسوري وغيرهم ممن سيذكرهم التاريخ.

وكنت أقضي أكثر أوقاتي عند الرئيس جمال بعد ان أفرغ من عملي أنا وعبدالسلام صبرة، وقد تغلقت السماسر ووقفت الحركة التجارية والمهنية فأمر الرئيس جمال ان أقوم أنا وعبدالسلام صبرة بتوزيع مساعدات مالية للذين انقطعت أرزاقهم من الضعفاء، وكنا نعمل طول النهار، حتى أعطينا بعض العكفة مساعدات من الذين لايملكون شيئا.

كما أسند الرئيس جمال الى القيام بتوزيع السلاح للحرس الوطني من أهالي صنعاء، وان يوزع كذلك على الرهائن الذين في السجن من أولاد القبائل، أسند الي هذه المهمة مع بعض الإخوان.

ومن عـرفت أيام الدسـتور ممن كـانوا يلازمـون الرئيس جمـال حسين الأكوع وعلي الشرعي والسعيدي، ولابد من ذكر بعض الأمور التي واجهتها تلك الأيام، وصلت الى دار الضيافة واتفقت بالعزي محمد عبدالله العمري وقال لي: والله اني أحب ان تنجح الحكومة الدستورية ويهون علي قتل والدي رحمه الله، وهي كلمة لها قيمتها، لأنه يعرف ان قتل والده كان غير مقصود من الأحرار، وذهبت يوما الى دار الضيافة وإذا سيف الحق ابراهيم يطلب مني أن أقابله، فلما وصلت اليه وكان البدر عنده، فخاطبني بقوله: وهكذا ياعزي نبقى والله ما أجد عشرين ريال في جيبي، فقلت له: صبرا لا قلق، ورجعت الى الرئيس جمال وأخبرته بما قال، فبادر في الحال وحمل له عشرة آلاف ريال فشكرني، ولكني رأيت البدر وهو يتبعني بنظراته، وكان السيد محمد بن أحمد المطاع قد اسندت اليه أمور الدعاية والنشر، وقام بالعمل الى آخر أيام الدستور، وأما عبدالله طاهر فإنه قام بعمل كبير في إدارة البرق واللاسلكي وبإخلاص ليل نهار.

وكل يوم والحالة تشتد وتجمعت القبائل من كل حدب وصوب، وقد أطمعهم أحمد بنهب صنعاء واباحها لهم، فكانت هي الوسيلة في انتصاره، وكانت دعايته متواصلة نثرا ونظما، والإمام الوزير كلما خاطبه الرئيس جمال أو غيره كان جوابه: لا قلق.. في رأسي.. يقصد ان الأمر معصوب في رأسه وانه قادر على حل كل اشكال، ومن الغرور والسلب الذي استولى عليه حينما خاطبه المدفعيون بأنهم يريدون توفير السلاح والذخيرة، وان القبائل تترك جبل نقم وتقترب من القصر فأجاب: لاحاجة لشيء كله حقنا.

وفي اليوم الثالث أو الرابع احتاجوا ذخيرة فامتنع الحداد الذي كان يحرس الكهف المعد خزانة للذخائر وقد ذهب اليه الصفي

محبوب فوعظه ونصحه ولكنه امتنع ولم يسلم شيئا.

جرى كل ذلك رغما عن توالي الجلسات بدار الضيافة من الشخصيات البارزة والمسؤولين وكان السيد أحمد المطاع وعبدالله علي الوزير يجمعون الناس لحضور هذه الاجتماعات وكما ذكرنا فقد كان أحمد المطاع وعبدالله علي الوزير وغيرهم لايتوانون عن العمل والمشاورات.

وممن كان يحضر هذه الجلسات عامل صنعاء وولده وأمير الجيش علي بن ابراهيم والقاضي محمد محمود الزبيري والشيخ عبدالوهاب نعمان وسيف الحق ابراهيم والسيد أحمد الشامي والصفي الجرافي والحاج علي محمد السنيدار وعبدالله حسن السنيدار ومحيي الدين العنسي وأحمد البراق وأحمد الحورش وغيرهم.

ولكن النار قد اشتعلت، كل هذا والفضيل الورتلاني يكرر علينا قوله: امسكوا صنعاء اسبوعين والجامعة العربية قد وعدتنا بالاسعاف، وسيكون حل المشكلة على يدها، وهذا عبدالرحمن عزام قد زار الرياض وعواصم الدول العربية فلم ينفع شيء، ولا رحم الله ملوك المسلمين، فإنهم حاربوا الشعب اليمني ودستوره، وكل منهم قد لقي مصرعه.

ولو ان القدر ساعدنا ولو ان الوزير أصغى الى نصح الناصحين فإن المناطق الجنوبية كانت مع حكومة الدستور ومتجاوبة، وهذا علي محسن باشا قد تقدم بجيش من العدين وغيرها، وهذا القاضي محمد الربيع وابراهيم الحضراني يستنفران الناس، فلو ان الوزير قبل النصح وخرج من صنعاء الى المناطق الجنوبية مثل رداع والبيضاء أو تعز وإب لكانت المسألة أحسن وأسلم.

وقد قال الرئيس جمال بأنه سيخرجه بالجنود والرشاشات والمدافع ويفض له الطريق، واذا كان الأمر قد تأزم فكان خروجه سيجعل من اليمن دولتين، وإذا كان هناك صلح فسيكون بين دولتين، ولكن لله شؤون.

اجتمع احمد المطاع وعبدالله علي الوزير وعامل صنعاء وولده وأشخاص آخرون من الأشخاص البارزين وقرروا بأنه إذا لم يفهم الوزير فسيخلع بأي صفة كانت ولكن تدهور الحالة عاجلتهم.

كان كُتاب الوزير والملازمون له وأذكر منهم الشهيد السيد حسين الكبسي ومحمد السياغي والقاضي حسين مطهر وعلي عامر والمجاهد يصرفون المرتبات، والقائم بحاجات الوزير ورئيس حرسه الحاج عزيز يعني الذي استشهد بحجة، هؤلاء كانوا غير مرتاحين لتصرفات الوزير، ومن سوء تصرفه ان الناصحين له بعد قيام الدستور أشاروا عليه ان ينقل المساجين مثل أولاد الإمام واتباعهم كيحيى النهاري من صنعاء الى تعز أو قلعة المقاطرة فلم يسمع، بل أبقاهم في سجن القلعة بصنعاء وقرر لهم مصروفات فائضة فكانت تعينهم على اخراج الرسائل والأخبار، وكانوا أول من نصّر(**اشعال النار على أسقف البيوت ابتهاجا بانتصار الإمام**) ليلة السقوط، وأفشلوا الجنود المرابطين في صنعاء.

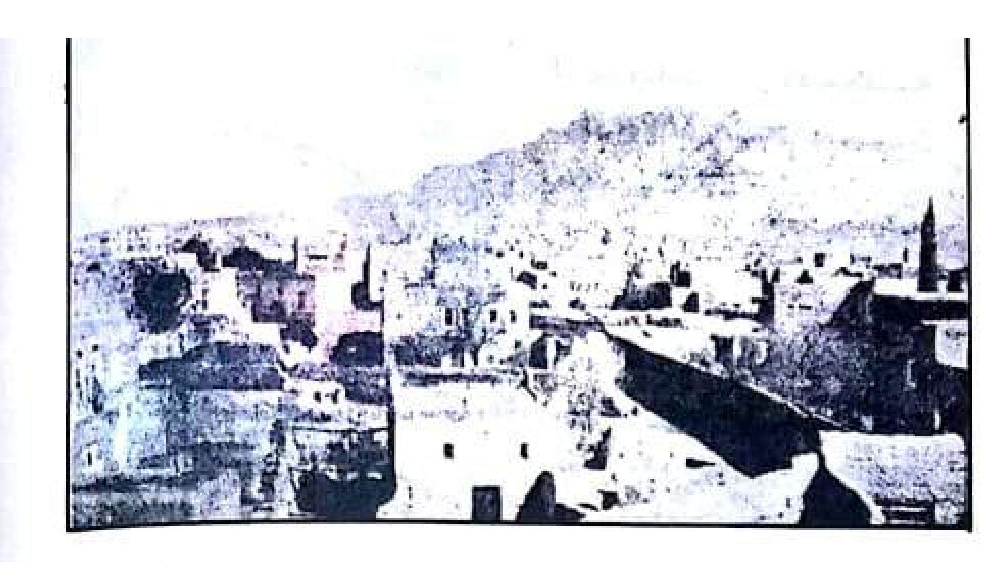
وكان القاضي محمد محمود الزبيري يقوم بالخطب والدعاية ويتحرك الى كل الدوائر ولم يقر له قرار، كما كان على اتصال بالفضيل والرئيس جمال وبالإخوان ويتشاورون في كل الأمور، وقبل السقوط وتثبيط الملوك لعبدالرحمن عزام وصلت منشورات، وكانت الحكومة الدستورية تستأجر طائرة تروح وتجيء من عدن الى صنعاء، ولم يبق من القبائل مع الحكومة الدستورية سوى قبيلة نهم. وعندما بدأ حصار صنعاء اضطر الرئيس جمال ان يطلع الى

الوزير وبالحرس وهم طلبة الكلية الحربية الذين كان يسميهم أولاده، وكانوا القائمين بحراسته والمخلصين له.

والخلاصة ان جميع الإخوان الأحرار من علماء وعسكريين وتجار وضباط ومشائخ وهم القليل وموظفين وكتاب جميعهم قاموا بأعمال كبيرة وبهمة ونشاط ولم يتوانوا وجاهدوا الى آخر لحظة وكانوا يدا واحدة لا أطماع ولا مناصب.



محمد محمود الزبيري



منظر جانبي لمدينة صنعاء قبل الثورة

حصار صنعاء

اشتدت وطأة الحصار على صنعاء، ولما أحدق الخطر وأحس الأهالي بذلك خاصة بعد ان سمعوا بأن الإمام قد أباح صنعاء للقبائل، وان كل ما يؤخذ منها حلال، وكذلك الدماء، والقبائل يتنادون: ياشوقاه الى صنعاء، يا شوقاه للنساء...

لقيت عبدالله طاهر وقال: ان السيد حسين الكبسي -وكان يشغل منصب وزير خارجية الحكومة الدستورية- قد أرسل عدة برقيات الى ملوك العرب يستنجدهم، وآخر برقية الى عبدالعزيز آل سعود، وخلاصة هذه البرقيات: نناشدكم باسم خمسين ألفا بين ذكر وانثى وعجزة وأطفال ان تنقذوا هذه النفوس التي سيسألكم الله عنها. وقال عبدالله لي وللسيد احمد المطاع: ان الملك عبدالعزيز قرأ البرقية ولم يجب بشيء بل رماها بكبر وعنجهية، وظل عبدالله طاهر يطالب بالجواب عدة مرات وعبدالعزيز يرفض الجواب ولو بكلمة واحدة.

اشتد الحصار وكلما اتصل الرئيس جمال تليفونيا بالوزير يجيب عليه: في رأسي.

نزلت بعد المغرب كعادتي الى الرئيس جمال ونظرت اليه وقد تغيرت صورته لا جُبنا بل من كثرة الأعمال المتواصلة والسهر، فقلت له: هل تريد شيء؟ فقال: شيء مريّق، فذهبت الى السوق وأحضرت له شراب تفاح وشراب مخموس فأعجبه وشكرني، فقلت له: ان شاء الله النصر حليفنا، فنظر الي وقال: ياعزي جبل نقم سقط من أيدينا، وكان في قلعة نقم العليا علي القردعي والسيد محمد الوزير ومعهم بعض الجنود، فتأثرت وقلت: لاتجزع فنحن في جهاد وكفاح وتحرير شعب فالموت في سبيل الله والوطن سعادة ونعيم.. فقال: ياعزي الحالة حرجة وأولادي الضباط سيواجهون أزمة، وهذه السيارة سنحمل عليها فلوسا ومعها هذا الكشف، فركبت السيارة ووصلت الى دهليز بيتي وقد وصل الذين سيستلمون الفلوس، وهم السيد أحمد المروني والسيد احمد الحبشي وعبدالله السلال وحسن العمري والسيد أحمد المطاع وغيرهم، وقد ضلوا عن ذهني، وكان أكبر معاون لي وللسيد أحمد المطاع في تنفيذ ما يعهد به الينا الرئيس جمال، علي هاجر وعلي الحميدي وابني محمد.

وفي الليلة الثانية ذهبت الى الرئيس جمال والتقيت هناك بالقاضي محمد محمود الزبيري وأحمد الحورش وأحمد البراق وأناس من عالم البياض من المدرسة العلمية، وقد اتفقوا مع الرئيس جمال انهم سيخرجون الى المطار لحراسته، فقلت للرئيس جمال: كيف يخرج هؤلاء لحماية المطار وهم زبدة اليمن ونخبة الأحرار؟ فقال: ياحضرة الرئيس كيف ترى؟ فقلت: أولادنا أبناء الكلية الحربية هم الذين يخرجون لحراسة المطار، وهؤلاء الرجال ينوبون عنهم في حراستك، فشكر لي هذا الرأي. وكان الشيخ عبد

الولي الذهب يقوم بحراسة المطار الى ليلة السقوط.

وفي اليوم التالي قرر الفضيل الورتلاني وعبدالله علي الوزير والقاضي محمد محمود الزبيري السفر على الطائرة الى ملوك العرب يستنجدونهم، هذا ماتوصل اليه المذكورون مع الرئيس جمال، وقد قال لي السيد أحمد المطاع: انزل بعد الظهر الى الرئيس جمال، إذا رأى أن أسافر بالطائرة ان كان في ذلك خير، ولا يظن ان ذلك مني خوف من الموت، بل اني سأقوم بمهمة ذات نفع، ويمكن ان استصحبك معي للمؤانسة والتعاون، فكلمت الرئيس جمال، فقال: ياعزي من رأيي ان تبقوا، ولو تكون العاقبة الموت، فالموت أحب لكم من ان تبقى نقطة سوداء في تاريخكم، إلا إذا كنتم مصممين فسأرخص لكم، ولكن ليس من الخير سفركم أبداً أبداً والحياة نهايتها الموت، فكلمت السيد أحمد فقال: والله إن رأيه سديد فلنبق.

واشتد الحصار على صنعاء وحصلت الخيانة من داخل المدينة، وكان الرئيس جمال وعامل صنعاء يتخوفان من شائف زهرة ان يفتح الباب للقبائل، فقال لي: انظر شائف زهرة، فلقيته وركبنا على سيارة، قلت له: انك الرجل المخلص من زمان، فما رأيك؟ فاقسم بالله انه لا ينوي أي خداع.

وكان أحمد المطاع في بيت بير العزب فأرسل الي وقال: يجب ان انتقل فإن الرمي والرصاص يوجه الى بيتي. فانتقل الى بيته في صنعاء.

أما حالة الناس في صنعاء فقد كان كل واحد يفرغ دكانه وينقل بضاعته الى بيته، وبعضهم ينقلون بضاعتهم الى سمسرة محمد بن حسن، والبعض ينقل فراشه وأثاثه الى معارفهم من القبائل، ومع

هذا فإن الأمن داخل المدينة كان متوفرا بحسن تدبير الرئيس جمال والمخلصين للثورة، وكانت الدوريات تملأ شوارع صنعاء، حتى عبدالسلام صبرة وأحمد المقعش والعزي صالح وابنه محمد وعلي هاجر وعلي الحميدي وطلبة المدارس العلمية ومن الحرس الوطني من أهالي صنعاء، كل هؤلاء كانوا يقومون بالحراسة، وكان مأمور الضبط السيد محمد الحلبي قائما بتدبير الحراسة وسر الليل بكل جهد وإخلاص، ولم يحصل بصنعاء أي حادث حتى ليلة السقوط، والذي سبب القلق هو ان الرصاص أصبح يصوب الى داخل صنعاء.

قال لي السيد أحمد المطاع: ان القبائل قد اجمعوا أمرهم ان يهجموا على صنعاء ليلة السبت، وانهم قد ملوا الحصار وهمّ بعضهم بالانسحاب إذا لم يتم دخولهم صنعاء ليلة السبت، وكانت صنعاء مرتبة ومحصنة تحصينا قويا لولا ماذكرنا، وهو ان الإمام الوزير استخف بأولاد الإمام يحيى وأتباعهم وأبقاهم في سجن صنعاء في قصر غمدان بجوار الوزير، وبذلك سهل عليهم الاتصال بالخونة ممن في صنعاء وممن يخرجون منها، وقد اغتنم هؤلاء الخونة الفرص خاصة ليلة السبت.

نزلت الى الرئيس جمال ليلة الأربعاء أو الخميس، وقد أمر بسد نوافذ غرف القيادة، وقال لي: الحالة أصبحت حرجة. وبعد صلاة الجمعة وقد استولى الخوف على النفوس وصل الى بيتي السيد أحمد الشامي والصفي أحمد السرحي وأحمد المندي المدفعي وقد بذل جهده في الدفاع، وقال: إذا لم نفاجأ بالخداع من داخل صنعاء فأنا وعادل أفندي كما ان قاسم الثور يدافع في الجهة الشمالية في شعوب، وفي غربي صنعاء محيي الدين العنسي وغالب الشرعي.

ليلة السبت المشؤومة !

ليلة السبت هي الليلة السوداء التي لم يشهد اليمن مثلها ومثل الأيام التي تلتها، ليلة الاباحة بأشد من إباحة المدينة المنورة أيام يزيد بن معاوية لأنها ثلاثة أيام فقط، أما هذه فأسبوعان لم يحترم فيها عاجز ولا امرأة ولا طفل، بل ولا بعض المساجد.

وفي هذه الليلة خرجت أنا وعلي هاجر وعلي الحميدي ندور كالعادة وقد كان ابني محمد قد كلفه الرئيس جمال بأن يقوم مع الدورية التي تدور في سيارة ويراقبهم لئلا تحصل خيانة منهم، وصلنا الى سوق البقر فإذا بالرصاص ينهال علينا، ولقيت أحمد المقعش وهو يدور كعادته، ونظرت الى حصن نقم والنار تشتعل فيه بما يسمونه (تصيرة) فقلت لأحمد المقعش: ماهذا؟ فقال: لا تقلق فإن أهل مراد قد وصلوا نجدة للقردعي واستولوا على الحصن، فخدرني بهذا الخبر. فلما رجعت الى البيت أنا وعلي هاجر وعلي الحميدي ولم نلبث إلا قليلا فإذا ولدي يصل وهو في حالة رعب شديد وقال: درنا بالسيارة ولما وصلنا الى القصر وجدنا بابه قد أقفل وسرعان ما سمعنا أصوات الرصاص حولنا، وقتل أحد الدورية ولولا لطف الله كنت القتيل الثاني، لأنهم كانوا يقصدونني أنا.

وبعد قليل قام الشيعة وأذناب أولاد الإمام باشعال النار في سطوح المنازل لأنهم رأوا أول نار تشتعل من القصر، والذين بدأوا بإشعالها هم المساجين من أولاد الإمام وأذنابهم مثل يحيى النهاري وغيره، وهنا سأذكر ما حصل لي وشاهدت لأنها ليلة كالقيامة لكل امرئ شأن يغنيه.

ليلة السبت مرة أخرى

ذكرت فيما سبق أن ولدي نجا من الموت عندما كان يدور بالسيارة في شوارع صنعاءوأطلق عليهم الرصاص، وأنا وعلي هاجر وعلي الحميدي رجعنا الى البيت، وكان علي هاجر قد قام بسد نوافذ الديوان في بيتي، وبعد ساعة سمعنا الصياح من سطوح المنازل: يامتوكلاه، فطلعنا الى السطح، وإذا النار تشتعل في سطوح أكثر البيوت، فإذا بنا نسمع صياح الناس: بيت العزي صالح، بيت العزي صالح. ثم وصل الى باب بيتي جماعة تقدر بالعشرات، وجعلوا يضربون الباب بالحجارة ليفتحوه، ولما أشرفت عليهم من الشباك أطلق أحدهم رصاصة أحدثت خدشا في الجانب الأيمن من رأسي، ولما فتحوا الباب وأحسست بالخطر هربت من سطح البيت الى بيت محمد صالح دغيش، وكنت واثقا منه الى درجة انني وعلي هاجر هرّبنا بعض فرشنا اليه، وسبب ثقتي به عدة أمور، أولها: ان البيت الذي يسكنه امتلك منه قدر ثلثه تقريبا.

ثانيها: انه كان من السوارية ومعلوم كثرة غياب السوارية عن أهلهم وكانت عائلته مريضة وأولاده، وقد كنا نقوم بكل ما يحتاجونه، وإذا احتاج فلوسا قرضة أقرضناه، هذا عدا ما كانت تقوم به عائلتي من مساعدة لزوجته إذا اشتد عليها المرض، وهو من بيت أصيل وكان الظن به خيرا، فلما وصلت الى مكانه لم يقبلني ولاساعة، وكان في إمكانه ان يخفيني أو يحميني لأنه من قبيلة ولكن خاب الظن.

الفرار من دغيش.. لكن إلى أين؟

فررت من بيتي الى بيت دغيش والآن أفر من دغيش ولكن إلى أين وكيف؟

خرجت من بيت دغيش الى الحوش، وكان تحت بيت العراسي الذي هو الآن بيت البابلي (سمسرة أوحر) مفتوح مقفر له عدة أعوام وهو على ذلك وملآن بالأوساخ والحشرات، ولو كنت في حالة أمن لما أمكن أن أدخله، بل ولا أنظر اليه قط، مكثت فيه حوالي نصف ساعة، وإذا بالضجيج والصياح والرجال يملأون البيت، وعلي هاجر وما تبقى معه من فلوس، وبعد قليل سمعت المخبزة فعلمت انهم ارغموا النساء على اعطائهم عشاء، وطبعا لن يقبلوا بغير البر والسمن، أي ما يسمى سبايا، فبقيت في حالة الله وحده يعلمها، وتمنيت ان الرصاصة اخترقت رأسي ولكن لله حكمه.

آخر لقاء بأم أولادي

وكان آخر لقائي بأم أولادي وآخر كلام بيننا، إذ أنني في الساعة السادسة ليلا بالتوقيت الغروبي أي منتصف الليل أحسست بحركة فتوقعت شرا، وإذا أم الولد حمدي تصل الي وهي ترتعد فقالت: ان الرجال يملأون البيت سُمّار، وعلي هاجر والولد محمد والولد أحمد في حالة شديدة لأنهم يهددونهم ويطلبون منهم والدهم العزي صالح، ثم بكيت وودعتني وكان هذا آخر عهدي بها الى القيامة ان شاء الله في خير وعافية، وقد أيست مني كما يئست من نفسي واتمنى تعجيل الموت، والله سبحانه وتعالى الذي اليه يرجع الأمر كله ولا راد لما قضاه.

من فجر السبت الى صباح الثلاثاء

ولما طلع الفجر خرجت غير واثق من النجاة فمشيت من بستان الجامع الى بستان الأبهر ثم الى بستان شارب، طرقت بيت السيد محمد المروني فلم يجبني أحد، ثم توجهت الى بيت عبدالله ريشان، فاستقبلتني زوجته وادخلتني ونادت زوجها قائلة: أبي العزي.. فانزعج لأنه خائف، ولكن لأن الحرج لم يسعفه بمخرج، فقد رحب وسهل، وبقيت عنده الى صباح الثلاثاء، شاهدت خلال تلك الأيام العجائب: قتل ونهب وهرج ومرج وإباحة مطلقة، لأن بيت ريشان فوق الطريق، وقد كان عبدالله ريشان يخرج صباحا وعند عودته أسأله عما رأى فيصف الخراب والدمار، وحالة أهالي صنعاء وخاصة الذين نصرّوا وبادروا بالخيانة مع انهم يعرفون عواقب ذلك، وكنت أسأله عن العائلة والأولاد فيقول: لم يجر على بيتكم شيء، هذا يوم السبت والأحد، وفي يوم الاثنين خرجت زوجة عبدالله ريشان لتنظر حالة بيتي وأولادي، ورجعت وهي حزينة متأثرة، فسألتها، فقالت: لقد نهب البيت ولم يتركوا لزوجتك وأولادك شيئا، حتى ان نساءك خرجن ولم يبق عليهن إلا ما ستر بعض أجسامهن مكشوفات الرؤوس يستغثن ولا مغيث، وقد وهبوا بيتك لأحد المشائخ، وأما ماخفي من الأثاث في المخابئ فقد دخل بعض جيرانك لنهبها، وكذلك من كنت تحسن اليهم كفلان صديقك، وآخر من الجيران وهو فلان وغيرهم، وأما فلان فقد استولى على ما أودعت لديه، ولم يرد إلا الجنبية وقد قلع نوافذ المنظر وأخذها.

وبعد ثورة سبتمبر كنت أمر من أمام بيته الذي بناه في باب شعوب وأرى نوافذ بيتي مركبة في بيته دون خجل ولا رعاية لما قدمناه له من معروف، ونعوذ بالله من فقدان الأخلاق ولله در القائل: (اتق

شر من أحسنت اليه) مع ان المذكور طيلة أيام الدستور كانت كل محتاجاته وحتى الكماليات من قات ونحوه كلها مني.

وبعد ان رأيت ازدياد الخوف لدى عبدالله ريشان فضلت الموت على تكليفه فوق ما يطيق وقد لاحظت مايقاسيه حتى بدا الأثر في وجهه.

صباح الثلاثاء ٦ جمادى الأولى ١٣٦٧هـ

وصل عبدالله ريشان ليلة الثلاثاء وهو خائف يترقب، فقلت له: أنا ذاهب غدا ان شاء الله الى حيث يشاء الله. وفي الفجر استدعاني وهو ممسك بيد ابنه الذي سيدلني على الطريق التي اخرج منها، ولبست زنة (ثوب) وسروالا وأخذت كيس النوم، وكان معي مسدس صغير وزنة أخرى وخرقة طويتها على رأسي، ونتفت لحيتي حتى لم ابق منها شعرة واحدة وتوكلت على الله خرجت أنا والولد محمد ريشان من بستان شارب، ثم خرجت من الفرضة التي احدثها القبائل في سور صنعاء الطيني، ومشيت عشر دقائق الى عند القبر الأبيض المعروف بقبر ابن مفتاح ويقع خارج المدينة، وإذا أنا بقبائل قاطعين للطريق بأسلحتهم وهم من الذين كانوا يجلبون الحطب الى صنعاء، فصوبوا الي بنادقهم، وصاحوا: قف، فلم اعبأ بهم، فهرول ثلاثة منهم نحوي وسلبوني كل ما معي من ثياب والمسدس وريالين ونصف وثمن كانت معي، وتشفع لي أحدهم بأن يبقوا الزنة الممزقة التي البسها وبقية السروال الحريمي الممزق، وتركوني، ولما فارقتهم بمسافة تيممت وصليت ثم مشيت مسافة ساعتين وإذا بثلاثة رجال من قرية التخراف، أعرفهم وهم أصحاب، ولكن الحادثة محت كل العلاقات بين من يفهم ومن

لايفهم، وكانوا متوجهين الى صنعاء لغرض النهب، فقال أحدهم وقد عرفني: العزي صالح، فأمسكوا بي فاستجرت بهم وقلت: ياصحباه، فلم يجيروني، فجلست على الأرض فسحبوني مسافة عشرين ذراعا، وأخذ أحدهم الصميل (العصا الغليظة) وظل يضربني به حتى كاد يغشى علي، وبعد ذلك قلت للذي عرفني: سأعطيك فلوسا حينما أصل عدن، وطبعت له وجهي فتركني وأنا بحالة شديدة، وتوجهت طريق التخراف، وبالطريق التقيت برجل من القرية اسمه قائد لطف وقال لي: اتجه الى التخراف، والرجل مزوج بأخت زوجتي، وقال: ان ولدك أحمد هناك، مشيت حتى وصلت الى تحت قرية المحاقرة، وإذا بعجوز تصيح: «قتلتوا الإمام ياأهل صنعاء»، فاختفيت لئلا يراني أحد، وبقيت متخفيا الى بعد الظهر، وبعد ذلك وصلت الى حد التخراف، وإذا بسعيد الحاج عاقل القرية، فلما رآني قال: أوقف لا يمكن ان تدخل القرية أبداً، النظام (الجنود) داخل القرية، ستحمل القرية مالاتطيق، ويمكن ان يقتلوك أو يردوك الى صنعاء، وقال: ابق حتى أعود اليك، فدخل القرية وعاد وبيده قصعة مطيط (ذرة مطحونة ومخلوطة بالماء) ولقمة (خبز)، فتغديت وظل يحرسني الى مغيب الشمس خائفا من دخولي القرية وخائف على القرية وخائف علي، وجاء ولدي أحمد فمنعه من الوصول الي، ونظرت اليه من بعيد، وقبل غروب الشمس الح علي العاقل بالرحيل واجبرني على مغادرة القرية، وعاد هو وبيده ولدي أحمد، ومما زادني الما ان ولدي أحمد عاد الى القرية وهو يبكي إذ حيل بينه وبين والده.

مغادرة التخراف

غادرت التخراف أي غادرت خارجها أما القرية فلم أدخلها كما ذكرت، وتوجهت من هناك قبل غروب الشمس جائعا عاريا، لا أدري أين سيكون الهلاك،وأين سأقع وفي يد من؟، لأن اليمن بقبائلها ومدنها صاروا كلهم حرسا وشرطة ومأموري ضبط، الصغير والكبير، لايفوتهم أحد، فيضربون ويقبضون ويسحبون ويربطون، ويسوقون الى الحبس كل من توهموا فيه ولو تهمة لا أساس لها، بل بكل عشوائية، ومع هذا حصل السَّلَب فلم يفلت إلا القليل.

توجهت في الطريق المسبلة، لأنه لادليل ولا رفيق ولا فلوس، فمشيت الى منتهى الساعة الرابعة ليلا بالتوقيت الغروبي حتى وصلت قرية الضبر فدخلتها، وإذا بالكلاب تنبح فاستجرت بالمسجد، وما أدراك ما المسجد لا فراش ولا ماء وليس الا التراب الناعم وحشرات تخطر من أمامي،وهناك ولد غريب جائع وعاري مثلي إلا انه غير خائف مثلي ولا مرتقب للموت او العذاب بين الساعة والساعة، تيممت بالتراب وصليت واضطجعت فإذا بالحشرات من كل نوع ولسان حالها يقول: «ساق الله رزقنا الليلة الى عندنا» عانيت في تلك الليلة ما الله به عليم، وكلما أملت طلوع الفجر زاد الظلام أو كما قال الشاعر:

آه من طول ليلي والصباح   كلما قلت قد لاح انطبق

وبعد تعب شديد وسهر وقلق وخوف مستمر وليلة (جن) طلع

الفجر وأضاء المشرق خرجت أنا والولد ندق على أبواب البيوت نطلب كسرة من الخبز فلم يعطنا أحد حتى ولا شربة ماء، فافترقنا، ثم مشيت وغلطت في الطريق، فإذا أنا بوادي أظنه (سامك) وشربت فأقبل النهابون بالجمال والحمير محملة بالنهب من فراش ونحاس وحرض (اواني حجرية للاكل) وبضائع، فنظرت اليهم وهم يأكلون فتصدقوا علي بقفوعة (خبز من العدس) بلسن فأكلتها وتوكلت على الله، والقبائل ذاهبون آيبون من صنعاء، مشغولون بالنهب الذي أحله لهم (أمير المؤمنين) كما أباح الدماء والأعراض بجانب الأموال، ولله القائل:

فليعش صاحب الخلافة من ذا   مثله خالف النبي وآله

الى وعلان

توجهت من وادي سامك متجها الى وعلان لا أدري ما ينطوي عليه القدر، ومشيت حتى الظهر فإذا أنا في وعلان، وكان أول من واجهني عاقل المحل فأمسك بي وقال: أنت مشتبه فيك. وأمر أحد أولاده ليدخلني الى بيته، فدخلت مكرها وأيقنت بالهلاك، ولكني بحمد الله متجلد ولأن الغاية الموت وقد هانت علي نفسي، وعند وصولي الى البيت أثار منظري شفقة النساء فأسرعن بالخبز والقهوة، فوصل العاقل وسألني: من أنت؟ فقلت عبدالله الحدايا، لأنني أشبهه وسبحان من لا شبيه له، فأمر لي بمطيط وقهوة، وخرجت للصلاة، ثم رجعنا للمقيل في بيت آخر، وكان في هذا البيت عسكري من النظام والشاويش وكذلك الحاج صالح الذي عرفته في جامع صنعاء وهو مكفوف البصر، فسألني الحاضرون: من أنت؟ فقلت: عبدالله الحدايا والمذكور يعرفني فقال: وما

الأمارة؟ فسردت عليه بعض الأمارات ومنها أنني كنت أقرأ القرآن لديه وأخبرته عن مسكنه في صنعاء، وأين يقعد في الجامع وذكرت بعض زملائه، فصدق الحاضرون. ولكن قال الشاوش: لابد ان نعيده الى صنعاء مع حزب الأشرار والذين سيصلون غدا، ولما حان وقت المغرب خرجت الى المسجد وصليت، ورجعنا الى البيت، وجاء العاقل ولمست فيه روح التشيع وله بعض اطلاع في كتب أهل البيت، فدار الحديث بيننا، والحديث ذو شجون، فذكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وهنا سردت عليه سيرته ومناقبه وعفته وزهده، فكبرت في عينه وعين ولده، فقلت له: أريد أن أسالك قل لي بأي شيء يشبه الإمام وأولاده هذا الرجل العظيم؟ فقال ابنه: شيء بعيد، والعاقل مفكر حائر، ثم ذكرت بعض ما أعرفه مما قرأته من سيرة الإمام الهادي وزهده وقناعته، ففكروا وتحيروا. وذكرت له دولة الأتراك، وذكر لنا العاقل كم جاهد الترك مع الإمام وأنه هو وأصحابه حاصروا الترك في قلعة وعلان عدة أيام، فقلت: إنك رجل طيب ومتدين وأصبح بيننا عيش وملح فإذا سمعت مني كلمة لاتعجبك فاحملني على السلامة، قال: قل ولا تخف أنت تحت الخشبة (يعني في بيتي) قلت له: لماذا قاتلتم الأتراك؟ قال: بغاة بغوا على إمام الحق، قلت: وماذا كانوا يعملون؟ قال: كانوا يقولون لنا: انهم يأخذون الميري والجمارك ويأخذون أبناء الناس ليجندوهم، وانهم يشربون الخمر وانهم فساق ولا يحكمون بالشريعة، وان قيام الإمام من أهل البيت يحاربهم من أجل ذلك. فسألته: وبعد ذلك كيف حكم الإمام؟ قال: والله لقد لعبوا بالشريعة أيام الإمام وترى المتحاكمين يظلون عدة سنوات وهم في شريعة. فسألته: ومن كان مع الإمام يحيى وهو في القبلة (الجهة الشمالية) قبل أن يدخل صنعاء؟ قال: سيف الإسلام أحمد بن قاسم والسيد محمد ابن يوسف والسادة الذين أقاموا دولته، كم أحصي

لك؟ قلت: أين ذهب هؤلاء؟ قال: قتلهم. قلت: وكم كان الأتراك يأخذون ميري؟ قال: قليل لا أعرف، والآن في عهد الإمام أكثر وأكثر. وسألته عن المشائخ الذين جاهدوا معهم، فأخذ يسرد لي جملة مشائخ وكيف كانت نهايتهم؟ وتكلمنا عن الزكاة والظلم وغير ذلك، فقال في آخر كلامه: اسمع والله لقد ادخلتني في بحر لا ساحل له، والله انهم أظلم من الترك، الترك كانوا شجرة معاش، وسرد لي كيف كان الرعية أيام الأتراك، ثم ختم كلامه بقوله: الحمد لله أنني لم أدخل صنعاء ولا نهبت، وهذا ابني خرج من صنعاء والطلقة كانت في بندقيته ولقي المعممين الذين خرجوا من عند الوزير ليرشدوا القبائل، وكانوا سيقتلون الشماحي الذي وعظهم والحمد لله رجع ابني والطلقة في بندقيته لم يطلقها، ثم قال لابنه: انتبه لهذا العالم وفر له الفراش والدفا واعتن به، والله ان كلامه قد جعلني في غاية العجب.

ويوم الخميس أحضر الفطور الدسم وكذلك الغداء وقال لي: والله لو كان العسكر لم يروك لأخفيتك وأهربك بنفسي، وإذا كنت تريد الذهاب فلا حرج عليك، فأردت الذهاب بعد الظهر، وما ان خرجت من القرية حتى كان في استقبالي بعض القبائل وأرادوا ان ينهبوني أولا، ثم يردوني الى صنعاء ثانيا، فلم يجدوا معي غير أربع أسنان ذهب، فوجهوا الي بنادقهم وقالوا: اقلع اسنانك فلم أقدر على قلعها، وجعل أحدهم يحاول قلعها فلم يقدر، وإذا بأربعة أولادد يصيحون أني هربت فأرجعوني الى بيت العاقل وأرادوا ان يربطوني فأخذوا حبلا قدر نصف متر، واجمعوا أمرهم على أن يعملوا لي ما يسمى (بحكمة الرعيان) وهي حكمة سهلة على الرابط عسيرة على المربوط، فهو يعجز عن الحركة، اذ تربط اليدان من الرسغين ثم تعطف الرجلان ويدخلون اليدين من الرجلين ثم يدخلون عصاً من

فوق ساعد اليد الأولى ثم يدخلون العصا من تحت الركبتين الى فوق ساعد اليد الثانية ولا يعرف شدتها إلا المربوط الذي يعجز عن الحركة تماما. وبقيت على هذه الحالة ثلاث ساعات في حالة لاتطاق. وألطاف الله سارية، وقد ذهب أحد الرعيان وأخبر الشيخ ان الذي كان عندك هرب، فعرف ذلك وبادر ففك عني الرباط وأرجعني الى بيته، ووصلت الى دهليز بيته والنهابة من العساكر والقبائل يقتسمون النهب، وأرادوا ان يعطوه قسمه من ذلك فقال: لاأريد، وقالوا انهم قد سلموا ابنه حسابه من القاز فتألم ورفض كلما أرادوا اعطاءه. جلست معه الى المغرب وخرجنا للصلاة، فوصل رسول الشاوش، وقال انه يريد ان يضمني الى حزب الأشرار نعمان وأصحابه لإرسالي الى صنعاء، فقال: مرحبا، وقال لولده: سر معه الى السمسرة. وصادف ان لقينا جزارا من بيت جريش، وهو يعرفني معرفة تامة، وبادرت بسؤاله: انت تعرفني اني عبدالله الحدايا؟ فقال: نعم هو عبدالله الحدايا، وقد تأثر عندما رآني بهذه الحالة.

فذهبنا طريق السمسرة وصعدنا الى مكان العساكر الذين بمعية الحزب، وإذا بمحسن قلالة والسيد المهدي وآخرين، فلما نظر الي محسن قلالة تأثر وكان يعرفني تمام المعرفة لأنه كان وكيلي في الحديدة، فسألني: من أنت؟ فقلت: عبدالله الحدايا، أنت كنت تشتري مني صياني وملاقط وفناجين، فقال: نعم، وأين ستذهب؟ قلت: لي أخ في جبلة أريد ان أجلس عنده، وإذا كان سيعطيني مصروف للبيت، فقال السيد المهدي: حرروا له ورقة أمان لئلا يعترضه أحد، انه رجل ابن ناس. وطلبت منهم قيمة كيس نوم فسلموا لي ريالين ونصف، فرجعت أنا وابن العاقل وسمعت جلبة في أسفل الدار، وإذا هو مايسمونه حزب الأشرار، الأستاذ أحمد

محمد نعمان وآخرين، وما أدري ماذا سيصنع القدر بي؟ ولو ان القدر قضى بذهابي معهم كنت سلمت العذاب الذي لقيته فيما بعد كما سيأتي.

وصلنا البيت وتعشينا وسمرنا أنا والعاقل وابنه وهما متلهفان لحادثتي، فأعدنا الكرة فما أكملنا السمرة إلا والعاقل يقدح في الإمام وأولاده وحكامه، وقال: اسمع ياعبدالله ابق لدي حتى يصل من أثق به لمرافقتك يوم جمعة، بقيت الى الصباح ورأيت الحزب وهو متوجه الى صنعاء، وفي الظهر اقبل العاقل وقال: تغد فقد وصل الشيخ مجلي وستذهب معه، وبعد صلاة الجمعة خرجنا وهو على فرسه ومعه سبعة أشخاص وكنت الثامن، وكنا نساير الفرس، وهو يقص علينا ما فعل في صنعاء، وانه حمى عدة بيوت من القبائل لكيلا ينهبوها، وانه دافع عن الشارع الذي كان فيه، ووصف ما وقع من خراب ودمار وقتل، حتى وصلنا رأس نقيل يسلح، وقد كان أخبرني بأنه سيوصلني الى بيته ويرسل معي رفيقا يوصلني الى الحد وسيعطيني ثيابا لأتنكر بها فشكرته على ذلك، لكن القدر لم يسعفني، بل كان كل شيء ضدي لشيء قضاه الله، وصلنا الى رأس نقيل يسلح وفيه رتبة من القبائل لا أدري من عنس أو الحدا فصاحوا به ان يقف فامتنع فوجهوا الينا البنادق إن مشينا، فقلت له: المداراة أولى في هذه اللحظة، فاعتراه الغرور وقال: معي محرر (تصريح) من سيف الإسلام الحسن، فنزلوا وهم متحمسون وغاضبون عليه لما جرى منه من التهديد. فلما قرأوا ما معه قالوا: لايمكن، الأمر مزور، ولابد ان نمشي الى معبر محفوظين، فذهبنا معهم ، ودخلوا بنا قرية النقيل، وذبح لهم كبش واشترى القات، وليلة أعوذ بالله، كان قد عمل قصيدة في حزب الأشرار ملأها سبا وشتما، عملها تملقا للقبائل، وفي الصباح قال القبائل: هؤلاء في رفق الله يقصدون أنا وآخرين غير أصحابه، فسرنا متوجهين نحو

معبر لأنه لافلوس ولا دليل. فلقيت بنتا عمرها اربعة عشرة سنة فقالت: ياعم اتوسم فيك انك خائف فلو اتيت معي القرية وعسى الله ان تنجو. ولكن الطريق مليئة بالناس، ورفيقي سيكتشف أمري وهي أوهام.

الوصول الى مدينة معبر

دخلت معبر لأشرب فقد أضر بي العطش، فدخلت السمسرة التي تقطع طرف المدينة فشربت، ثم ذهبت فلما أصبحت خارج معبر إذا بعسكري يحمل بندقية فأمسك بي فقال: ارجع جاوب العامل، وفتشني وكان معي ريالان مربوطة في يدي فأخذهما وذهب بي الى العامل، فلما وصلت الى العامل سألني: من أنت؟ فقلت: عبدالله الحدايا، فقال: هل معك ورقة مرور من صنعاء؟ فقلت له: معي ورقة من الضابط المحافظ لحزب الأشرار ومن محسن قلالة، فقال: هاتها لننظرها ونعيدها اليك. وكانت على رأسي خرقة سوداء وقد ربطت الورقة فيها ربطا محكما بعقدين، فلم أجدها، والى اليوم لم ادر هل أخذها إنسي أو جني؟ فعرفت ان المسألة قضاء وقدر، وكادت روحي تخرج من الألم. فسحبوني الى الحبس، ولا أدري كيف أصف الحبس وما لاقيت فيه في خمسة أيام وثلاث ليال؛ مكان مظلم مليء بالحشرات وأشدها البق وليس معي سوى ثوب ممزق، وكان الموت فرجا في هذه الحالة، أما الأكل فلقمة يابسة بدون أي إدام، وفي اليوم الثاني سخر الله لي رجلا من بيت معياد سواري كان يعطيني قليل حلبة ونصف ملوجة (خبز من الشعير)، وفي اليوم الرابع وصل الي مع حارس السجن وهو من بيت الجائفي وصل معه رجل من بيت الحزورة يعرفني وأعرفه، وهو

نجار في ورشة، فدخل مع السجان وفي يده القزازة (علبة صغيرة فيها جاز وذبالة تستعمل للإضاءة) لأني في ظلام أنا والصنعاني رجل من ذمار، وهو صهر بيت الوزير فقرب القزازة الى وجهي، وقال السجان للحزورة: تعرف هذا؟ فقلت: انت تعرفني بأني عبدالله الحدايا؟ فقال: ياعزي أنت صاحبي وصديقي ولكن الكذب حرام. فتذكرت قول تلك المرأة التي قالت: الكذب حرام وهي قصة سنوردها ان شاء الله.

وخرج هو والسجان واغلقوا علينا الباب، وفي اليوم التالي وصل الرجل الذي بيني وبينه معرفة وهو شخص معمم، فأوصلوه الى باب الحبس وطلبوني الى الباب، وأول كلمة سمعتها منه بعدما نظر الي: عزي صالح أين جاء صاحبك المطاع؟ هذا العزي صالح السنيدار. وفي الحال قام السجان الجائفي وقيدني بقيد كبير كامل، ولما رآني ذلك الرجل الذي كان يعطيني حلبة وكسرة خبز خاف، وضيق علي السجان، وهنا افتضح الأمر وأيقنت بالعذاب والموت وليته سبق،ولكن لله حكمه.

وفي اليوم الذي بعده لم أشعر إلا والباب يفتح والسجان يدخل شخصين لابسين قمصان، فتأملت في وجهيهما فإذا هما السيد عباس بن علي الوزير والسيد أحمد بن محمد الوزير وهو أخو السيد العزي حاكم المقام أيام الإمام يحيى، وكان ثالثهما الشيخ عبدالله أبو رأس، وسمى نفسه عبدالله الرياني وادعى ان رفيقيه مهاجران من شبام، وكان أبو راس قد رشى الجائفي السجان بذهب ووعده بالمخرج، وفعلا قد كان أطلقه ولكن أبو راس أراد انقاذ رفيقيه ولكن السجان عرف ان جيبه قد تعطل، فلما وصل أدخله الحبس مرة أخرى، وقال له: أنت أبو راس أدخل، فصرنا خمسة في الحبس، وقد أبرق العامل وهو سيد كبسي من بيت غمضان، فطلبنا اليه وسألهم عن أسمائهم، فقال: أنا الرياني وهذان مهاجران من

شبام، فرجع جواب البرقية: احفظوهم في المكان الذي في أعلى البيت حتى يصل العكفة اليكم، وقد وصل الشيخ مجلي مع المحافظين، وقد أخذوا فرسه ووصل الأمر بحبسه، وصل من العكفة ابن الشعباني والجائفي الذي كان في العكفة واثنان آخران، وهم من الذين كنت أرحمهم أيام الدستور وأواسيهم، قال الجائفي والشعباني انهما لما سمعا بذكر العزي صالح السنيدار وأنه في معبر مع أولاد الوزير وأبو راس، قالوا: نذهب نحن لاحضارهم من معبر، وأقسموا بالله انهم ماطلبا ذلك إلا من أجلي، لأن العساكر يعذبون الناس، وجاءوا في سيارة ومعهم سلسلة الحديد والمغاليق، فلما وصلوا ادخلوا السلسلة في رقاب المحابيس وأقفلوها وتركوني لم يسلكوني معهم فيها، وادعوا انها لا تكفي للكل، وقالوا السنيدار في روسنا(تحت ضمانتنا) وكذلك المغاليق تركوني بدون مغلقة ولله الحمد، القدر يحكم حكمه، كنت مقيدا ولم يفك قيدي ورفاقي بدون قيود.

فخرجنا من الحبس الى حكومة معبر، والناس صفان متفرجين وعرضونا على العامل غمضان ومعنا المحافظون ولم نسمع من أهل معبر كلمة أو صياح.

ومن العجائب أننا كنا مقيلين في المكان؛ الشيخ مجلي وأولاد الوزير وأبو راس، ونحن نضحك، اذ اقترح أحد الحاضرين على عبدالله أبو راس ان يأخذ السبحة ويضرب لكل واحد مسألة رمل، فأخذ السبحة وبدأ بالشيخ مجلي، فقال له: مشكلتك قريبة قوي، ثم بعباس الوزير فقال: طويلة، ثم بالوزير الثاني مثله، ثم ضرب لي مسألة فقال: مسألتك معقدة وأطول من الكل، ثم ضرب لنفسه فلم يكمل إلا وقد امتقع لونه واسود وجهه، ثم كرر الثانية والثالثة، وإذا هي حمرة، فتأثر وأيقن بالموت، فكان كما قيل ولم يكن إلا الواقع، كما دلت السبحة، ولله في خلقه شؤون، وعنده علم الغيب.

العودة الى صنعاء

ركبنا السيارة متوجهين الى صنعاء، لا ندري ما يصنع بنا القدر، فوصلنا في الظهر باب اليمن، ورأينا الخراب والدمار، فنظرت الى بيتي، وقد أصبح بلا نوافذ ولا أبواب، وما أدري ما صنع بعائلتي وأين مقرهم؟ وتوجهوا بنا الى بير العزب حيث مقر سيف الإسلام الحسن، وهو في بيت محسن اسحاق، فوقفوا بنا قليلا، وأمر بإرسالنا الى حبس القلعة، وبينما نحن متهيؤون للطلوع إذا بعلي زلعاط الذي كان يبيع القات بباب اليمن وهو يصيح ويستغيث ويحجرهم(يمنعهم) بتربة الإمام الشهيد ان ينزلوا العزي السنيدار من السيارة فهو الذي شارك في قتل الإمام وسبب حصار صنعاء، وجعل يصيح تحت نافذة الحسن، فوقفت السيارة حتى يخرج الأمر، فخرج الأمر بنزولي، وربط يدي الى ظهري والحومار (ان يسير الضحية والناس من خلفه يصيحون ويسبون) والحال انه لم يكن بيني وبين زلعاط أي شيء، فوصل الأمير عنبر وعبدالله الهمداني الذي يتولى خدمة الحسن، وأقبل قبيلي طويل وعريض وربط يدي ربطا محكما والقيد في رجلي وبجانبه عسكري من عساكر أمير الجيش علي بن ابراهيم، وإذا برجال وأولاد يصيحون، وكان زلعاط يعلمهم الحومار الملكي الصنعاني والشتم المبتكر، والأولاد الصغار ماشاء الله مستعدون بعصي في أعلاها إبر كانوا يوخزونني بها في ظهري وفي جوانب من جسمي، والقبيلي الذي ربطني زاد فنهب علي كيس النوم وأخذ الحذاء من رجلي، وبعض الرجال يضربونني، وكان القبائل يسمعون صرخات زلعاط وهو يقول: هذا الفاسق الذي قتل الإمام، فيضربونني ويوجهون الي البنادق، حتى والله اشتركت النساء، ومما كان يؤلمني أنهم أزالوا الخرق التي تقي رجلي من

القيد، وكلما مشينا قليلا يتصدى لي أحدهم فيدوس على القيد مما يجعلني اهوي الى الأرض، فيمسك العسكري الحبل الذي ربطوني به ويهزني به حتى أحس ان جنوبي تكاد تتخلع وأرجلي تسيل منها الدماء من جراء الجراحة التي أحدثها القيد.

ومن المحنة انهم مشوا بي من حارة الأبهر قصدا من تحت بيتي وبيوت الأسرة وزاد في الطين بلة أحد أولاد الأصدقاء عندما رآني زلعاط وقد بح صوته فأخذ يعاونه في الصياح والشتم وزاد ألمي عندما صاح: وأين هو علي هاجر ياعزي؟ فخفت عليه، وقلت: واحد ولا اثنين، ومن الظهر الى قبيل العصر في هذه الحالة المضنية حتى فرج الله علي بدخول حبس القلعة، وارجلي مغمورة بالدماء، ومازالت علامة القيد باقية الى اليوم في رجلي مثل المكاوي، وستبقى كالمكاوي ذكرى.

حبس القلعة

دخلت باب القصر وإذا بمديره الذي مايزال حيا الى اليوم وهو برتبة مقدم في دائرة الأمن بصنعاء، وأنا في شر حالة: مريض جائع، عاري مقيد، فقال: مافعلت ياعاصي والديك؟ وأدخلني من باب الحبس الى حجرة المفك، وهي حجرة مثبتة في الأرض تدق عليها القيود، وأمر بإضافة قيد الى القيد، وإذا بصوت قائد محمد صاحب الحجرية، وهو الذي شارك دحان في فندق صنعاء (بيت الشامي) أول أيام الجمهورية، صاح: ياعيال أبوكم أبو الأحرار، شيلوه، مما جعل السجانين يزيدون غلظة، وأشرت اليه: اسكت، فخرج أولاد الحجرية، وهم كل اثنين في قيد واحد وادخلوني عندهم السمسرة التي كان يسكنها ياقوت العبد، واشتروا لي خرقا للقيد بريال، وأنا مريض وإذا بالحبس مملوء بالمسجونين أذكر منهم

من بقي في ذاكرتي: الصفي محبوب، عبدالسلام صبرة، محمد السياغي، اعطاني محمد السياغي لقمة غداء وقليل حلبة، ومعلوم ان كل محبوس كائنا ما كان ذنبه يرسل له أهله وأسرته بأكل لايمنعون من ذلك ولا خوف عليهم، فالمحابيس الذين وصلوا من قبلي والذين لهم أهل يرسلون لهم، أما أنا فلم يعطف علي أحد، لا ابن أخي ولا بني عمي ولا جيراني الذين بيني وبينهم معروف.

وفي اليوم التالي قال: عبدالله حسن السنيدار لمحمد السياغي بأن يخبرني بأنه سيعطيني باقي غداه، فاطمأنوا الى ذلك، وأرسل لي بباقي الغداء يوم أو يومين وفي اليوم الثالث انتظرت، فإذا به يناديني ويقول: لن أعطيك بعد اليوم غداء ابحث عن غيري لأن الوالد أحمد السنيدار قد انذرني واقسم بأنني إذا أعطيتك لقمة فلن يرسل لي بشيء، وحاشا الحاج أحمد محمد رحمه الله ان يقول مثل هذا الكلام، وانما هذا كلام عبدالله حسن أو توصية نسائية.

اشتريت كدمة وتغديت وفي هذا اليوم سمعنا ان السيد يحيى النهاري أعلن في صنعاء: من يريد صدقة فليأت الى القصر في صباح اليوم الثاني، فما أصبح الصباح إلا والناس يملأون القصر بالآلاف، وإذا بالمنادي ينادي: أحمد محبوب، محمد السياغي، عبدالسلام صبرة، السيد علي عقبات، العزي السنيدار، عبدالله أبو راس. وخرجنا والناس أفواج، فصاح النهاري: هيا ياناس هؤلاء الذين قتلوا الإمام، وسببوا في خراب بيوتكم ونهبكم ياحمران العيون. فصاحوا صيحة رجل واحد.

وتوجه بنا النهاري والعريف العكفي والعسكر، وأباح النهاري للناس الدم والعرض، ثم توجهوا بنا نحو جربة المدافع وهي أعلى بقعة في القصر، وهات ياصياح وضرب ورجم، وكانت الدماء تسيل من رؤوسنا، واعجب ما يكون هو ان تسلط على الصفي محبوب

اصحابه، واقترب مني أحمد علي الجنداري ابن أخت بنت الحاج احمد دلال، فكان يضربني بيده التي هي ماشاء الله مثل الصبرة، وجعل يكرر الضرب كأن يده اوتوماتيك، وصلنا جرية المدافع على أشر حالة والدماء تسيل، والنهاري يشير للناس: اضربوا ارجموا، ومن جرية المدافع الى باب الحبس، وقد بلغت القلوب الحناجر، ثم اركبونا على سيارة وخرجوا من باب الحبس، وتوجهوا بنا نحو دار السعادة مارين بنا من شوارع صنعاء، وهات ما رجم وما صياح، وكان قصد النهاري والله أعلم ربطنا بباب دار السعادة، ولكن الظهر أقبل، والعريف العكفي والنهاري أمام السيارة كأنهما فاتحان، وما ان سمع أحمد معيض مدير سجن الرادع بالصولة حتى صاح من باب الحبس: اخرجوا ابن اليهودي العزي صالح، دقوا له قيد ثاني، ثم رجعوا بنا الى حبس القلعة، وطلب أحدنا شربة ماء فرحمه النهاري وقال: اسقوهم من حوض الأبهر، الحوض الوسخ الذي تشرب منه البهائم والكلاب، فسبحان من بيده ملكوت كل شيء، محول الأحوال من حال الى حال، رجعنا الى الحبس بهذه الحالة الشنيعة والمعاملة التي لا يعامل بها كافر أو ملحد.

وبعد الظهر أخبرني عبدالله حسن السنيدار أني مع جماعة أمر الإمام بنفينا الى حجة عاصمة السجون وانه سيبقى في صنعاء بعدما راجع له الحلالي، فصح خبره، ففي اليوم التالي دعينا الى خارج السجن، ووضعوا على أيدينا المغاليق وسمروها، وكانت من خشب أخضر، وهي تقفل أشد من الحديد، واركبونا على سيارة نحن المغلظ علينا، وقد سبقنا الى حجة الإمام الوزير وجماعة، أما نحن في السيارة: الصفي محبوب، محمد السياغي، الشيخ محسن هارون عبدالسلام صبرة، السيد غالب الشرعي، العزي صالح السنيدار، النقيب عبدالله أبوراس.



عبد الله الشماحي وأحمد الشامي مقيدين بالأغلال الخشبية

الى حجـة

خرجنا من حبس القلعة بعد العصر، والناس منتظرون ليكملوا مناسك الحومار والضرب والرجم، وكان آخر ما رجمت به ثلث اسطوانة من اسطوانات الفنغراف فشج راسي، وقد تحرى النهاري سائق السيارة ان يسير بنا على الحجارة، أي يختار من الطريق أشقها لقصد التعذيب، وسيارة خرجت من حبس الرادع وفيها من هم أخف منا ذنبا (في نظرهم) أذكر منهم السيد محمد الغفاري، والسيد علي الشرعي، وعلي عامر، والحاج محمد هاشم، والأستاذ محمد عبدالله الزهيري، وجماعة آخرون.

فما وصلنا عمران إلا منتصف الليل، على أشد حالة، ومعنا الجائفي حارس سجن معبر، وأخوه وآخرون، وكانوا يمنعوننا من الصلاة ومن النزول من السيارة حتى لقضاء الحاجة، ولم يسمحوا لنا بذلك إلا بعد

توسل وترجي، وصلنا عمران وكل منا يريد ان يصلي ويأكل ويشرب، وقد صرنا مرضى، لأن السائقين قد عذبونا في الطريق طبقا لتعليمات النهاري، وكل محبوس لا ينسى مالاقاه من إحسان بيت الصعر، بالرغم من الخوف، لأن مقابلة المحبوس الدستوري بوجه غير غاضب يعد ذنبا عظيما، أما بيت الصعر فقد استقبل الشيخ حسين دحان الصعر الذين مروا قبلنا بالأكل والشرب والأخلاق.

بتنا ليلتنا الى الصباح، وركبنا على السيارتين؛ سيارتنا التي فيها المحابيس المقيدة بالمغاليق الفظيعة والسيارة التي فيها المخفف عنهم، وكان أهل عمران ينظرون الينا صامتين، ولم نسمع في عمران لاغية ولاجارحة، ومن المصادفة ان لقيت يهوديا كان بيني وبينه تعامل تجاري وباقي لي عنده حساب فرجوته ان يعطيني قليلا من الفلوس فحلف انه لايجد في تلك اللحظة ريالا، وأخيرا أخذ الجائفي من فوق اليهودي (صديرية) من جلد الغنم والبسنيها الجائفي، ولكن كيف البسها ويدي في المغلقة فبقيت معلقة على ظهري، وبعد ساعتين أخذها الجائفي ولبسها.

وكل ساعة والجنود الذين معنا يزملون وينشدون، ويريدون منا ان نشاركهم في الزامل، وكان من جملتهم عوضة العكفي المحرض لهم على ذلك، وكان لفظ الزامل:

قبح الله وجهك ياالوزير   عاد بعد الحرايب عافية

وكما يقول المثل: ارحبي ياالغصايب وكنا نصيح معهم بالاكراه وبتقليب عيونهم علينا.

ومن العجائب أنني كلما ركبت سيارة لأقطع قدر ميل حتى يصيبني الدوار الذي ينتهي بالقيء هكذا أنا دائما، مما جعلني اتحاشا ركوب السيارة إلا للضرورة، أما سيارة العذاب فلم يجر لي منها شيء من ذلك حتى في العقبات والملفات، وكنت والله اتمنى ان تتقلب بنا السيارة، ولكن ماشاء الله كان.

توجهنا من عمران طريق كحلان، والعذاب مستمر في الطريق، وثيابي ممزقة، وكان على رأسي خرقة سوداء أخذها أحد الجنود (المجاهدين) مما جعل السائق يتصدق علي بخرقة أخرى، وصلنا كحلان وقد أصبحت يدي وارمة وابطي كذلك، لأنه كان معي تسعة ريالات فضية ربطتها ربطا محكما وجعلتها تحت ابطي خوفا من العساكر الاباحية.

وصلنا كحلان وقد حولوا لنا بالغداء؛ دخن وسمن، ولكن من يقدر على الغداء والمغلقة (الشريفة) على يده؟ وقد جعل الأستاذ الزهيري يلقمني الأكل، فتوجهنا من كحلان قبيل العصر،وكان السجان الجائفي وأخوه وعوضه يظنون انهم سيصلون بنا ويلقون من الإمام والبدر المكافأة على التعذيب ومع الأسف كان الخبر عندنا ان الإمام قد انتصر وغادر حجة الى تعز، ولأجل ذلك فقد شددوا علينا، وضاعفوا العذاب، فلما أظلم الليل حاصرونا في السيارة وتراكمنا بعضنا فوق بعض، وكانت مغلقة المحبوس تدق رأس المجاور له، وكانت مغلقة غالب الشرعي تؤذيني كما كانت مغلقتي تؤذيه وهكذا الكل، ولم يأذنوا لنا بالنزول لنبول في عرض الجبل، إلا بعد طول ترجي، وكيف النزول من السيارة والمغالق تحول بيننا وبين أي حركة، وخاصة وأنا مريض وضعيف الجسم، واستأذنا ان يرخصوا لنا بالنوم ولو ساعة في عرض الجبل، فلم يأذنوا، وكنت أنا وعبدالسلام صبرة في مؤخر السيارة في مساحة لاتتسع لطفل وكان تارة يرقد فوق بطني والعكس، فما أشقها من ليلة، سبحان اللطيف الخبير.

وفي الصباح نزلنا العقبة التي تتكون من أربعة وسبعين لفة، ذقنا فيها العناء، حتى وصلنا سوق شرس، وادخلونا المسجد، وقد ازداد ورم يدي بسبب المغلقة، فرجوت الجائفي الحارس ان يرخي مسمار

المغلقة قليلا ويمهلني حتى آكل، وبعد جهد جهيد وافق، فدخلت الى الأستاذ الزهيري وأشرت له بأن يحل الخرقة التي في ابطي ويأخذ ما فيها من فلوس لديه، وبينما نحن في المسجد جاء الوشاح الذي عمل فيما بعد سيافا يقطع الرؤوس وقال: ياعزي أنت الذي جنيت على بيت الوشاح إذ خرجوا يفتشون بيت صاحبك علي محسن الوشاح.

انطلقنا وانطلقوا بنا من شرس، وبينما نحن صاعدون في عقبة حجة إذا بالشيخ أحمد قلالة بسيارة وفي مؤخرتها عربة مربوطة اليها، فأوقف سيارتنا وقال: من فضلكم انتقلوا الى هذه السيارة يقصدني أنا والصفي محبوب ومحمد السياغي وعبدالسلام صبرة ولا أذكر الباقين، وعلل ذلك بقوله: لتستريح سيارتكم، وكان ذلك منه شهوة في الانتقام منا وتعذيبنا في العربة المربوطة، وكان معه بعض الجنود وأحد مشائخ الحدا، فعذبنا فيها عذابا عند الله علمه، كانت تسفنا نسفا، وقال: هيا ياعزي، هذا جزاء الفصاحة وجزاء عمل الخُبرة **(الأصحاب)**.

وبعد عذاب دخلنا حجة، ولم يكف ما جرى علينا بل داروا بنا في شوارع وأسواق حجة، وهات ما حومار ملحون كما قال السلال، وهو رابع حومار بالنسبة لي، والثالث بالنسبة لأصحابي.

وصلنا حوش سعدان جميعنا الذين جئنا في السيارتين، وظللنا واقفين عدة ساعات، وكان (أبو دنيا) يخطب ويسب ويلعن ومما قاله في خطبته مستشهدا بقوله تعالى: ﴿أولئك هم الكفرة الفجرة﴾ وأشار إلينا بيده، وأهلكنا العطش، فأعطونا ماء في صفيحة مليئة بالأوساخ، أما أنا فأشرت الى عبدالملك العمري الذي كان مطلا علينا من النافذة، فأرسل لي بقلة بها ماء نظيف عذب، ولم يسمح الرسول لغيري بأن يشرب منها، ومن لطف الله وتسخيره

انه وقف بجانبي ولد عمره (١١) أو (١٣) سنة عندما رأى الناس وهم يرجمون ويضربون زملائي فقال: «يابه العزي لاتقلقوا أنا جنبكم أحميكم والله ما أترك أحدا يقربكم أبداً وما شافلتكم **(لن اتركم)**» وأظنه ابن أحمد المترب الأستاذ بحجة، وأما أصحابي فنالهم من الأذى ما الله به عليم. وكانت الاشاعة بصنعاء أني توفيت، وقد كانت الزوجة مستعدة للحداد.

تنبيه:

هنا لا بد أن أقول كلمة لها قيمتها: لم أزل أسمع كلمات النقد على الثوار والقائمين بالحركة الذين بذلوا أرواحهم وأموالهم وسجنوا السنين الطويلة وتحملوا الأثقال، وضربوا بالسياط، والذين صاغوا دستورا محكما، ووضعوا قوانين عادلة صالحة. وهم أولئك الرجال من العلماء والسادة والكتاب والأساتذة وبعض التجار، والأدباء الذين لم يتغيروا وحافظوا على مبادئهم بشجاعة، ولم يجبنوا حتى وهم في ساحة الموت، والجلاد فوق رؤوسهم ولكل شهيد منهم كلمة خالدة، وهو في طريقه إلى الذبح في ساحة الإعدام.

فهذا محيي الدين العنسي وهو في طريقه إلى الموت يمشي إلى ساحة الإعدام والسياف وراءه وهو مربوط اليدين إلى وراء ظهره يقول:

كم تعذبت في سبيل بلادي
وطعمت المنون مرا مريرا

الشهيد محيي الدين العنسي

هاأنذا في سبيل هواها
باذل النفس راضيا مختارا

وهذا الشهيد السيد أحمد المطاع وهو يساق في طريقه إلى حورة ساحة الإعدام يقول له وكيل الإمام في حجة: أنت الذي قلت أن هذه الشجرة الخبيثة لابد وأن تجتث من عروقها؟. فقال أنا لم



الشهيد أحمد المطاع

أقل هذه الكلمة من قبل ولكني أقولها الآن: لابد لهذه الشجرة الخبيثة أن تجتث وتجتث من عروقها وأصولها، وهذه دماؤنا ثمنها وقيمتها.

وهذا الشهيد أحمد البراق يقول للسجان: (الدودة): بلغ إخواني السلام وقل لهم أن يثبتوا ولا يخافوا والموت في سبيل الوطن رخيص.



الشهيد أحمد البراق

نعم إن الناقدين ممن قاموا بثورة ٢٦سبتمبر أو ممن دخلوا على الثورة يقولون: إن ثورة ٤٨ هي عبارة من هاشمي إلى هاشمي، وانتقادهم هذا سببه عدم معرفتهم للشعب اليمني وتقاليده ومعتقداته. ولم تنجح ثورة ٢٦سبتمبر إلا بعد أن وعى الناس ومن وعاهم. أليسوا هؤلاء الأحرار الذين تنتقدونهم اليوم أحرار ٤٨ الذين عبدوا لهم الطريق من قبل ثلاثين عاما، وعن طريق الإذاعة وتخريج البعثات، وغيرها وأحب أن أوجه سؤالا لهؤلاء الناقدين: هل كان يرضى الشعب بزعيم أو إمام في ذلك الوقت غير هاشمي؟ هل كان سينقاد لغير هاشمي وهم يعتقدون أن الإمام لابد وأن يكون من أولاد البطنين، الإمام في رأيهم هو القبلة وكيف يحارب قبلته ويعتقد أن رضاه من رضا الله ومن عاداه دخل النار، الإمام هو المولى من الله، إبن رسول الله، ليس فوق يده إلا يد الله، لا يسأل عما يفعل. يتصرف كيف يشاء وليس عليه سؤال، ومن اعترض عليه فهو يستحق النار. هؤلاء الرجال هم الذين كافحوا وناضلوا هذه الصخرة والشعب المسكين

ضدهم.

ومن الأسباب التي جعلت الناس يعقلون تصرفات الإمام أحمد وإخوته عدم قدرتهم على الدجل والتضليل كما كان أبوهم يحيى حيث كان يخرج للمواجهة يوميا ولو كان مريضا، ومواظبته على المقيل مع كتابه، وإجابته على كل ما يصل إليه ولو إجابات غير مجدية، وعزّله اليمن عن العالم أجمع، هل كان الشعب سيرضى بالسيد أحمد المطاع وليس من أولاد البطنين كما يقولون؟ وهل كان سيرضى بالسيد حسين الكبسي وهو شخصية غير بارزة، فكان اختيارهم لعبد الله بن أحمد الوزير في محله لأنه الشخصية التي كانت تعتبر بعد الإمام وله الفتوحات الكبيرة، مع أن الثوار قيدوه بشروط وجعلوها حكومة دستورية، وللعلماء والصالحين الحل والعقد، فإذا لم ينهج بهم وبالشعب الطريق المرسومة فإنهم سيخلعونه، وكانوا أرادوا ذلك عندما رأوا أنه لم يسمع نصح الناصحين، ولكن الذي يأتي إلى الطعام وقد تهيأ لا يدرك كم تعب فيه الذي صنعه، حتى أن بعض الثوار كانوا اقترحوا اختيارعلي الوزير لأنه ألين عريكة وأحسن أخلاقا وكريم وإداري فاعترض المعترض بأنه لا يصح لأنه ناقص الشروط لأنه (فريد) وقد وصلنا أن سمعنا من ينتقد صحابة رسول الله ﷺ، بل ومن ينتقد الإسلام نفسه وهم جالسون على الكراسي يتصورون بأنهم الرجال ويهزأون بآباء الشعب المجربين المتدينين المتشبعين بروح الدين لا جامدين ولا جاحدين. هؤلاء الرجال الذين حبسوا وتغربوا وكتبوا ونشروا هم تحت اللهب أعواما ورؤوسهم بأيديهم، إنظروا ماذا جرى للستة الأشخاص والدعيس سنة ٥٥هـ والشعب يلعنهم من باب عدن إلى خلف صعدة، إنظروا إلى الزبيري والنعمان كم حبسوا وكم تغربوا، إنظروا إلى الخالدي وهو يجلد في صنعاء ثم ينفى إلى وشحة،

إنظروا إلى السلال ومحيي الدين العنسي والحورش والمروني والبراق وهم بالقيود في القلعة.

إنظروا إلى أولاد السياغي وعبد السلام صبرة وإسماعيل الأكوع وجازم الحروي وهم مشبوكون في سلاسل الحديد يدار بهم في شوارع صنعاء ثم يساقون إلى إب ويسحب معهم إخوانهم الأحرار من إب ثم إلى تعز ثم إلى حجة مع زملائهم الأحرار من تعز، هل وصلت أيها الناقد المغرور إلى ما أنت عليه من جلوسك على الكرسي سلاما بسلام. فمن بنصف أباءك المساكين من لسانك يامن تعيش في راحة ونعيم بفضلهم.

سجن نافع

ساقونا بعد ذلك نحن الدفعة أو الحملة الثانية والثالثة الى السجن، ولما دخلنا نظرنا كومة من القيود والمراود والأسكاك، وقد البسوا البعض شكين اثنين وقيدا والبعض مرود وقيدين والمخفف عليه قيدين فقط والمتوسط ثلاثة قيود، وقد احدثت عملية دق القيود وشدخ المغالق جلبة وضجة وصرير، ويتبع ذلك برعٌ مع المسجون الى داخل الحبس، وناس يساقون الى الحبس الأعلى وآخرون الى الحبس الأسفل، وناصر علي جرامة والمدير يأمران ويصرفان، أما أنا فقد قال لي المدير الحاشدي: انتظر حتى انتهي من تقييد كل المسجونين، وكنت آخرهم، فأمر المدير بأن يقيدوني بقيد واحد فرفض ناصر علي وأصر على قيدين فلعنه المدير وشتمه، فلم يسمعه إلا أن ينتخب لي قيدا منخر جديد مثل السكين، ولم يعطف علي الحاشدي إلا لما لاحظه من ضعفي وشدة مرضي، وقد أخبرني فيما بعد بأنه ماكان يصدق أنني

سأبقى حيا.

والقيود الجديدة هي من صنع حدادين من اليهود في صنعاء عملوها وتفننوا في أشكالها الموجعة تقربا من الإمام.

نزلت الحبس الأسفل حيث أمر المدير، وكانت الصدمة التي واجهتها ان السيد أحمد المطاع عندما سمع بوصولي خرج من محله وأقبل الى تحت باب الحبس الداخلي وهو يلبس فوطة وشميز وفي رجله سك فلما رأيته بكيت، وأخذ بيدي نحو السمسرة التي يجلس فيها بعض الإخوان الأوائل، وهذه السمسرة عبارة عن مستنقع، والسجن مكتظ بالرجال الدستوريين وبمساجين آخرين، وفيه نحو ثلاثمائة سجين، وفيه ثلاث سماسر، وثلاثة دكاكين للمسجونين غير الدستوريين، وهناك مكان اليهودي سالم عمران، وهو مكان صغير، وهناك أيضا مكان يتسع لأربعة أشخاص فيه مساجين آخرون، ومعظم المساجين في حوش يقدر بعشرة أمتار في عرض ثلاثة.

وعندما دخلت السمسرة فسح لي الشيخ أمين عبد الواسع نعمان بقعة، وبقعة أي بقعة؟ لافراش ولا دفاء ولا شيء، وسوى السيد أحمد المطاع الأحجار التي تحتي والتي ستكون منها وسادة، ومنهن ومنهن الخ كما يقول المثل: «طرحت جنوب الشقى» وقد زاد بي المرض وفلتة الأعصاب، وظللت أياما وأنا مريض، حتى اسعفت بملح انجليزي ومع الأسف ليس هناك مرحاض سوى غرفة مستديرة مليئة بالأوساخ المتراكمة من أيام حبس الزرانيق، وفيها ساقية قدرها متر ونصف لثلاثمائة شخص.

ولست بحاجة الى ذكر الحبس وحالته وشدته وما فيه من عذاب، فسيكفيني ذلك الكتاب القديرون وما أكثرهم في الحبس، وكل كاتب منهم سيكتب عنه مجلدا أو أكثر، فعجائبه كثيرة، وإذا

تقصى الكاتب فذكر كل شيء فيه فلريما لن يصدقه كثير من الناس، لأنه مما لايخطر على ذهن أحد، وسأكتب ماجرى لي وبعض أشياء أخرى تتعلق بغيري مما لفت انتباهي، وان كنت أحس بالعجز أمام ذلك.

القاضي عبدالله الشماحي

كانت هذه السمسرة ملأى بالقاذورات والأوساخ، وكأن البناء قد سوى أحجارها ثم تركها ولم يسو جدرانها بالطين (الملاجة) ولم يضع على الطين الجص كما يصنع الناس، لا شيء من ذلك غير الحجر والحشرات.

وكان قد سبقنا السلال وحسن العمري والشماحي والسيد أحمد الشامي والحاج عزيز وهاشم وغيرهم. كما كان قد سبقنا كذلك حزب الأحرار الذين رأيتهم بوعلان وهم: الأستاذ نعمان وأحمد العنسي ودحان وجازم وناشر عبدالرحمن وجنودهم، وكذا الشيخ عبدالوهاب نعمان وابنه أحمد ومحمد صبرة وغيرهم.

شفيت من المرض فاستراح السيد أحمد المطاع وكان عندنا في السمسرة أخشاب يرقد بعضها على بعض وكان ينام عليها أحد زملاء الأستاذ أحمد نعمان.

وفي يوم الأربعاء دخل الحاشدي مدير السجن وأمر بحمل الأخشاب الى حورة لتركز مشانق للشهداء أو عتبات وهي خشبة يدخل رأس الشهيد فيها لتسند رقبته حينما يضربه السياف. وكان في الحبس الأعلى أربعة مساجين سجنوا منذ عام ١٣٦٣هـ وهم السيد محمد المطاع والشيخ صالح المقالح وقاسم غالب ونعمان محمد نعمان، وأذكر من الآخرين السيد زيد الموشكي والحاج الخادم غالب والنقيب حسن الشايف وحمود السياغي ومحمد عكارس

والسيد عبدالملك المطاع في حبس القاهرة، وكذلك الشيخ علي نعمان والقاضي محمد الأكوع وأخيه إسماعيل الأكوع، وفي المنصورة الرئيس جمال جميل عند السجان الطاهر بن الجلال (مطير).

جلادون مجانا !

كم رثيت للجائفي سجان حبس معبر وأخيه ومعوضة الذين بالغوا في تعذيبنا ولم يدخروا جهدا في ذلك، وكانوا يظنون انهم سينالون حظوة لدى الإمام بالإضافة الى جائزة، فقد بلغهم ان الإمام فاتح بابه على مصراعيه، وانه يكافئ المجاهدين المخلصين، ولكن هؤلاء المنكودين لم يصلوا إلا وقد انتصر الإمام وتنكر للقبائل وأغلق أبوابه في وجوههم وذهب الى تعز، نعم وصل هؤلاء (المجاهدون) ولم يلتفت اليهم أحد لا صرف ولا مصروف، عادوا مكسوري الجناح، ولم يظفروا بنهب ولا سيارة ولا زامل.

كان أصحاب الأستاذ أحمد نعمان شخصيات بارزة، ومعه الجنود الذين خرجوا معه، وكان يطلق عليهم جنود الصاعقة ورئيسها أحمد عبدالوهاب نعمان.


الأستاذ أحمد محمد نعمان

وعند تحسن حالتي الصحية قال لي السيد أحمد المطاع: نطلع الى السمسرة التي بها الأستاذ نعمان، فطلعنا اليه وقد استعدنا بعض الماضي، ثم انه ذكرني ماكان اقترحة وهو في عدن بأن يبقى هو والقاضي محمد محمود الزبيري ومن معهم في عدن ولايخرجوا الى الشمال وفي بقائهم هناك مصلحة، فإن فشلت الثورة فيبقون للجهاد، وان نجحت فيبقون معارضين ودعاة الى الإصلاح ومرشدين، ولكنها مشيئة الله.

بداية المجزرة

في ليلة الخميس استدعا السجانون السيد زيد الموشكي ونقلوه الى حبس القاهرة، وكذلك السيد حسين الكبسي، واحسسنا بالخطر، وتعددت الآراء؛ فمن قائل: ان وفد الجامعة العربية وصل الى الحديدة لينظر في القضية، ومن قائل ان الإمام يريد التفاوض، ولكن الإحساس غلب التكهنات لأن الوفد السعودي وصل ليشجع الإمام ليقضي على الثائرين ويخطب ويرعد ويبرق.

بعد ان نقلوا الخشب من السمسرة الى حورة -كما ذكرنا- أصبحنا يوم الخميس ١٥ جمادى الأولى فإذا بنا نسمع بهرج ومرج وإذا بالجنود يأخذون مواقعهم للحراسة في كل من القاهرة ونافع، وإذا بأبواب السجن تقفل، وإذا بالموسيقى تعزف، وإذا بالجيش يخرج، وإذا بالقاتل المسمى (العسر) وما العسر؟ انه يمثل الجريمة وهي مصورة في وجهه، وإذا بالسيد أبو الفضائل يدعى وهو متهم هو وسالم عمران الذي لم يفرج عنه من السجن الذي استمر عشر سنوات تقريبا إلى ان اعتنق الإسلام. والعر مسجون لأنه قتل ثلاثة أشخاص.

وبعد ان سمعنا الموسيقى تعزف سألنا: ماذا يجري؟ فقال السجانون: قطع رأس إمامكم عبدالله الوزير قطعه العبد، والعر قطع رأس السيد زيد الموشكي، ومثل بهما وأرسل رأس الوزير الى صنعاء. وكان الإمام قد أمر ولده ونائبه بأخذ الاحتياط خوفا من الثورة لأنه سمع من بعض مشائخ حاشد بعدما عرف ان الإمام بدأ يتنكر للقبائل التي نصرته، فقال هذا الشيخ: «هيّا مه

الشهيد زيد الموشكي



محمد بن محمد عبدالله الوزير يساق الى ساحة الاعدام

ياسيدي؟ ماشي فعادهو ذاك بخير في القاهرة» يقصد: كيف تتنكر لنا والوزير مازال حيا في سجن القاهرة؟ فأحس أحمد بهذه الكلمة مما جعله يبادر الى قتل الوزير.

قال لي السيد أحمد المطاع: ان الخبر وصل الى صنعاء انك فررت وقد قال قائل انك وصلت لحج، وقائل يقول: انك توفيت في عمران، وها أنت ذا أصبحت بيننا فهات المصحف نتدارس، فشرعنا في تلاوة القرآن هو يقرأ ثمن جزء وأنا أقرأ ثمن جزء أي ربع حزب.

وفي الأسبوع الثاني أخرجوا من عندنا أحمد البراق ومن الحبس الأعلى النقيب حسن الشايف، وبعدهم مُحمّد الوزير وعبدالله محمد الوزير والعزي الوزير ثم النقيب حسن أبوراس والنقيب عبدالله أبوراس، ورحم الله عبدالوهاب نعمان كان يعاون السيد أحمد المطاع في العناية بي لأن الضعف كان قد بدا علي.





ومن ألطاف الله ان الشيخ عبدالوهاب نعمان تيسر له الحاشدي

مدير الحبس الذي كان يذلل له كل الصعوبات ولو بأغلى ثمن، وكان يقوم بالإصلاح بين المساجين، كما كان سببا في سلامة المساجين من ضرب السجانين وقيودهم، وكان صاحب الكلمة في السجن، وكانت كلمته مقبولة ومسموعة.

الشاب عبدالله محمد الوزير في مشهدين قبل وبعد قطع الرأس

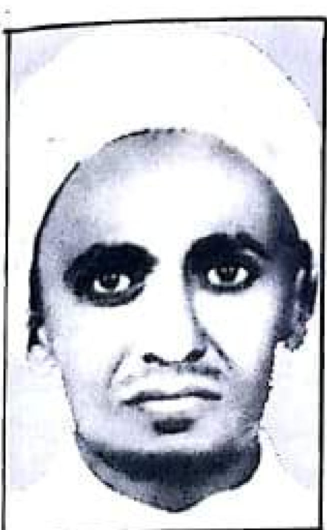


وفي يوم الثلاثاء نزل الينا الحاشدي مدير السجن وبيده نعمان محمد نعمان، وكان في الحبس الأعلى، لأن من في الحبس الأعلى لا يعرف من في الحبس الأسفل والعكس، ولا أنسى الرجل الذي كان خيرا كله وكان للمحابيس كالأخ وهو علي حمود رحمه الله، وكان همزة وصل بين المحابيس الذين فوق والذين تحت والذين في القاهرة، وكان يأتينا بالأخبار السارة ويهون علينا الأمور رحمه الله.

نعم .. نزل نعمان يسلم على عمه عبدالوهاب وأخيه الأستاذ أحمد، وسلموا للحاشدي شيئا من الفلوس وظن المحابيس ان ذلك من باب التخفيف، ولكن من العجائب انه يوم الثلاثاء بعد الظهر حصل انفعال عند السيد أحمد المطاع واعتراه شيء من الذهول، وظل يكرر: اللهم فارج الهم، كاشف الغم، مجيب دعوة المضطر فرج همنا والغم. وحصل لدي انفعال شديد لم اعرفه من قبل قط وهو

اضطراب في فـخـذي الأيمن بشـدة، وأعجب من هذا ان الأستاذ الحلبي ذكر ابن بقـيـة وأملى قـصـيـدته: علو في الحياة وفي الممات.. فاستوحشنا.

وليلة الاربعاء حصل انفعال شديد لدى الشيخ عبدالوهاب نعمان، ولم يقر به قـرار، بل جعل ينتقل من مكان الى مكان وهو يتلو أسماء الله الحسنى، ووصل الي وأنا ساهر وبعض الإخوان رقود، فقال لي: ياعزي أنا قلق وقلبي يرتجف لاأدري ما السبب، فأهون عليه.


الحاج الخادم غالب

معروف الخادم غالب

هنا ذكرت شيئا كدت انساه، وهو ان الحاج الخادم غالب كان يسعف المساجين وقد ارسل لي بحصيرة وزنة وفوطة كما أعطى غيري كذلك، وقد فرحت بالحصيرة الفراش وظننت فيها العافية... هذا شيء، وشيء آخر كدت انساه وهو ان السيد أحمد المطاع وأنا اتدارس معه اذ قال: والله ياعزي لن يحزن علي أحد مثل زوجتي ومثلك لو قضي علي، فهونت عليه، وقلت له: الإمام أحمد محتاج لمن هو مثلك، فقال: اسمع إذا جاءت الجمعة وأنا بخير فقد اجتزنا المحنة، هيا بنا نكمل الدرس، فدرسنا ثم توقفنا، فحرر رسالة للخادم غالب، ومما قال فيها: ياأخي إنا الآن في حالة خطر كمحتضرين فما رأيك؟ فأجاب عليه الخادم غالب جوابا شافيا. ثم قال لي: سيظن إخوتي ان عندك لي مالا، وما معنا غير ما أرسلناه الى عدن الى الشلايا بنظرك، وهاأنذا سأقوم بكتابة وصيتي وسأسند وصيتي الى القاضي أحمد قاسم العنسي، فقام هو وأمين عبدالواسع نعمان وكتب وصيته وسلمها للقاضي أحمد العنسي وصورتها بيدي وشاهدها الفريق العمري، فلما رجع الى مكانه

استراح لأنه عمل الوصية، وفعلا كان ما توقعه من شغلة إخوته وخاصة حمود سيتولى الله مكافأته فإنه لا يظلم أحدا.

وفي صباح الأربعاء بدأنا في الدرس أنا والسيد أحمد المطاع ووصلنا الى سورة غافر وكان الدور عندي فانتهيت الى قوله تعالى: ﴿قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين﴾ إذا بناصر علي يطل من باب السمسرة ويقول: جاوب. فقال: هيا خاطركم فأحسست باضطراب وكاد يغشى علي، كما استدعي الشيخ عبدالوهاب نعمان، ولا تسل عما حصل عند المحابيس من أثر، وخاصة أخواه ورفيقاه العزي صالح وعبدالسلام صبرة وآل نعمان وجميع الإخوان.

وكان الذين يخرجون الى ساحة الإعدام يخرجون كالأسود وقد ابدوا شجاعة فوق ما يتصوره المتصور، حتى أثر ذلك على المحابيس الذين حبسوا في قضايا قتل، فقد طالبوا الإمام بسرعة اجراء القصاص عليهم مثل (قيران) وغيره.

قضينا جمادى الآخرة والسجن يغص بالمساجين، وكان يأتي اطلاق أشخاص ممن اعتبروهم أهل ذنوب خفيفة، فقد أطلق محمد طاهر والحاج محمد حسن الزهيري وحمود السياغي وآخرون.


الشهيد أحمد الحورش

وجاء شهر رجب فقلنا: الحمدلله شهر من الأشهر الحرم وسنرتاح من الإعدام وأخبار الإعدام، وإذا في يوم جمعة رجب التي يجعلها أهل صنعاء وأكثر أهل اليمن يوم عيد إذ بالإمام يأمر بقتل أربعة وهم: السيد حسين الكبسي، ومحمد المسمري،

ومحي الدين العنسي، وأحمد الحورش، ويأمر بإطلاق أربعة: زيد عقبات، والصفي الجرافي، وعلي لطفي، وحسين مطهر، فكان يوما على المساجين شديدا، لكن الله عصم القلوب، وقد هان علينا الموت بجانب مانلاقيه من العذاب والتوقع، ولا ندري من سيُقتل ومن سيبقى، والكل متأهب للموت، فإذا سمعنا الموسيقى قام كل واحد منا ليغتسل ويتوضأ وينتظر الداعي، وقد ظللنا نتيمم من الجدار أكثر من اسبوعين حيث ما كان يوجد لامرحاض ولا ماء حتى بنى الحاشدي مغسلا مكشوفا، وقام المحابيس بتحسين الحبس وتنظيف النوبة وسراج المرحاض، وكانت قيمة القاز وكذا أجرة المنظف المسمى المعولي كل ذلك كان من الصرف الذي يجرى لنا، لأن الإمام قرر لكل مسجون ربع ريال يوميا، وضربة طعام من حبوب الذرة كل اسبوع وتقدر باثني عشر نفرا أو أقل، ويصرف لنا من الطعام (الدفين) أي الذي قضى عليه في المدفن عدة سنوات حتى تغير طعمه وريحه.

ومن ألطاف الله بالمحابيس انه كانت تأتيهم أخبار غير صحيحة، بل مختلقة، ولكن المحبوس يتعلق بها ويتعلل بها ولو كانت غير معقولة، فيقضي بها راحة يومه وليلته أو اسبوعه، ويعلق عليها آمالا كبيرة،وقد جاءنا في رجب ٧٦ هـ خبر عشنا في لذته أكثر من شهر، ويتلخص هذا الخبر بأن أحد الأشخاص أطلق رصاصة على الإمام أحمد أصابت خده الأيمن وبعضا من وجهه، وشاع الخبر وذاع في حجة حتى كاد مدير الحبس والسجانون يصدقون وقوعه، ووردت الأخبار من حجة الى الحبس تحمل هذا الخبر فأشار الأستاذ أحمد نعمان ان أحرر برقية مراجعة للإمام، وسنعرف الخبر من الجواب. وفعلا حررت برقية مضمونها: مولانا أمير المؤمنين أيدكم الله. بصفتي بياع مشتري لا أنا سياسي ولا دخل لي بالسياسة.. رحمتكم...

محمد السنيدار

فجاء الجواب: من الإمام الى محمد صالح السنيدار، البقاء لكم في نافع حيا خير لكم من غيره. فلما وصل الجواب قال الأستاذ نعمان والإخوان: هذا الجواب ليس من لهجة الإمام، والواقع انها لهجة سيف الإسلام علي، وكان الخبر يفيد انه القائم بالأمور.

فعشنا الى منتصف شعبان ونحن في هذه الآمال، وإذا بالقاضي عبدالرحمن الإرياني والشيخ علي محسن باشا وأولاد عمه ومحمد حسن الفسيل، ولا أدري هل كان القاضي محمد الأكوع أوالقاضي إسماعيل الأكوع وحمود الجائفي معهم أو كانوا من السابقين لأن المسافة بين الحبس الأعلى والأسفل كالمسافة بين أمريكا والهند أو أبعد . وهنا انطفأ ذلك الأمل، وتضاعف احساسنا بالحبس وشدته، وفي ١٧ رجب وصلت لي تعزية بوفاة أخي عبدالله وكانت وفاته بجبلة، وهو شقيق من أب وأم.

تركت وصف الحبس وتفاصيله لغيري من الكتاب وأهل الخيال القديرين لأني -كما ذكرت- عاجز، وهناك من الكتاب والشعراء من هم أكثر مني قدرة على تصوير حالة الحبس والأثقال من المراود والأسكاك والقيود و(الجدلة) التي تحملها الخادم غالب وكذا (الجدلة) التي تحملها غالب سري، وحالة السجانين مع المسجونين الأحرار والسلاسل والأغلال والمغالق والمطارق والعري والجوع والخوف، وسيصورون حالة الشهداء وشجاعتهم وهم يساقون الى الموت، وكيف كان البدر والنائب وهم على ساحة الإعدام قعود وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود، وكيف كان البدر مزهوا والسياف محمد سالم ينظر الى أصابع البدر وهو يشير كم يستحق كل


محمد البدر

شهيد ضربات بالسيف، وهو يشير اليه: ضربتين أو ثلاثا أو أربعا أو خمسا، وأشار اليه ان يضرب أحمد المطاع ست ضربات بالسيف... فإلى الكتاب والمؤرخين أحيل الوصف الرهيب والتصوير العجيب والله على كل شيء رقيب.

خفف المدير عني الأثقال بعض التخفيف وقد كان ذلك شراء اذ اشتريت نفسي منه ببعض الفلوس.

وأخو الإمام هل ينجو من الموت؟

وفي ٢٢ شعبان جاء الخبر بأن سيف الحق ابراهيم مريض، وفي صباح ذلك اليوم كان بخير وفي عافية وفجأة داهمه المرض الشديد في الليل، وفي صباح اليوم التالي سمعنا صوت الجنازة، وقد فهمنا السبب انه سم وضع في القات.

ووصل الى مسامعنا بأن إطلاق الحاج الخادم غالب في الطريق، فإذا به ينقل من سجن نافع الى سجن القاهرة، وقد تأثر بسبب نقله المقاطيع والمحتاجون الذين كانوا يتلقون منه مساعدات لقوتهم الضروري. وقد فرحنا بنقله وظننا انه الفرج، ولكن فوجئنا بالموسيقى تعزف يوم ٢٣ شعبان والجيش يخرج وأبواب السجن تقفل، وإذا بالبوق يصوت بلحن الجنازة، وإذا باب حبس القاهرة يفتح ويخرج منه العسكر ومعهم الحاج الخادم غالب وعلي بن عبدالله الوزير على بغلتين متوجهين بهم الى حورة (ساحة الإعدام) وكنت أنا والسيد محمد المطاع ننظر الى مكان الحادث، وقد اطبقت على السيد محمد المطاع حمى دماغية وسقط مريضا.

وفي ذلك اليوم وصل ولدي محمد بمصاريف وكسوة من صنعاء، وكان المرسل هو الصديق الوفي علي أحمد هاجر الذي أصبح في


علي هاجر

الوفاء مثلا، حتى أن الفريق العمري والمشير السلال وعبدالسلام صبرة كانوا يحترمون علي هاجر لوفائه مع العزي صالح ولقيامه بمعاونته في سبيل القضية واستمراره على الوفاء أيام الشدة. ولو بقي علي الصدّيق حيا لكان له من الاحترام من الإخوان ما لمثل علي هاجر، في وقت تنكر فيه الإخوان والأقارب والأصهار.

وقد ظل ولدي وعلي الصدّيق يحاولون الحصول على رخصة لمقابلتي ثلاثة أيام وبذلا في سبيل ذلك المال رشوة حتى أذن النائب بحوالي عشر دقائق، فوصل ابني مع المدير الذي انتصب حائلا بيني وبين ابني، وقد استمرت المقابلة من غروب الشمس الى أذان المغرب فقط. واستلمنا المرسلات.

وسيأتي ذكر علي الصدّيق ووفاته في مناسبة أخرى.

ألا بذكر الله تطمئن القلوب

برغم هذه الشدائد وهذا العذاب وسماع ومشاهدة حوادث الإعدام المرة تلو الأخرى، فقد كانت ألطاف الله تكتنفنا ورجع المسجونين الى الله، فكان كل شخص لا يفتر من ذكر الله وقراءة القرآن، وكان الوقت مابين المغرب والعشاء نقطعه في دعاء وتضرع، وكان إمامنا في الدعاء الصفي محبوب، وبهذا تحملنا الحياة في المستنقع وأسبل الله ستره بالعافية والأمل، لم يمت من المحابيس

سوى أربعة أشخاص من الذين جاءوا بعدنا ببضعة أشهر.

ضيف جديد

في أواخر شعبان وصل الينا خبر بأن الحاج علي محمد السنيدار وصل حجة وبقي في المدينة الى آخر يوم من شعبان، فأدخلوه حبس نافع في يوم الشك وكان بعض المسجونين صائمين، فوصل ونحن نعيش في آمال واسعة، والكل يظن أن ملك احمد لن يدوم، لاسيما وقد تنكر لمن آزروه ونصروه، ولكن قتل الإمام هو الذي ساعده بسبب ان المصيبة جمعته مع إخوته، وجعل قتل أبيه كقميص عثمان، والقبائل لم يجدوا توعية من الأحرار، وقد قال بعض عقلاء القبائل: والله لو عرّفتمونا ماهو الدستور من قبل ما قامت لأحمد قائمة.



الحاج علي محمد السنيدار

فرحنا بقدوم الحاج علي محمد السنيدار لعلنا نجد لديه أخبارا تسرنا وتخفف عنا ما نحن فيه، فاكتشفنا ان من هم خارج السجن لا يختلفون عمن بداخله، الكل متعلقون بالأخبار الواهية والرمل، وأحمد مستمر في دولته.

دخل شهر رمضان وقضيناه في صيام وتلاوة القرآن وحبس، ولم يحدث فيه شيء إلا نقل الأستاذ أحمد محمد نعمان من حبس نافع الى حبس القاهرة في اليوم الخامس من رمضان، ومضى علينا شهر رمضان لاسؤال ولا جواب مع أن الأيام السابقة ولمدة ثلاثة شهور والبرقيات من الإمام ومن العرضي لم تنقطع أسئلة كلها عن السلاح والفلوس، وهكذا أسئلة كلها تعنت لكيلا يهدأ المسجون أو

يرتاح.

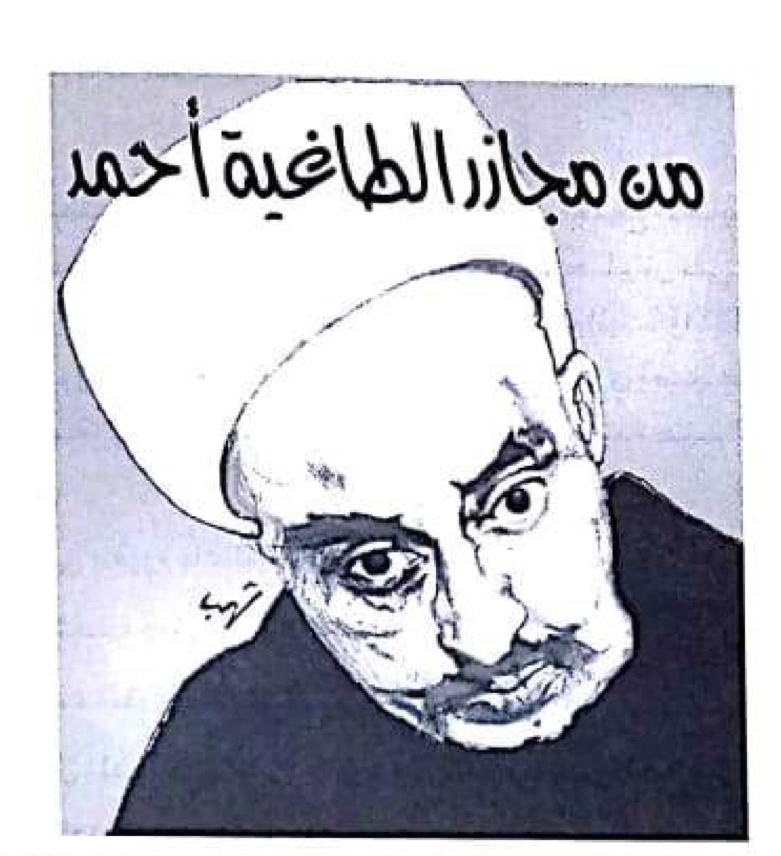
وانقضى شهر رمضان وفي صباح العيد اجتمع المحابيس في السمسرة العليا وكانت قد فرغت من محابيس بني عشب والشغادرة، وانتقلنا الى السمسرة والأربع الحوانيت، وانتقل اليها الدستوريون، وماالدستوريون؟ كلمة الدستوري أصبحت لعنة وشتيمة، وقد هداني الهاجس الى تذكر قصيدة عبدالرحمن الآنسي:

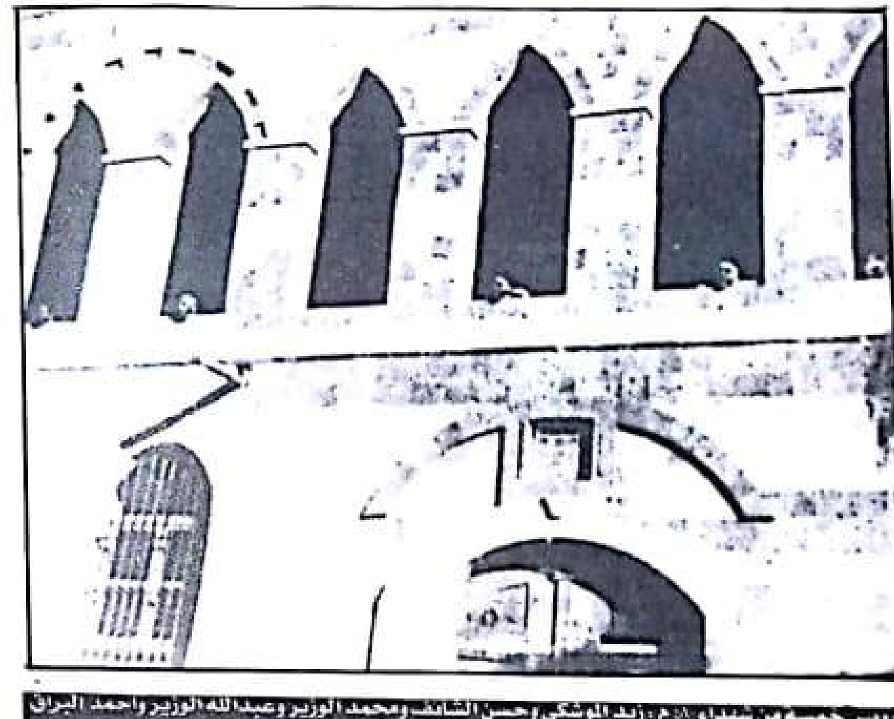
ياحي ياقيوم ياعالم بما تخفي الصدور

فانشدتها وبكى جميع المحابيس، وكذلك قصيدة:

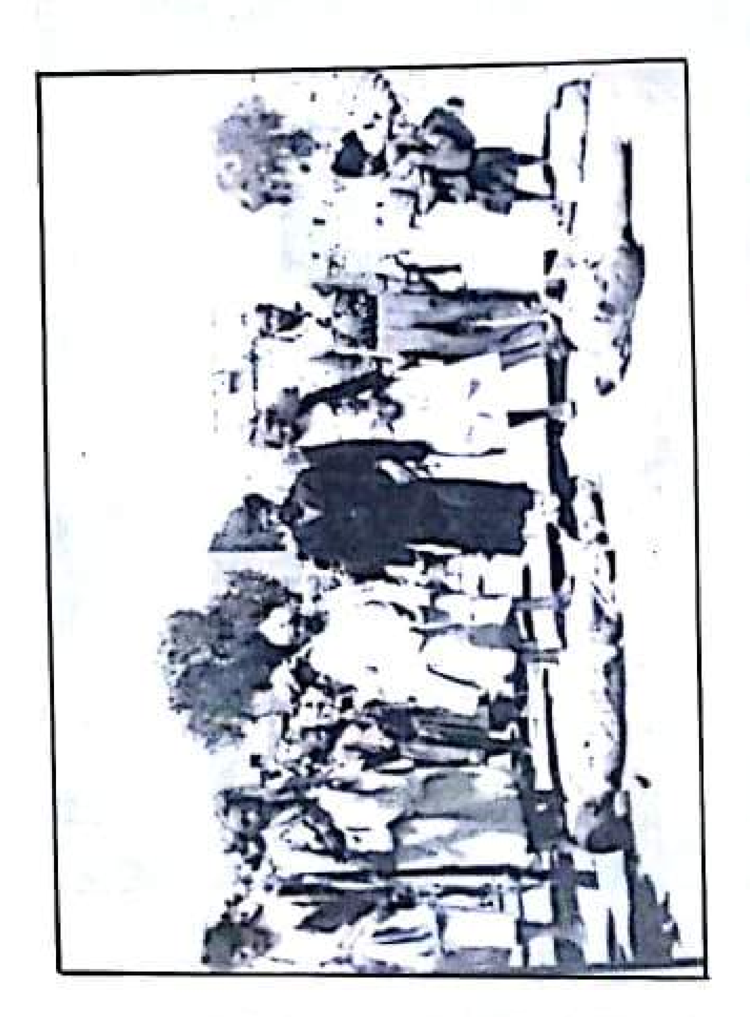
ياليت شعري والعباد تسعى

ونزل المدير والقاضي الشماحي للسلام على المحابيس وليسلم الشماحي على أخيه.





رؤوس خمسة من شهداء ٤٨م: زيد الموشكي وحسن الشايف ومحمد الوزير وعبدالله الوزير واحمد البراق



من شهداء عام ١٩٥٥م.



الشهيد حسن الشايف من شهداء
١٩٤٨م ورأسه مضرجة بالدماء..



الشيخ عبد الرحمن الغولي - من شهداء ١٩٥٥م - مضرجا بالدماء..



المقدم أحمد الثلايا قائد ثورة ١٩٥٥م في ساحة الإعدام..

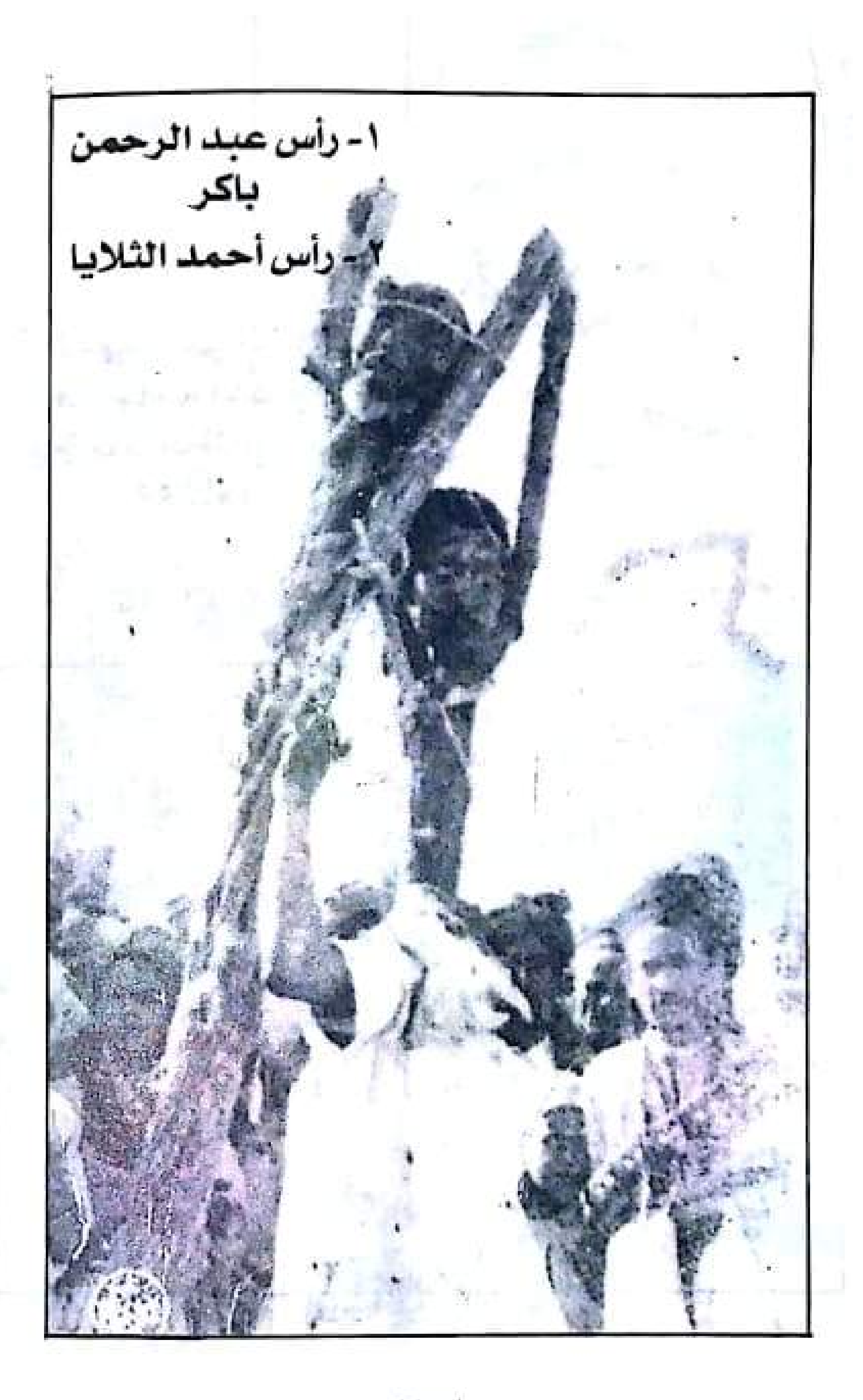


الشهيد الثلايا صريعا..



الشهيد علي المطري في ساحة الإعدام يخاطب الطاغية عام ١٩٥٥م.





١- رأس عبد الرحمن باكر
٢- رأس أحمد الثلايا



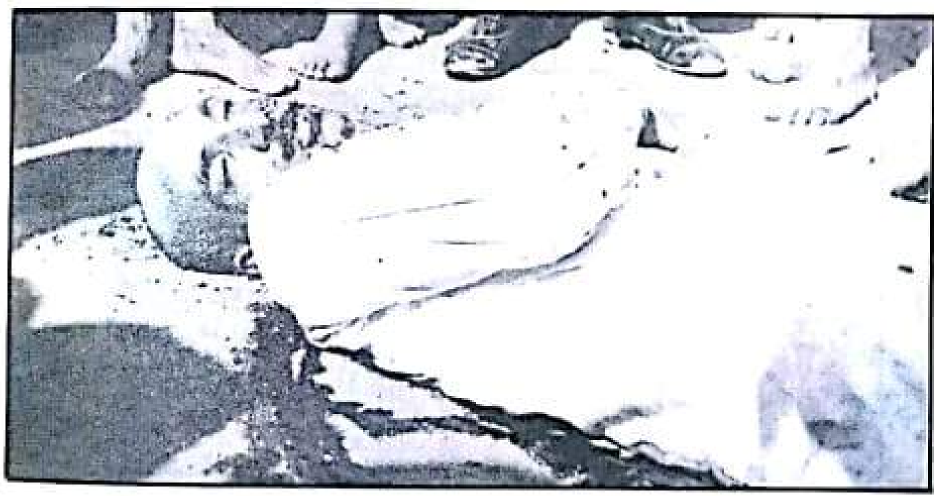
الشهيد محسن الصعر في ساحة الإعدام عام ١٩٥٥م..

الشهيد علي حمود السمة في ساحة الإعدام يحتي رأسه للسياف..





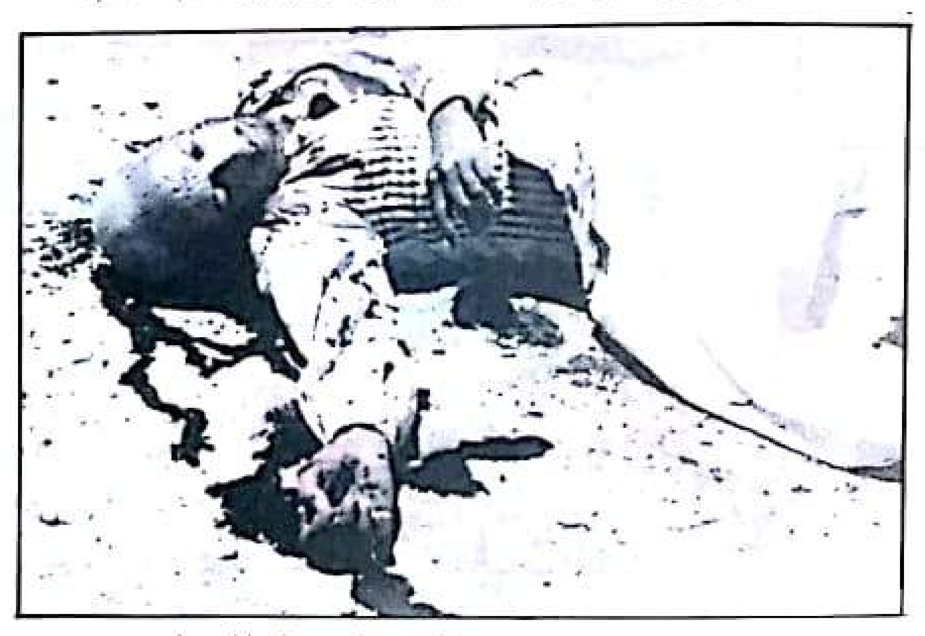
القاضي حمود السياغي وأحمد
الدفعي في ساحة الإعدام عام
١٩٥٥م



الشهيد محمد حسين عبد القادر في ساحة الإعدام عام ١٩٥٥م مضرجا بالدماء..



القاضي يحيى السياغي يقف ثابتا غير عابئ بالموت عام ١٩٥٥م.



الشهيد يحيى السياغي مضرجا بالدماء..





الشهيد حسين الجدري في ساحة الإعدام عام ١٩٥٥م يتوعد الطاغية أحمد بالتخاصم أمام ملك الملوك..



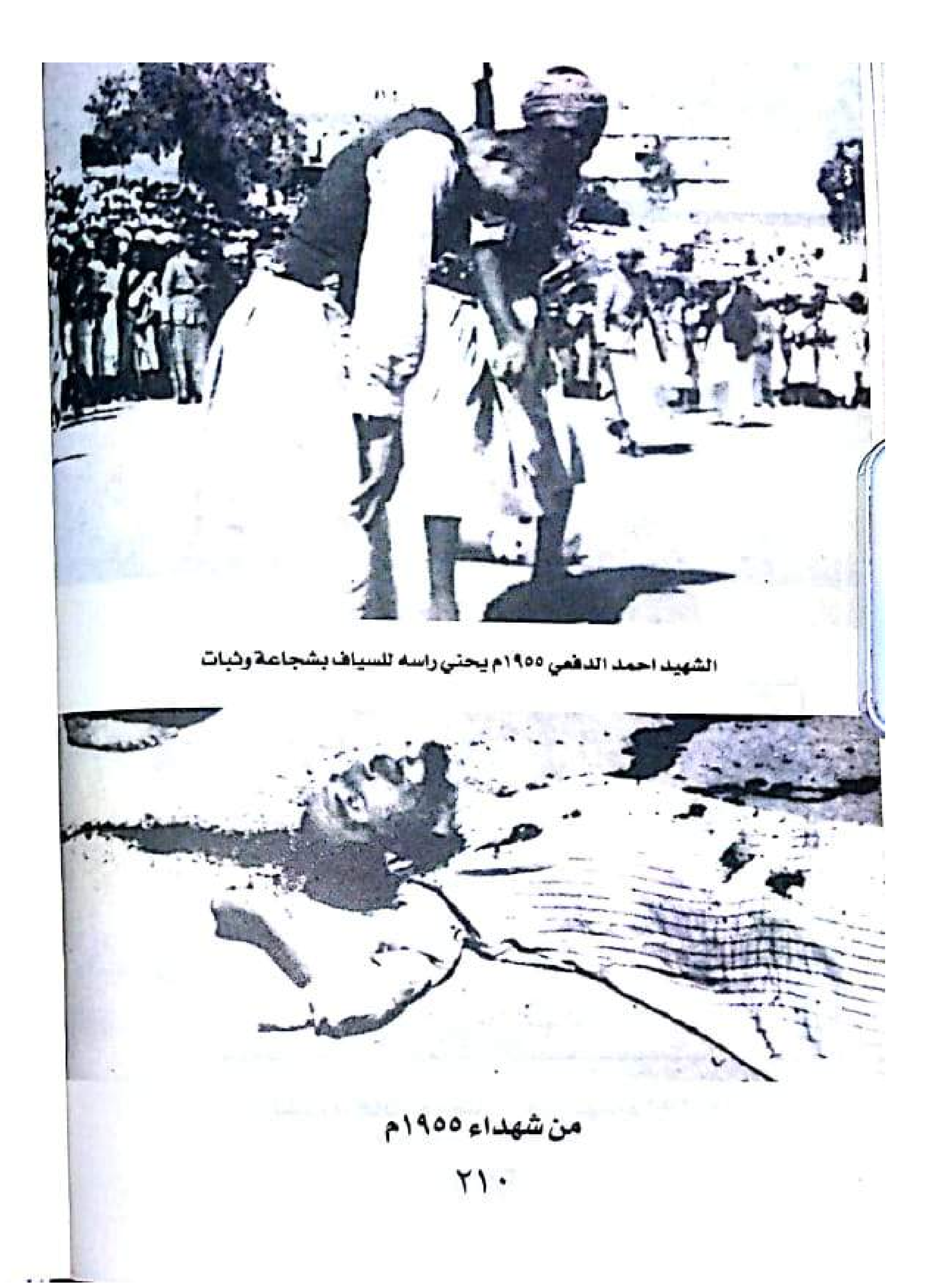
وهنا مضرج بالدماء..



من شهداء ١٩٥٥م



الشهيد قائد معصار.. من شهداء ١٩٥٥م



الشهيد احمد الدفعي ١٩٥٥م يحني راسه للسياف بشجاعة وثبات

من شهداء ١٩٥٥م

نصيب صنعاء وتعز في عمليات الإعدام

في شوال ١٣٦٧هـ جاءتنا الأخبار بإعدام أولاد الحسيني ومصلح هارون وسنهوب وريحان والعتمي في صنعاء وصل خبر إعدام مصلح هارون الى والده المسجون لدينا محسن هارون ولم يتغير لونه بل قابل المصيبة بالشكر، والشيخ محسن هارون رجل كبير السن وشهم ويمثل العروبة والصدق والوفاء والشجاعة، وصله خبر إعدام ولده وهو يدرس القرآن فلم يحدث له أي أثر.

ووصفوا لنا شجاعة محمد قائد الحسيني وثباته لدى تنفيذ الإعدام فيه، كما وصفوا لنا كذلك شجاعة غيره من الشهداء الأبطال، وكذلك أعدم الباشا سري شايع في تعز بعد ا ن أمنه الإمام، والغدر ونكث الأيمان والعهود وعدم الوفاء شنشنة في الملوك على مر التاريخ.

مكثنا هذين الشهرين ونحن في ألطاف الله ومتيقنون بالموت ولا يخفف عنا العذاب غير الشائعات التي جعلتنا ننتظر الانفجار وانهيار الوضع، وهكذا تارة بتارة، وأقبل عيد الأضحى، وقبل العيد وصلنا ثلاثة محابيس وهم علي تلهى وعلي الغفري وعلي أحمد الآنسي.

وانقضى عام ١٣٦٧هـ وفي أول العام ١٣٦٨هـ وصل محابيس جدد وهم الشيخ أحمد ناصر القردعي وابن عمه علي طالب القردعي الذي مات في سجن نافع، وصل هذان الشخصان من سجن تعز، كما وصل السيد محمد بن حسين عبدالقادر من سجن صنعاء، وفي شهر صفر ١٣٦٨هـ دخل السجان يدعوني ويدعو

السيد أحمد الشامي فظننا ان الداعي للإعدام فاستعددنا لذلك واشتدت الأعصاب، فلما وصلنا الى باب الحبس الخارجي نظرنا الى الناس وهم محيطون بالحبس ومنهم في الجبل القريب منه جاءوا للفرجة كعادتهم فصاح فيهم العجة: «مابش لحم» يقصد انه ليس كما يؤملون: إعدام، وفي العادة ان الذي يحكم عليه بالإعدام ما ان يصل الى عند (حجرة المفك) حتى تربط يداه الى ظهرة ثم يفكون قيوده. أما أنا وأحمد الشامي فلم يفكوا قيودنا، بل خرجنا مع المدير وأربعة من السجانين نحو دار سعدان، خرجنا من باب الحبس والناس مئات من الرجال والنساء، وعندما وصلنا سعدان كان النائب عبدالملك المسوري (المتوكل) في المكان الخارجي فأمر بخروج من كان فيه حتى المدير الحاشدي وسلمنا عليه، وكان الرئيس جمال جميل قد خرج من عنده، فقال النائب موجها خطابه الينا: ياأولادي هذا أمر وصل من الإمام وفيه الأمان وأقسم لكم إذا قلتم الصدق فإنه سيطلقكم، وهذا العراقي قد باح بكل شيء ولم يكتم شيئا. الإمام يعرف من ساهم بمال ومن هم المتآمرون في قتل الإمام الشهيد، وقد عرفنا كل شيء من العراقي، فما عليكم إلا ان تقولوا الصدق ولكم العهد والأمان من الإمام، وقد كان السيد أحمد الشامي يريد ان يتكلم فقاطعته وقلت: يامولاي نقسم لكم ان لانقول إلا الصدق، ولكن في هذه الساعة قد ذهلت حواسنا لأن السجان دعانا فظننا انه الإعدام فامهلونا حتى تستقر الخواطر وتسكن الروعة ونحرر لكم ما نعرف فقال: صواب.

ثم رجعنا الى الحبس وقلت للشامي: ماذا كنت ستقول؟ قال:

محمد حسين عبدالقادر

سأراوغ كيفما كان الأمر وليس عندي جملة وافية عن المساهمة، فقلت: تعال نكتب للنائب، فكتب الجواب: مولانا حفظكم الله، الحقير بياع مشتري تاجر منذ سنين وفي أيام الإمام الشهيد عند ان أراد الإمام توزيع صدقة على الفقراء من أهالي صنعاء وأمر بأن يعين أربعة أشخاص لتوزيع الصدقة في أرباع صنعاء لكل ربع موزع وكاتب، فاختاروني لتوزيع الصدقة في الربع الجنوبي من صنعاء وكان بجانبي أحمد عبدالله الحضرمي فقمت بالواجب. وفي أيام الوزير عين أربعة للتوزيع واختاروني أحد الأربعة، فوزعت كالعادة، وهذا هو الواقع، أما غير ذلك فلا علم لي بشيء، والشامي أفاد بأنه ليس له علم بغير هذا. فلما وصل الجواب الى الإمام عاتب نائبه وقال له: ضحكوا عليك؟

وبعدها جاء إطلاق عبدالله عبده دحان مع جماعة من الذين طلعوا باسم جنود مع الأستاذ أحمد محمد نعمان، تفاءل المحابيس بعد الإطلاق، وبقينا على هذه الحال نذوق مرارة الحبس وقد أمنّا من الإعدام، ولكن الأخشاب والمشانق مازالت منصوبة.

محنة جديدة

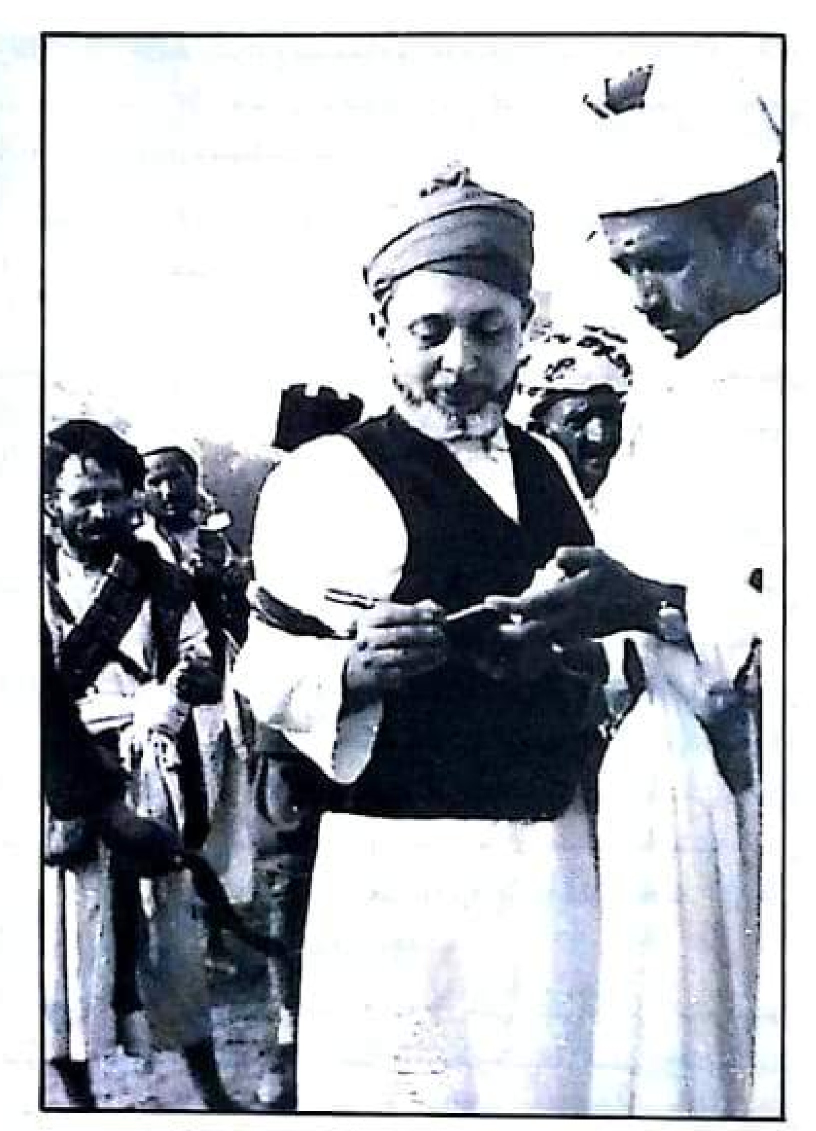
في شوال وصل الولد محمد ورفيقه علي الصديق بمصاريف علي محمد السنيدار، وعلي الصديق هذا كان كاتبا لدى الحاج علي محمد السنيدار وهو شاب تقي ووفي، وقد أظهر من الوفاء في أيام الشدة ما يعجز عنه كثيرون، وقد وصفت علي هاجر بالوفاء حتى ضرب به المساجين المثل في الوفاء، ومثله علي الصديق لولا ان المنية عاجلته رحمه الله. وقد نقل الي الولد محمد خبراً نزل علي كالصاعقة، فقد سألته عن العائلة فهاجمني بقوله: احمد الله فقد توفيت أم ولدكم حمدي رحمها الله، وهي المحنة الثانية، والأولى

وفاة أخي عبدالله، والثانية وفاة زوجتي وخاصة انها امتحنت في المستشفى وماتت على ولادة، وقد توفيت في رمضان في بيت هاجر لأن بيتنا قد تهدم وأصبح لا يصلح للسكنى، وفي فقر يسابق الريح.

سابع ربيع الآخر ١٣٦٨ هـ

مضى عام على مقتل الإمام الى يوم سابع ربيع الآخر، وفي عصر ذلك اليوم سمعنا جلبة في حجة وفوجئنا بالعساكر في سطح حبس نافع ويقولون ان الإمام سيصل، وآخرون: هذا الإمام قد جاء وسيدخل من باب اليمن. ويذكروننا بسابع ربيع الأول ٦٧هـ ، وإذا بباب الحبس يغلق والموسيقى تعزف والجيش يخرج، وكان الحاج عزيز يعني يسرد درسه من القرآن الذي يقرأه لدي، وإذا بالسجان يستدعيه، فصاح الحاج عزيز: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ الى آخر الآية، وكانت هذه الآية هي درسه لذلك اليوم، فخرج وإذا بالسجان يستدعي الشيخ محسن هارون أيضا وكنت عنده في نفس الغرفة، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، خاطركم، توكلت على الله. فلما وصل الى المفك فكوا قيده وقيد الحاج عزيز بعد ان ربطوا أيديهما، فقال الشيخ محسن هارون مخاطبا العسكر والسجانين: خاطركم ياأولادي، البلاء عليكم لما ستلاقونه من هذه الدولة، أما نحن فقد ذهب عمرنا والموت لابد منه قريبا أو بعيدا.

وبعد ساعة رجع الحاشدي وثيابه ملطخة بالدم لأنه كان الذي يمسك بالحبل عند ضرب الجلاد لرأسي الشهيدين، وقد ظهر علينا بلطخات الدم بصورة فيها عجرفة على المساجين فكان مصيره القتل، ومن هذا يعرف المؤمن ان الله سبحانه وتعالى قاهر فوق عباده لا يضيع الحقوق ولا يظلم ربك أحدا، وكان القصاص منه على أيدي المحابيس الذين كانوا تحت سيطرته، جل الله في ملكه.



الرئيس جمال جميل يوقع على وصيته قبيل اعدامه

إعدام الرئيس جمال

وفي شهر ربيع الآخر وصل علي الفقيه مأمور الضبط في صنعاء بمغلقة مخصوصة بالرئيس جمال جميل ونقله الى صنعاء،

وحبس في حبس الرادع بصنعاء وأعدم في شهر رمضان في قاع شرارة المسمى الآن ميدان التحرير، وكما قلت ان مثل هذا الشخص العظيم لن يهمل وسيكتب عنه أكثر من كاتب.

بعد السابع من ربيع الثاني ٦٨هـ يصب السجانون علينا أراجيفهم زاعمين بأن الإمام سيقتل جميع الأحرار، وان بعض العلماء يحرضونه على ذلك منهم يحيى عباس، ولم يدافع عن المسجونين ويراجع لهم مراجعة جدية إلا السيد قاسم بن حسين العزي رحمه الله بصراحة وإيمان ولم يفرق في مراجعته بين صديق أو عدو ولا شافعي أو زيدي بخلاف غيره.

استمرت الحال على ذلك الى آخر ربيع الثاني، وفي يوم الاثنين سلخ ربيع الثاني كان القيد قد آلمني جدا لأن الفتحات التي في حلقتيه كانت ضيقة فما يقدر على فكها حين تتوقف عن الحركة وتضيق على رجلي إلا ابراهيم الحضراني، ونسيت أن أذكر انه قبل ربيع أول وصل من زبيد أربعة محابيس سياسيون هم أولاد الجمالي، وقد توفي الأخ الصغير إذ أصابه روع حين دعي الحاج عزيز يعني والحاج محسن هارون للإعدام، وأصيب بما يشبه السل حتى توفاه الله، والثالث علي سعد، والرابع القاضي محمد الإرياني الذي توفي في سجن القاهرة بحجة.

ومن شدة ما آلمني القيد وجرح رجلي حتى جعل الدم يسيل منهما، فلما دخل المدير صرخت وأريته رجلي فرحمني وأمر ناصر علي بفك حلقة، فكان ذلك عندي يوم سرور اذ قدرت على المشي والوضوء وقضيت أيام الاثنين والثلاثاء والاربعاء حتى بعد العصر فاستدعاني المدير وقال: كيف رجلك ياعزي؟ فقلت: سيلطف الله، فضحك.



ليلة عيد النصر ١٣٦٨ هـ

صلينا المغرب وإذا بالداعي يدعو :

١ - احمد محبوب
٢ - عبد السلام صبرة
٣ - حسن العمري
٤ - عبد الله السلال
٥ - السيد محمد المطاع
٦ - السيد أحمد الشامي
٧ - عبد الله الشماحي
٨ - العزي صالح السنيدار
٩ - السيد أحمد المروني
١٠ - السيد محمدعبد القادر
١١ - غالب الشرعي
١٢ - علي محمد السنيدار
١٣ - السيد عبد القادر أبو طالب
١٤ - محمد عكارس
١٥ - غالب سري
١٦ - الحاج حزام المسوري



احمد محبوب



عبدالله



حسن العمري

هؤلاء وصل الأمر من الإمام بالتشديد عليهم وإضافة قيود ومراود الى ما يحملونه وعدم اختلاطهم بالآخرين، ولما كان حبس نافع ضيقا فقد جعلوا محمد المطاع وعبدالسلام صبرة في نوبة مظلمة، واخرجوا البعض أياما الى أماكن أخرى، ومن هؤلاء الستة عشر أربعة جاء الأمر بالتشديد عليهم أكثر من غيرهم ويجلدون ثلاثين جلدة لكل منهم يوميا، وهم:

١ - أحمد المروني

٢ - أحمد الشامي

٣ - العزي صالح السنيدار

٤ - محمد عكارس

كما صدر الأمر بمصادرة أملاك بعض هؤلاء وأراضيهم وهدم بيوتهم وهم الصفي محبوب وحسن العمري ومحمد عكارس وتثقيل القيود وياليتها قيود بل أسكاك ومراود.

أما انا فكنت أرى الموت في السك، وكنت بحالة يرثى لها فزادني ناصر علي قيدا إضافة الى القيد الذي أحمله، وقد توسلت اليه بألا يحملني سكا وأعطيته ريالين، فجعلها قيدا بدلا عن السك.

وفي صباح الخميس وهو يوم العيد المسمى (عيد النصر) جاء كاشف من لدى النائب ليكشف على القيود والأسكاك والمراود، فلما خرجت اليه قال: لابد من سك فوق القيدين فترجيته وبعد جهد جهيد ورشوة عدل الى قيد ثالث.

حكام جدد

بعد ظهر ذلك اليوم المشؤوم وصل الى مدير السجن الحكام الجدد وهم:

١ - السيد عبد الله عبدالكريم

٢ - السيد أحمد جحاف

٣ - النقيب زامل

بالاضافة الى الحاشدي وقد استدعوا الستة عشر شخصا، كل واحد بمفرده وجعلوا يبحثون مع كل فرد ويستنطقونه، والأسئلة كلها متشابهة، وعندما جاء دوري كان أول سؤال: من هم قتلة الإمام؟ فأجبت: لا أعرف من هم إلا عندما أعدم من أعدم وقالوا انهم قتلة الإمام. سؤال آخر: من ساهم في الفلو س التي وزعت بالعرضي قبل القتل؟ أجبت: تسألونني أنا؟ ومن أكون؟ إنني بياع

مشتري لا يعرف عن هذه الأمور شيئا. قالوا: الإمام يقول: ان الحقائق عندك. قلت: لا أعرف شيئا. قالوا: زملاؤك قد باحوا بالحقيقة وأنت مستمر في إنكارك وعليك براهين. فقلت: ابرزوها واجروا اللازم، ولكل ذنب عقوبة. فقالوا: قم. قلت: الرجاء ارجاعي الى محلي لأني مريض. قالوا: لابأس. فقمت وخرجت من الباب واذا السجان يقول: انزل مازال هناك أمر آخر. فنزلت وإذا بناصر علي وفي يده السوط، فقال: اصعد السطح مثل زملائك. فقلت: انت ترى حالتي لا أقدر على صعود السلم. فقال: اخلع ثيابك وتمدد، وفرش لي شملة وخلعوا ثيابي، ونفذ الأمر ثلاثين جلدة ولم ينته من الجلد إلا وقد تورم ظهري وقد اخذت العصا مثلها من جلدي. وانزلني محمد الزهيري وحمود الشوخي. كما جلد المروني والشامي وعكارس، وفي الحال قام السيد محمد الغفاري وحسين الرماح بدهن ظهري وأنا في شر حالة، وكم تمنيت الموت، واستمر الضرب خمسة أيام، وكان الإخوان يتوجعون لنا ويرحموننا وليت الرابطة الأخوية التي كانت بيننا في السجن ليتها استمرت، وكنت عندما أنظر الى تأثرهم من حالنا اتذكر قول الشاعر:

بكى صاحبي من رحمتي فرحمته وكم من مسعد مثلي معيني

وأعظم الإخوان تأثرا بحالنا محمد الربيع ومحمد صبرة وناشر عبدالرحمن والغفاري، والكل كانوا متوجعين لحالنا لكن هؤلاء الأربعة أكثر من غيرهم.

ولله در القائل:

قد خبرت الرجال ياشرق فاجعل بعد يس على النساء اتكالك

جرى بنا هذا في الخمسة الأيام والرجال يتفرجون على ضرب الأربعة الأشخاص بالسياط، والمضروبون يستغيثون. وقد سمع

الحكام والرجال كلمتي التي قلتها ودارت على الألسن، عندما صرخت وأطل أحد الحكام من النافذة، وقال: مالك؟ قلت: قولوا للإمام لايزيد العذاب (يحلني قبلما أحرم عليه مثل البقرة)❖ النساء اللائي شاهدن منظري وأنا أجلد وبعد الجلد يرين حمود الشوخي ومحمد الزهيري وهما يحملانني في بطانية وقبل الضرب وحين أحمل على هذه البطانية وأنا مريض ويصلون بي الى العشة (مكان السجانين) فيطرحونني أرضا، ويأخذ ناصر علي العصا وينفذ الأمر ثلاثين جلدة، وقد سمعت النساء صراخ المروني والشامي وعكارس الذين كانوا يجلدون في السطح بحيث ترى النساء المنظر، مما جعلهن يتوجهن الى زوجة الحاشدي وزوجة ناصر علي واستصرخنهن وخوفنهن بقولهن: إنتن معولات❖❖ إرحمن أولادكن والزمان قلب لا يرحم أحدا، والله لتكونن نهايتكم شر نهاية، ماوجد الإمام من يضرب، وما وجدكم إلا أنتم لهذه المهمة. فاتقين الله.. وكلام يطول شرحه، فأما زوجة الحاشدي فضيقت عليه، فما مضت ست أيام إلا وقد لان، وأما زوجة ناصر علي فأغلقت بيته وجاءت إليه لتناوله المفاتيح، وجعلت تسبه وتلعنه، وفي اليوم السادس جاء الحاشدي وهو يصيح: ياناصر علي يايهودي اسمعني أصواتهم، قال هذا بملء فمه بينما غمز له بعينيه وأشار له أن خفف وأنا أنظر إليه، ومر الضرب بثلاثة أطوار: الطور الأول: ضرب شديد، والطور الثاني: مخفف، والطور الثالث: لا شيء إذ كان يدخل ناصر علي والعصا بيده، ويكون الشخص منا مغطى بالعباءة الجلدية فيضرب من خلفها بل يعد ولا يسمع للعصى أي صوت، وقد دام قدر سبعة عشر يوما، وقد صادف في يوم جمعة أن ناصر علي نسي أن يؤدي الواجب فظننا أنه وصل آمر

❖ يعني : يذبحني قبل أن أموت..

❖❖ لهن أبناء وبنات تعولونهن.

بالكف، ولكن اتضح فيما بعد أنه نسي فقط.

وقد جعلني الضرب أكتب برقيات للإمام وأكرر ذلك، وكانت أول برقية قلت فيها: مولاي أمير المؤمنين أيدكم الله، ماأدري ماسبب العذاب والضرب وأنا تاجر أناشدكم الله.

وجاء الجواب:

من الإمام إلى محمد السنيدار، سببه أنكم تعرفون الحقيقة والمؤامرة فهاتوا لنا الحقيقة.

وبرقية أخرى

مولانا الإمام .....

ليس عندي إلا ماسبق مرارا وأنا لا أعرف غيرها، اتقوا الله، وإذا صح عندي شيء فاجروا اللازم، ولكل ذنب عقوبة.

الجواب:

من الإمام إلى محمد السنيدار: أنتم تعرفون كل شيء وأعمالكم معروفة لدينا وأوراقكم بأيدينا وهي إليكم وستعرفون.

وهنا أمنت لأني أعرف أنه لا يوجد مني أي ورقة ، فعقبت عليه بقولي:

مولانا ....

قلتم أوراقي بيدكم فاخزوني بها أمام الله وخلقه، واجروا الحد، زيدت العذاب يارجال، مابلا افسخ لها كذبة (**هذا تعبير صنعاني يقوله الإنسان عندما يلاحظ أن شخصا قد أفرط في شيء وهو تعبير يحمل معنى الإنكار والتهكم**) أنت القائم بأمر الشريعة.

الجواب:

من الإمام إلى النائب: كفوا الضرب عن الأربعة وامنعوهم من الاختلاط وعينوا جنودا ليراقبوا المشدد عليهم.

وصل الي أحمد الشامي وقال: كان الله في عونك فقد كانت برقيتك مغلقة، ورفعت عنا العذاب، وكان يكرر لي هذه الجملة: يجب أن نصبر فنحن نعمل للأجيال وإذا خرجت فلن يفلت الإمام من يدي ولو تعاضضنا بالأسنان، ورحم الله عبدالرحمن الآنسي حيث يقول:

لا عجب من تغير طباع أصحابنا	فالتغـــير مـــلازم للانســـــان
وإذا الأصل مختل من أصل البنا	كيف يثبت على الأصل بنيان

وفي صنعاء بلغنا إنه كان ضرب أشخاص، مثل: حسين عنبة وغيره، وشددوا على عبدالله حسن السنيدار وغيره.

نعم لقد كانت السنة الأولى سنة نصر ودعاية قوية، وبعد عيد النصر في سنة٦٨هـ بدأ الناس يتكلمون ضد الإمام لأنه لم يترك من الشدة شيئا إلا استعمله، وخاصة عندما أجاب عليّ أن أوراقكم بأيدينا وسنرسلها، فانتظر النائب والمدير وغيرهم فلم يتم شيء وبعد أن كان المدير يهددنا بوصول الأوراق، بدأ الناس يتساءلون: ماسبب الضرب والشدة وليس عليهم أوراق أو وثائق، وبدأ المدير والنائب يرخون قبضتهم بعد أن كانا يدخلان إلى الحبس عساكر يراقبوننا ويمنعوننا من الاختلاط، وحتى من الكلام فيما بيننا، فمل المدير ومل العسكر وبقي الحديد إلى شوال سنة ٦٨هـ وبدأ الحاشدي يأمر بفك قيد.

في اليوم الذي رفع الجلد عنا وصل ولدي وعلي الصديق وترخصا من النائب لزيارتنا فرخص لهما وسمح بوقت ماكان

ليسمح به في السابق فدخلا وقيلنا بالعشة ومما زاد في الدعاية ضد الإمام أن حبس نافع لم يكن مخصصا للدستوريين، بل كان يحبس فيه غيرهم من حجة ومن القبائل المجاورة ومن تهامة وعمران وكحلان وغيرها حتى من العسكرية، فكان المحبوس من هؤلاء وقد تغيرت نظرته إلينا ينظر صلاة المحابيس ودعاءهم وتلاوتهم للقرآن ومذاكراتهم، وكنا لا نضيع الفرصة، بل نوعيهم ونعرفهم بالحقيقة، فيخرج المحبوس منهم ليخبر عما رآه وشاهده في الحبس حتى كان أهل حجة ينتظرون الوقت الذي يقرأ فيه الصفي محبوب القرآن، وقد نفعنا هذا كثيرا.. حتى أن من حبس عندنا يخرج يراجع الحاشدي للتخفيف علينا، استمر الحبس وبقيت أنا وحسن العمري في حدرة (**افراد يجتمعون للأكل بعد ان يدفع كل واحد منهم نصيبه من ثمنه**) وقد انتقل إلى مكان الحاج محمد هاشم وانتقلت معه إليها، وقد هدأت الخواطر فلم نعد ننتظر الإعدام وكنا نفك قيودنا بإيدينا ويتغاضى المدير وناصر علي عن ذلك وتخففت الأثقال حتى لم يبق إلا قيد واحد ودخلت سنة ٦٩هـ وفيها نقل الشيخ علي محسن باشا والمروني وعبد الحميد باشا والقاضي إسماعيل الأكوع، نقل هؤلاء إلى الحبس الأسفل عندنا وفيها وصل الأمر من الإمام بنقل العلماء من نافع إلى القاهرة، وكان المحبوسون في القاهرة يمتازون عن غيرهم بأن لهم صرف إدام وولعة (القات والتنباك) أما في نافع فالصرف ربع ريال والضرية الطعام إلا في رمضان فكان يضاف إلى الربع ريال ثمن ريال.

من سيحكم لابن الدستوري ؟

بقي المساجين في حبس نافع الأعلى والأسفل لا يعرف من في الأعلى من في الأسفل والعكس. وخلال هذه المدة زفت إلي محنة عظيمة هي أن ولدي حمدي دهسته سيارة فكسرت رجله وعلمت أنه في المستشفى وقطعت من أسفلها وكانت غرامة العلاج ثلاثمائة ريال، وقد حكم على الجاني بالصلح ليسلم مائة ريال فقط، ومن ذا سيحكم لابن الدستوري؟

وقد كان عملي في هذه الأيام هو تعليم القرآن حيث كنت في الأيام الماضية أسمع للحاج عزيز يقرأ القرآن والدحان والسيد أحمد المروني عندما شرع في حفظ القرآن غيبا وكذلك غيرهم من المحابيس، كما أني كنت أتدارس أنا والشيخ علي الرماح، كما كان أحد المحابيس من رفقاء الأستاذ أحمد نعمان يعلم ابن ناصر علي وأحمد الوصابي الرهينة الذي كان يجلس عند محمد اليازلي وكيل المديركان يعلم هؤلاء القرآن فلما أطلق قمت بتعليمهم كما علمت درهم أبو لحوم ورهائن آخرين.

وفي نهاية سنة ٦٩هـ في شهر شوال بالتحديد هطلت أمطار غزيرة فاشتكى المحابيس بأن الحبس مشرف على الخراب وأن الخطر محدق بهم حتى كتبت ذلك في ألواح التلاميذ وقلت: انقذونا من الحبس سينهدم علينا ولما سمع النائب الصراخ والاستغاثة رفع الأمر إلى الإمام فجاء الجواب من الإمام إلى النائب بأن يكشف على الحبس، فوصل النائب ومعه الاستاذ أحمد نعمان الذي أطلق من الحبس ليظل محبوسا في مدينة حجة مع رفاقه ومنهم الشيخ جازم الحروي والشيخ علي نعمان ونعمان محمد ولم يبق إلا أهالي صنعاء وغيرهم من اليمن الأعلى والشيخ علي محسن

وبنو عمه أما أهالي الحجرية وتعز فقد ظل الشيخ محمد بن سالم البيحاني يكرر مراجعته لهم وبقي من أهالي أب محمد أحمد صبرة ومن تعز الاستاذ قاسم غالب. وقد حقق البناؤون أن حبس نافع في خطر وقد اختلط أهل الحبس الأعلى والأسفل وتعارفوا بعد أن كانوا لا يعرف بعضهم بعضا وتعرفت على حمود السمة وقاسم غالب وعبد الله هاشم صاحب ماوية وغيرهم وكان الأمر بنقل المحابيس من نافع الى المنصورة، ولكن اختيار المقحفي الذي إليه أمر النقل كان تحت مؤامرة وفي أثناء الخراب وصل من حبس صنعاء الى حبس نافع محمد عبدالواسع الواسعي وقد حبس مع إخوانه وهم محمد الذرحاني والقاضي على العنسي والولد محمد العزي صالح السنيدار بدعوى أنهم كانوا يريدون بيع اليمن للانجليز لولا ألطاف الله لم يتفقوا على الثمن وبهذه الدعوى حبسوا سنة ونصف، وهذا بعض ماجرى لي وأولادي من المحن والمصائب.

انتقل أكثر المحابيس إلى القاهرة والمنصورة حسب اختيار الحاشدي والمقحفي ولم يأذن المقحفي للشيخ أحمد القردعي والسيد أحمد محمد المطاع، أما السيد محمد علي المطاع وقاسم غالب والأستاذ محمد الزهيري فباختيارهم وكذا لم يأذن الحاشدي بنقل العسكريين مثل أحمد الجلال ومرشد المرولة ولطف السعيدي وحمود الشوخي، أما أنا فقد كنت راغبا في الانتقال وكذلك الحاج محمد عكارس ولكن الشيخ علي محسن باشا اقترح على الحاشدي بأن يبقينا عنده في نافع وكذا محمد حسن الفسيل وذلك لأسباب منها: أنه كان بحاجة إلى محمد عكارس لينتفع بآرائه ولولعه بالفسيل لما يتمتع به من مرح، إما العزي صالح فلكي يعلم ولد عمه الرهينة بدلا عن والده عبدالواحد

باشا وكذلك انتقل محمد عبدالواسع الواسعي إلى المنصورة.

خفف علينا الحبس لكن حصل الضيق والملل لطول المدة وقد بقي السيد محمد المطاع في مكانه المخصص وكذا قاسم غالب أما الشيخ أحمد القردعي فقد أمر الحاشدي بأن يبقى في مكان متوسط بين بابين خوفا منه أما أنا والحاج محمد عكارس والزهيري فنقلنا إلى مكان خاص والفسيل في مكان المقاطيع وكذلك لطف السعيدي ومرشد المرولة في مكان في الحبس الأعلى.

حولت الحبس إلى مدرسة !

لقد اشتغلت بالتعليم المجاني لرهائن الشوف ونهم **(الشوف من آل الشايف مشايخ ذو حسين من بكيل ونهم قبيلة من بكيل)** وغيرهم وصادف أن حبس أهل القلم بحجة من موظفي المحابشة ومن جملة المحبوسين السيد أحمد جحاف، فلما رأوا ثمار التعليم أحضروا أولادهم ، وهنا بدأت أخذ أجرة على التعليم، فأقبل الناس على التعليم وأرسلوا أولادهم ليتعلموا لدي حتى النائب نفسه ومحمد توفيق وابن أخي صالح محسن والذي جعلهم يقبلون على التعليم أن أولاد ناصر علي السجان ختموا القرآن بتجويد وإتقان وشرعوا في قراءة النحو والقراءة والحساب والمحفوظات والخط وكان يخرج من هؤلاء المتعلمين إلى جامع حورة، وإلى المدرسة فإذا تلاميذ السجن أجود منهم وأقدر وقد بلغ عدد التلاميذ أكثر من ثلاثين، وكنت أقبل الأجرة من أولاد الأمراء والميسورين وأرفض أخذ شيء من أولاد المساكين، وإذا كان العمل خالصا لوجه الله فلا بد أن يتميز فإني بحمد الله نجحت نجاحا كبيرا وقد قال لي نائب

حجة بعد إطلاقي حينما التقيت به: والله لولا خوف الله لعرقلت إطلاقك من أجل الأولاد.

استمر الحبس وطال فكتب لي إبني محمد أنه سيتوجه إلى تعز للمراجعة هو وأخوه حمدي وكان عمره آنذاك ثمان سنوات، كما أوضح لي ما يعانيه بعد خروجه من حبس الرادع في صنعاء بعد حبس سنة ونصف وكان يلعن الإنجليز الذين لم يوافقوا على شراء البلاد كما زعم سيف الإسلام الحسن وعبدالله الشامي مدير الأمن، وقد طلب مني أبياتا من الشعر يستعطف بها الإمام فطلبت ذلك من السيد محمد على المطاع وهو الشاعر الذي يعترف له كل أديب وعالم فقال إلى البريد القادم وانجزها ولكنه لم يصبر فبعد أربع ساعات أنشد قصيدة كان مطلعها:



إليك أمير المؤمنين انتهى السفر
وسالت به من شجوننا الأدمع الحمر
وسالت بنا الآمال نحوك حينما
تنصل عنا العم والأخ والصهر
مشينا عليها فدفدا بعد فدفد
وغورا فغورا فانتهى البون فالقعر
فها نحن يارب السرير كما ترى
أنخنا بسوح فيه ينشرح الصدر
أبا البدر سمعا من صغير فرندقا
مغلغلة يرثي لحالتها الصخر

أتت في ثياب البؤس والشقا

إليك لتشكو أنها مسها الضر

وجئت أما شيها برجل تعطلت

عليَّ وجبت حين أودى بها الكسرُ

ورفع رجله إلى وجه الإمام فصاح الناس: أعد وبكى بعض الحاضرين

فإن تعف مناً عن أبينا فإنه

بحجة في أسر أضر به الأسر

فذا مدمعي جار من الهم والأسى

أب في الشقى والأم قد ضمها القبرُ

وهنا صاح الناس: أعد.. اعد..

ومنها:

وأمواله يا صاحب التاج أصبحت

كأن لم تكن منها لنا نزر

وأرحامه أضحت بصنعا وما لها

مكان يواريها وليس لها وكر

ومنها:

فعطفا أمير المؤمنين ورحمة

بنا وبأرحام مدامعها غزر

على أننا راضون مستسلمون لا

يكدرنا إن فاتنا القل والكثر

وإن أمير المؤمنين وفعله

لكا لدهر لا عار بما فعل الدهر

بقيت أبا البدر المنير على المدى

مليكا على الدنيا يصاحبك النصر

بعز وإقبال وملك مخلد

وعز مكين فيه يعضدك البدر

وصلى إله العالمين مسلما

على أحمد والآل ما طلع الفجر

فلما أكمل القصيدة وقد بكى الحاضرون ومن جملة الباكين الإمام نفسه لأنه كما يصفونه عاطفي يعطف على شخص ويفيده ويعطف على شكوى آخر فيقتل غريمه. عاطفة مجنونة، وقد سأله: ابن من أنت؟

فقال: ابن السنيدار. قال: من من بيت السنيدار؟ قال: ابن العزي صالح. فقال: ابن الخبيث نريد نقطع رأسه. فقال: اقطعوا رأسي بدلا عن أبي، فلما رأى الناس قد تأثروا بما سمعوا مزق الأوراق وأمر بقيد من أوصل ابن السنيدار إليه وقطع مواجهة الناس والدورة ودخل البيت غاضبا، ثم أتبعه بقصيدة أخرى فلم يلن أبدا، بل استمر غضبه علي حتى بعد أن أطلقت ووصلت تعز مما اضطرني إلى الفرار إلى عدن.

استمررنا في الحبس البعض في نافع والبعض في القاهرة والبعض في المنصورة، وكان الإمام يتجاهل مدة ثم يطلق أشخاصا من المنصورة، ومن القاهرة، والمراجعة بالبرقيات من الجميع مستمرة، وقد توهم الإمام أن المحابيس قد أدمنوا على الحبس

وصاروا مرتاحين، ولا بد من تعكير هذه الراحة ببرقيات منه تعنتية: أين السلاح؟ أين الدراهم؟ أين كنت؟ أين؟ أين؟ لكل مسجون بما يناسب ذنبه عنده ولم يخطر على باله قول عبدالرحمن الآنسي:

ويظنوه مرتاحا وفي الجهل العمى ... كيف محبوس مشتاق يرتاح

بقي الأولاد في تعز، وقبل إطلاقنا بسنة سافر الولد حمدي إلى مصر وخلال تلك الأيام أصابني البرد في الرئة فتعلق بي مرض السل الرئوي وكان الأخ علي تلهى مريضا فأبرقت للإمام عدة برقيات فلم يجب أبدا وأخيرا كان الجواب إلى الحكيم (اغلب اليمنيين يطلقون على الطبيب كلمة حكيم) للمعالجة، وكان يوجد بحجة حكيم سوري مسلم ولكنه لا يعرف وكان مضمون الأمر أن يكشف علي في باب الحبس وفي الأخير رجع الجواب لعلي تلهى بدخول الحكيم إلى الحبس لمعالجته وقد أبدل الحكيم الأول بحكيم ماهر. فلما دخل ومعه أحمد بن محمد الخميسي الطبيب العارف ولا ننكر مقدرته في الطب لكنه ابن البلاد والحكومة اليمنية لا تقدر ولا تنظر إلى ابن البلاد. وكنت مريضا بعلة السل وقد صاحبها مرض جسدي وهو الكلى وعند دخول الحكيم الماهر المسيحي واسمه شيبان لمعاينة علي تلهى، دخل ناصر علي السجان وحملني إليه فلما جس نبضي أحمد الخميسي وأنا أشكو له وجع الكلى ولم أذق الطعام لمدة أربعة أيام وكان الصحي مهدي يعطيني مخدرا فقال الخميسي: الكلى سهلة، المرض في الرئة . وبعد معاينة الحكيم شيبان لعلي تلهى قال: المرض المخوف في السنيدار وهو مرض الرئة وكتب قائمة العلاج (استربتومايسين) ويود وخلاصة كبد وغيرها فقلت: ومن أين الثمن والله أن الموت أهون وأسهل علي من تحصيل ثمن العلاج، وكل ما كنت أملكه ثلاثة عشر

ريالا استنفدتها في برقيات للإمام وقد أرسل النائب للإمام برقية يقول فيها: الرجل مريض ويسترحم من الإمام في تحويل العلاج مجانا، وجاء الجواب: إلى الحكيم للمعالجة. وقد أكد علي شيبان بأنني إذا لم أستعمل العلاج فبعد أيام لن ينفع علاج وسيستفحل المرض فأخذت العلاج من محمد توفيق وكانت المخازن بيده وفي أول يوم استعملت العلاج أحسست بالنتيجة، واستمررت في استعمال الدواء وكنت أسلم أجرة البرقيات وأجرة المعالجة من الثلاثة عشر الريال. ولما يئس محمد توفيق من المراجعة طلب ثمن الدواء فإذا هو عشرون ريالا فأصبحت في حيرة وبعد ذلك تم الصلح بأن يقطع كل أسبوع ريالا من الصرف وقد كان آخر الأمر بلغ ربع ريال وثمنه وقد اقتصدت وبعد أن شفيت من المرض عدت إلى التدريس وفتح الله علي بأولاد الأمراء وكنت قد انتقلت إلى مكان السالمي عند المقاطيع❖ نعم حصلت ما يقرب من ستين ريالا لأن أولاد بنت النائب وغيره من الموظفين الكبار بحجة دخلوا للدراسة.

وفي تلك الفترة قررت فتح باب المراجعة والجوابات السابقة واللاحقة كلها مغالطات كقوله: الحكم لله العلي القدير أو قوله: حبسكم من الله أو قوله: أين سلاح بيت المال؟ مع أنه قد تقرر بأنه سلم إلى العمري وأفادت الشعبة من صنعاء أن أولادي قد سلموا السلاح كما أفادوا بأن حرمل الذي نهب بيتي قد سلم مانهبه ولكنها مغالطة، وفي جواب يقول: الحكم عليكم من ثلاثة حكام.

وبعد المرض وبعد أربع سنوات عليَّ في السجن عملت برقية قلت فيها:

❖ في السجن يسمون من لا اهل لهم ولا ياتيهم اكل من اسرهم مقاطيع.

مولانا أمير المؤمنين أيدكم الله، لي في الحبس مايقارب خمس سنوات وجلدت خمسمائة جلدة، ونهب مالي، تهدم بيتي، ماتت أم أولادي، وإخوتي. حجزوا أموالي الزراعية، أستمطر رحمتكم.

فكان الجواب:

من الإمام إلى محمد صالح السنيدار: ماسبب حبسكم؟ وكان هذا الجواب سببا في انتقاد الإمام ونسبوا إليه الكذب والدجل والمغالطة، وبعد سحبت برقيات من أجل المحابيس وأولادي لا زالوا يراجعون ببرقيات وبأوراق ترسل إلى الإمام و... جواب من الإمام قال فيه: من الإمام صدر الحكم على والدكم من ثلاثة حكام وسينفذ.

باقي لمولانا في ذمتي ٣٠ جلدة !

وهنا أشار علي بعض الإخوان بأن أوصي مع أننا نعرف أنه قد مضى وقت لم يعدم فيه أحد وأن أخشاب المشانق قد رفعت، ولكن الإمام مجنون ومن يأمن منه؟ وإن كانت القلوب إلى الطمأنينة أقرب. فأوصيت وأرسلت الوصية ونصها بعد الشهادتين:

أولا: إن أموالي التجارية نهبت يوم دخول القوم صنعاء يوم السبت ٣ جمادى الأولى سنة ١٣٦٧هـ

ثانيا: إن أملاكي من الأراضي الزراعية في شعوب والأهجر وبلاد البستان وصرف حجزها الإمام والبيت مهدم ولم يبق إلا شيء واحد وهو أن أمير المؤمنين أمر بجلدي ورفاقي الحاج محمد عكارس والسيد أحمد الشامي والسيد أحمد المروني ثلاثين جلدة يوميا لكل واحد منا وفي يوم جمعة نسي الجلاد تنفيذ الأمر فلم

يجلدنا فالباقي لمولانا أمير المؤمنين ثلاثون جلدة وإذا توفيت تقاضاها من الورثة، للأنثى مثل حظ الذكرين. فكان لها صدى كبير وهي وصية مضحكة وهكذا قضينا في الحبس إلى أن بلغت المدة سبع سنين وأربعة أشهر، واستمررت في التدريس ومن بين الذين درسوا عندي في هذه الفترة أحفاد النائب وولدا محمد توفيق وولد السيد أحمد جحاف وغيرهم من الموظفين ولما تيسرت حالتي بما كنت أحصل عليه من دراهم وقشر وكعك وسود وتتن (**يراد بالسود الفحم والقشر قشر البن ويستعمل قهوة في اليمن والتتن هو التنباك**) تأثر بعض إخواننا فأشاعوا بأن التلاميذ يدخلون البياض والأقلام ويخرجون رسائل من السجن وقدوصلت هذه الإشاعة إلى المدير الذي أوصلها بدوره إلى النائب، فمنع النائب دخول أي تلميذ للتعليم عند أستاذنا فتأثر التلاميذ وآباؤهم حتى أن التلاميذ كانوا يصلون إلى باب نافع وبعضهم يبكي، وأكثرهم تأثرا محمد توفيق لأن ولديه كانا وسيمين وكان يخاف عليهما، وقد لمس أن التعليم بنافع قد نفعهما، فأبرق للإمام مقدما استقالته، وكان الإمام بصنعاء عندما وصل الملك سعود إلى اليمن، فأجاب عليه الإمام: ماسبب الاستقالة؟ فأجاب من أجل أولادي



وهما محمد وعلي لأنني اطمأننت عليهم بالتعليم لدى أستاذ نافع، ولا أطمئن عليهما عند غيره، فأجاب الإمام ببرقيتين إلى النائب وإلى الحاشدي: لا مانع من دخول أولاد محمد توفيق عند أستاذ نافع، فدخلوا ثم إن الإمام عين زوج بنت النائب عاملا في الشغادرة، فامتنع فسأله النائب عن سبب الامتناع فقال: حتى ترخص لأولادي وهما إسماعيل وعبدالكريم، فقال النائب: سيستنكرون علينا ويقول الإمام: ومدارسنا ماذا تعمل؟ فقال لو كان كذلك لأجاب على محمد توفيق بهذا، فرخص النائب لولديه، وهنا دخل البياض والأقلام علينا مع أولاد النائب، فتسامع الباقون، وكان كل من يريد إدخال ولده للتعليم يصل إلى الحاشدي ويسلم له شيئا مقابل رخصة الدخول فرجع التلاميذ وجاء من تهامة من انضم إليهم.

نعم إن سجن نافع هو أغلظ السجون ولا يؤذن لأحد بالخروج من عتبة الباب وقد راجعت النائب بأنني مصاب بالروماتيزم أرجوكم رخصة ساعة للدورة يوميا، ورحم الله الشهيد علي محمد السنيدار قد كان حصل على رخصة للخروج للدورة من الإمام. وظل يلح على النائب ويكرر المراجعة من أجلي، وكان النائب يقول: الإمام غاضب عليه ما أظنه يوافق وأخيرا حرر برقية إلى الإمام: أستاذ نافع مريض وقد قرر الطبيب له ساعة مشي، فرجع الجواب بالموافقة. ولا أدري هل كان الإمام يجهل من هو أستاذ نافع أم أنه التيسير من الله. فكنت أخرج يوميا للدورة بعد أن أكمل التدريس وبصحبة عسكري فنفعني ذلك كثيرا.

وكنت أنا والشيخ أحمد القردعي متلازمين وهو ممن استفاد من الحبس بالتعليم والرجوع إلى الله وتلاوة القرآن والتهجد بالليل

وأولع كثيرا بالمطالعة وكنت أستعير له الكتب من بيت النائب وغيره، مازلنا في السجن وقد أطلق أغلب المساجين.

بداية الانحدار

ظهرت في هذه الأعوام مسألتان:

١- فكرة تكتل الهاشميين حتى أنها وجدت في حجة، وحتى عند المساجين، ولكن الإمام كان لا يوافق على ذلك في الظاهر وإن كان يريدها في الباطن.

٢- مسألة ولاية العهد وهي الفكرة التي هدمت أركان بيت حميد الدين فكرة ولاية العهد للبدر محمد بن الإمام أحمد نشرت الضغناء في الأسرة المالكة، وهي التي أكد المؤرخ الشيخ محمد الخضري في مؤلفه (تاريخ الدولة الإسلامية) أكد أنها هي التي حطمت الدولتين الأموية والعباسية، وتكون أكثر ضررا إذا أسندت إلى أكثر من واحد.

طالت أيامنا في نافع، خاصة وقد أطلق الكثيرون ولم يبق إلا القليل، وأصبحت صدورنا ضيقة، حتى فضلنا الموت ولكنني كنت أفضل من غيري لسببين: انشغالي بالتدريس وخروجي للدورة يوميا كما أنني كنت أحصل على أجرة من التدريس من أهل اليسار، وكان كل منا قد استقل بمكان، وفي آخر أيام الحبس أي في العامين الأخيرين أطلق سراح كثيرين من المحابيس سواء في القاهرة أو المنصورة، أما نافع فلم يطلق إلا القليل منهم، كقاسم غالب، أما علي بن محسن باشا فقد راجع لينقلوه إلى المنصورة، وتم له ذلك.

ووصف نافع وحوادثه الكثيرة يطول شرحها، وقد اكتفيت بما

حررته، لأن نافع وسجون حجة مما لا ينساه أحد ولا يمكن أن يفيها حقها من الوصف مؤرخ أو كاتب واحد، وكل سيذكر ما عنده، وإني قد حررت ما استطعت مع علمي أنني عاجز عن التعبير والتحقيق.

ولنذكر حادث ١٣٧٤هـ الموافق١٩٥٥م.

ثورة الثلايا



في صباح يوم الجمعة أول أسبوع من شهر شعبان سنة ١٣٧٤هـ كنت فاترا إذ أصابني البرد، وفي ذلك الصباح وصل إلي مرشد المرولة أحد المساجين الذين قاموا بدور مع الحكومة الدستورية، وهو من جملة المساجين ومن عكفة الإمام عندما كان ولي عهد، فهتف بي: قم من النوم فقد وقع انقلاب وثورة في تعز، فلم أصدق كغيري لأنه طالما سمعنا أخبارا من هذا القبيل وفي النهاية يتضح أنها خيال، فأقسم لي بالله وأخذ بيدي وكان قوي البنية والأعصاب وأنزلني إلى مكان الشيخ أحمد القردعي، وإذا المساجين مجتمعين يتنسمون الخبر الصحيح، فقلت: عندي الخبر الصحيح اصبروا لي ربع ساعة وأنا آتيكم به، فخرجت من العشة وناديت أحمد رزق وهو العسكري الذي يصطحبني عند خروجي للدورة يوميا وقلت له هيا بنا نخرج دورة. وكأني لم أسمع شيئا وكان سليم الخاطر، فأخذ بيدي وقال: اليوم لن نخرج دورة،

فقلت: لماذا؟ فقال: اسكت انقلاب في تعز والإمام محاصر في البيت، ثم وصل اليَّ العسكري الحزومي وهو الذي كان يأتي مع أولاد النائب الذين يأتون للتعلم لدي فأخبرني الخبر، فرجعت إلى الأخوان، وكأنما انشطت من عقال، فأخبرتهم الخبر. وهنا تعال تفرج على الفلسفة والتحليلات والفرضيات والمستحيلات، وكل واحد يأتي بفكرة، واستمر ذلك إلى وقت صلاة الجمعة، وقد وصلتنا أخبار كثيرة ولما جاء وقت صلاة الجمعة، وكانت طريق الجامع من باب نافع إذا بالبدر مع العسكر ولكن لا موسيقى ولا موكب، بل بوجه منكسف، وإذا صلاة الجمعة فقام الأستاذ نعمان الذي وصل مع البدر ومعهما كذلك أحمد الشامي، قام الأستاذ نعمان وألقى خطبة رائعة يستنفر الناس لإنقاذ الإمام، ويبشر الناس بالخير، والسبب في ذلك أن الأستاذ النعمان لا يحب أن يتولى الأمر عبدالله بن الإمام وكان غيره ممن يشاركه هذا الرأي كان الجيش بعرضي حجة بدأ يتجاوب مع الجيش في تعز، فأشار العقلاء على البدر بأن يطلب من المحابيس وفيهم من العسكريين واللاسلكيين والأدباء والمذيعين والمشائخ والعلماء، فاستدعاهم وهم السلال والعمري والفسيل والمروني وغيرهم، كما استدعى الشيخ علي بن محسن باشا والقاضي محمد بن علي الأكوع من علماء أب ونزل العسكريون من المحابيس وسكنوا حركة الجيش، ووصل إلى نافع عبد الله السلال والشيخ علي بن محسن باشاوالقاضي محمد بن علي الأكوع وقلنا لهم: ونحن ماذا نصنع؟ فأجاب السلال: والله لولم يطلقوكم لا بد أن نطلقكم، وفي يوم الأحد كتب الشيخ أحمد القردعي للبدر ما خلاصته: نصيحتي لكم أن تطلقوا المساجين فإن تمت لكم فقد فعلت لك محسنة وسمعة طيبة وجلبت قلوب الناس إليك، وإن لم تتم لكم أليس ذلكم خير من أن يأتي عدوكم ليخرجهم

وتكون المحسنة والدعاية له.

فقلت للشيخ أحمد القردعي: بعد وصول نصيحتك دعنا نجرب فاستحسن ذلك وحررت للبدر: حفظكم الله أنا مصاب بالروماتيزم وأمراض أخرى، نظركم فعاد الجواب بسرعة: لا بأس من خروجكم إلى المستشفى فخرجت، وحرر الأخرون كذلك فكان الجواب للكل بالخروج إلى المستشفى، فاجتمعنا فيها، وكان مديرها الرجل العظيم الوفي الغيور فضل الله السوري الذي صاهر السجان ناصر علي جرامة، وبقينا على ذلك إلى ليلة الثلاثاء والأربعاء حيث كانت الضربة الشديدة للمحابيس، إذ بلغهم فشل المقدم أحمد الثلايا وأصحابه وانتصار الإمام، وأطلقت المدافع ورفعت الأعلام، وقد اجتمع بحجة جمع غفير من القبائل، وكذا في عمران مايقرب من سبعة آلاف جندي وكان البدر والأستاذ النعمان أتفقا على إطلاق بقية المساجين من حجة، ولكن النائب رفض وقال: مادام أبوك على قيد الحياة يبقون وإذا انتصر آذنته فإذا لم يرض فما زالوا في القبضة، وبقينا إلى أن تم النصر فحرر برقية يهنئه بالنصر ويقول فيها أنه استعان ببعض المحابيس عسكريين ومدنيين ووجدوهم طيبي السريرة. فأجاب عليه: أحسنت.

وفي اليوم الثاني خرج البدر إلى حورة وخطب في الجموع من القبائل وكان السيد أحمد المروني ومحمد عبدالله الفسيل يواصلون نشر كل ما يقال وما يعمل باللاسلكي الذي كان يسميه الناس «طار الهواء» وفي تلك الليلة استدعي المسجونون وإخذت منهم البيعة وكان البدر يحول لكل مسجون خمسة عشر ريالا، فلما وصل الدور عندي قال أحمد محمد نعمان وكان هو السكرتير: العزي صالح السنيدار متعب لقد فقد كل شيء من المال والأهل فحول لي بمائة

ريال، ومما يؤسفنا وينغص راحتنا أننا وفي الوقت نفسه كنا نسمع إذاعة صنعاء وصوت العرب تعلن إعدام شهداء سنة ٧٤هـ حيث أعدم أحمد الثلايا وأولاد السياغي يحيى وحمود وعبد الرحمن باكر وعلي حمود السمة والسيد محمد حسين عبدالقادر والغولي وعلي حسن المطري ومحسن الصعر وغيرهم وكان فضل الله الحكيم السوري يبكي أكثر منا، وكنا نفضل لو بقينا في السجن وسلم إخواننا، ولكن الله يفعل ما يريد.

وفي اليوم التالي كان البدر يريد الذهاب إلى صنعاء، وقد هيأوا لذلك أربع عشرة سيارة وأراد أن يستصحب المساجين معه، ولكن جاء من أشار عليه وجاءت برقية من الإمام: ماذا ستعمل ؟ هل تريد أن تدخل بالمحابيس صنعاء وكأنهم فاتحون، فغير رأيه وأمر ببقاء بعض المساجين في حجة موظفين، ومنهم الشيخ أحمد القردعي والسيد محمد بن علي المطاع، وبعضهم أرسلهم إلى الحديدة ومنهم الصفي محبوب والحاج محمد عكارس، أما أربعة فقد قال: لا بأس بعودهم إلى صنعاء، وهم الحاج الشهيد علي بن محمد السنيدار. والعزي صالح السنيدار، وعبدالسلام صبرة، والأستاذ محمد عبدالله الزهيري.

وهنا أذكر قصة وأن خرجت عن الموضوع ففيها ما يدل على وفاء بعض النساء وفيها ما يفيد كيف تكون عاقبة الاستعجال، كانوا بيت العطاب الذين اشتهروا بالطعام الجيد والطبخ المنوع، وكان لهم ولد بليد تعلم سنتين ولم يستفد شيئا فدفعوا للحاشدي رشوة خمسة ريالات ليرخص له بالدخول إلى نافع ليتعلم عند الأستاذ، فأذن له بالدخول، وكان الولد يظهر عليه الضعف مما يجعل من يراه يرحمه، وكأنه كان يواجه قسوة ورهبة من الأساتذة، وصل الى عندي فداعبته وكان قد وصل الى جزء «عم» مع أنه لا يعرف الحروف أبدا، فبقيت أفهمه الحروف لمدة أسبوع وأكتبها له في يده

وفي ثوبه وعلى التراب، حتى فهمها كل الفهم، بل وأصبح قادرا على قراءة بعض الكلمات، وبعد أسبوعين سمعته أمه وقد بدأ يقرأ وهو مسرور ففرحت به فرحا شديدا وأرسلت ابنها إلى باب السجن ومعه كعك بالبيض وقشر وسود وفلوس وقال: أمي تبلغك السلام والولد أصبح يفصل (يقال لمن بدأ يقرأ الكلمات المركبة يفصل يقصدون يفصل بين حرف وحرف) وأرسلوا بهذا وقالت ما تحتاجون فاطلبوه، الولد صار يفصل فقلت: كثر الله خيرهم والولد ولدناكلنا ولا زالت ترسل أكثر الأوقات حتى خجلتُ، ولكن الولد دخل جزء «عم» ويقرأ درسه لنفسه وبدأ يكتب ويحفظ العدد والسبب أنني كنت أكتب له الأعداد في هامش الجزء عند كل سطر رقم ١، ٢، ٣، ٤، ٥ إلى أحد عشر بعدد سطور الجزء وكنت أقول له مع درسك اليوم المكون من خمسة سطور خمسة أعداد تحفظها اليوم وغدا خمسة وهكذا فسهل عليه.

الخروج من نافع

خرجت من نافع وقد بلغ الولد سورة الحاقة، وقد ختم القرآن كثير من التلاميذ وعندما أمر البدر بسفرنا كان بيت العطاب أرادوا أن يجهزوا لنا للطريق كعك ونحوه ولكن رحم الله الحاج علي السنيدار استعجلني وقال: لا يمكن البقاء ولا دقيقة واحدة وبيت العطاب وخاصة أم الولد يبكون، فما وسعهم إلا أن يعطونا فتاتا مما هو موجود من الخبز الجاهز فخرجنا من مدينة حجة وأبقونا خارجها قدر ثلاث ساعات أو أكثر، وقلت: ياأخ علي لو انتظرنا لبيت العطاب كانوا سيعطوننا زادا للطريق. فذهبنا في الطريق الوعرة واللفات الملتوية وأكثر سفرنا جلوس وانتظار لإصلاح السيارة، وعصر اليوم التالي ونحن نمشي على الأقدام، وإذا بالحاج

علي بن محمد السنيدار قد عثر فصاح: ياأخي بطلت ركبتي من شدة الجوع، ليتنا انتظرنا وكانت صورته قد تغيرت، فرجعت في الحال وأخذت الصرة التي جمع فيها ما تيسر من فتات بيت العطاب فأكل منها كما أكلت أنا فقال: اعتقتني الله يعتقك وهذه عاقبة الاستعجال. وقد كان بيت العطاب مع الآخرين من آباء التلاميذ أجمعوا أمرهم ليعرضوا علي البقاء في حجة وقالوا أنهم سيستأجرون لي بيتا وكل أكلي وحاجتي عليهم ويزوجونني ويدفعون لي فوق هذا ثلاثين ريالا، فرفضت والشوق شلال (هذا مثل صنعاني ومعنى شلال: حمال).

وصلنا عمران ليلا، وفي الصباح توجهنا من عمران وهنا بدأت الهواجس والوساوس وحدثت نفسي: كيف سيكون وصولي صنعاء وهذا الحاج علي محمد السنيدار سيصل إلى عند عائلته وأولاده وأخيه، وهذا عبد السلام صبرة سيصل بيته وسيلاقي أهله وأولاده، وهذا الأستاذ الزهيري كذلك أما أنا فلا أهل لي ولا أولاد، لأن أولادي في تعز وأم حمدي توفيت وأخي توفي وأموالي مصادرة وبيتي مهدم ولا فراش ولا دفا ولا شيء.

وصلنا منتصف الطريق وإذا ببعض الإخوان قد وصل من أهلهم للقائهم، وقد خطر في بال الأخ علي محمد ما خطر ببالي فقال لي مسليا: كلنا إخوتك وأهلك فسيكون وصولك عندنا البيت، دخلنا صنعاء فقابلتهم النساء بالزغاريد والترحيب ولما وصلنا قريبا من بيت الأخ علي محمد السنيدار، وصل علي هاجر وعبدالرحمن الحضرمي وأخبراني أن ابنتي سيدة قد أصلحت كل شيء وجعلت البيت صالحا لاستقبالي فاستأذنت الأخ علي محمد وتوجهت نحو بيتي وإذا بنساء الجيران يزغردن ويرحبن فقلت في نفسي: «مايفلت الله حمولة في خلا» (**الحمولة الراحلة وما يفلت الله أي ما يترك أو ما يضيع وهذا مثل يقال عندما ييأس الإنسان فيأتيه**

الفرج ضربوه مثلا للراحلة تضيع في ارض خلاء فإذا بالفرج يأتيها من حيث لا تحتسب) فتغدينا ووصل الجيران رعاهم الله بيت الحضرمي وبيت الأكوع وبيت الوشاح وغيرهم. نعم إني أكتب هذا في ربيع الثاني سنة ١٣٨٦هـ وعيني تدمع، مع أن تاريخ الوصول في شعبان سنة ١٣٧٤هـ لأنها ذكريات مؤلمة ولم أقدر على التعبير عما أصابني من الذكريات المؤلمة المحزنة، لم أقدرعلى تصوير ذلك بدقة، بقيت شهر شعبان وقد كان يجري لعائلتي مقرر من الإمام ثمانية ريالات وقد حان ونصف من الطعام، فسرعان ما وشى واش وسعى في قطعها، ولكن جزى الله السيد علي بن علي زبارة خيرا وقد كان نائبا للإمام في صنعاء، فوصلت إليه دار السعادة وما أن أطللت من باب مكانه حتى ترك الناس الذين أمامه واستقبلني وتصافحنا، وبعد قليل أخبرته بأن بعض المأمورين يريد قطع المقرر فصاح: ومن هو هذا ثم كتب فورا أمرا إلى المالية والقصر ببقائه فبقي حتى قامت الثورة، والحمد لله فإني راجعت له ودافعت عنه في الوقت الحرج. وفي رمضان حول البدر من شاكر بأربعين ريالا فكنت بحمد الله لا أشعر بحاجة «وإذا تيسر لك مخلوق فلا تحمد إلا ربك» بقيت في صنعاء إلى ١٨ شوال سنة ٧٤هـ وقد عزم أكثر الإخوان إلى تعز للمراجعة فتشاورت أنا والأخ علي محمد بأن أتوجه إلى تعز فإن وجدت أنه لا بد من وصول كل المحابيس الذين أطلقوا قريبا للمراجعة والسلام حررت له وإلا سيبقى في صنعاء، ومعلوم إن كل مطلق وصل ليجد أهله أمامه وقد يسر الله لمن خلفهم برزق وأموالهم مطلقة، ومعهم الفراش والأثاث، أما أنا فلا شيء وقد جرت المكاتبة بيني وبين القاضي محمد عبدالله العمري رحمه الله ويحيى اليدومي فكان جواب العزي العمري: أما أنتم فمسألة مراجعتكم قريبة فبادروا. توكلت على الله وسافرت من صنعاء ولا أنسى من أحسن إلى مثل الحاج حسين الوتاري الذي

كان في تلك الأيام لا زال ضعيف الحال وكذلك أحمد حسن السنيدار وأخوه عبد الله وأظنهما أعطياني من غلول وصية عمي محمد رحمه الله.



محمد بن عبدالله العمري

وبعد كل هذا لم تطب نفسه !

سافرت من صنعاء آخر نهار ١٨ شوال ٧٤هـ وصلنا ذمار ليلا وقد هجع الناس فنمت في باب دكان حتى طلع الفجر فصليت ثم نمت حتى طلوع الشمس. وكانت معي رسالة ومعها شيء حملته إلى السيد محمد راوية وأخيه مرسلة من علي هاجر فيها الحساب الذي بينهم هذا السيد محمد راوية من أحسن الناس أخلاقا كيف لا وهو من تلاميذ العالم النحرير الجريء الذي لا يخاف في الحق لومة لائم وهو القاضي عبدالله العيزري رحمه الله وكان الاتصال بيني وبين القاضي عبد الله العيزري رحمه الله مستمرا وبواسطته عرفت السيد محمد راوية وأخاه وكان محمد راوية من الأذكياء المنكرين للحكم الإمامي وكان غير متعصب، وكان من اساتذته أيضا السيد عبد الوهاب الوريث رحمه الله، وبعد طلوع شمس ذلك اليوم وصلت وقرعت الباب، فنزل السيد محمد راوية وسلمته الكتاب، ولطول المدة التي غبت عنهم ولأثر الحبس والعذاب لم يعرفني لأول وهلة، فسلمته ما أودعت وودعته وانصرفت، وصل الدهليز - كما قال لي - وأخذ يتذكر الصورة فاستحضرها ذهنه فتبعني وأمسك بي وجعل يعتذر فقبلت اعتذاره وقلت: ليس هناك ما يستوجب الاعتذار، فأقسم بالله أن أعود معه

إلى البيت، فرجعنا وفطرنا وتقهوينا، وقلت له: السيارة على ساق العزم، فخرج هو وأخوه معي إلى خارج ذمار، وأقبلت السيارة وودعتهما، وإذا بي أحس شيئا في طرف الشال فنقضت العقدة فإذا هي عشرون ريالاوأمامي صرة فيها ما يحتاجه المسافر من طعام فقلت: الله يبلغني مكافئتهما، والحمد لله في أول الثورة كان لهما حساد وشوا بالسيد محمد راوية وابن عمه وملأوا بذلك صدر المشير السلال عليهما، وقد أبرقوا لي من ذمار، وكان دخولهما السجن عصر ذلك اليوم، وصلتني البرقية بعد المغرب فنزلت إلى المشير السلال وقلت له: والله إن هناك أياد تخرب وتحارب الثورة، وشرحت له حالة السيد محمد راوية وأخلاقه، وعداوته للحكم الإمامي ولم أخرج إلا بإطلاقه فحمدت الله.

وصلنا إب قبل الظهروفيها قابلت القاضي عبد الله الإرياني والقاضي محمد بن علي حسين الأكوع ثم واصلت السفر إلى تعز، وتوجهت إلى دار الضيافة وقد كان الأمر إلى الحاج عبد الله القيز أن من وصل من المطلقين يجري له صرف يومي ريال ونصف، وقد سبق قبلي كثير، منهم الأستاذ عبدالسلام صبرة وعبد الله السلال وحسن العمري والأستاذ الزهيري وغيرهم، وقابلت ولدي محمد بعد ظهر يوم وصولي، وأول من قابلته من المسؤولين هو وزير الخارجية القاضي محمد بن عبد الله العمري وقال لي: أنت أنجح الناس في مراجعتك، فإما إن تطلق أموالك ويمكن ان ترهنها لتدبر لك رأس مال وتعود لتجارتك، ويصلحوا لك البيت، أو وظيفة تليق بك مع إطلاق المال وإصلاح البيت.

ووجدت الأخوة والأصحاب هناك الكثير منهم الأخ الوفي القاضي محمد الربيع الذي كان يقابل كل من عرفه بالسجن

بالبشاشة، ومن الموظفين الأذكياء عبدالله الثور محرر الجريدة والوفي المراعي للمعروف علي الذماري رئيس الشرطة لأن بيني وبينه معرفة وإحسان قدمته له كما ذكرت ماوفي به لأولادي. بقينا في دار الضيافة وكنت معظم أيامي أقيل عند الحاج علي الحمامي وأخلاقه معروفة للناس وكان يحضر في المجلس القاضي حسن تقي والحاج محمد العسولي، وناس كثيرون. وكانت تجري مذاكرة أدبية لطيفة، ولا تفتح أبواب السياسة أبدا، فأولعوا بي، ومن هنا شرعت في الاتصال بالإمام بواسطة البرقيات ورعى الله عبد الله محمد العسولي الذي خدم المحابيس بجد واجتهاد، وكان يسحب أكثر البرقيات مجانا.



القاضي محمد الربيع

ولن أذكر نص البرقيات التي بلغت فوق العشرين وكلها تدور حول معنى واحد وهو الأذن لي بالوصول لأداء فرض السلام. ولم يجب على أي برقية ولا أقول هذا فخرا، بل أظن أنه سوء حظ أو أنه قد ملىء ماجعله يحقد علي، لأن القاضي محمد الربيع كان يقول لي ونحن في حبس نافع: الإمام غاضب عليك جدا مع أنه لا يعرفك وهذا مما يسمع عنك، أما إخواننا الآخرون فإنهم حظوا بمقابلته في آخر شهر ذي القعدة سنة ١٣٧٤هـ ثم أبرقت للإمام بأن العيد أقبل ومالي محجوز وليس معي وعائلتي شيء وبعد أسبوعين.

رجع الجواب:

يسلم له مائة ريال. ذكرت أنني كنت أقيل في بيت الحاج علي الحمامي، وفي يوم عرفات كان الحاج علي الحمامي صائما، فذهبنا للمقيل لدى محمد صالح الزقاق وكان محظوظا، وصلت وهو لا يعرفني، فعرف بي القاضي حسن تقي، وبعد التعريف بشخصي رحب وسهل وقام من محله وأقعدني فيه، ودارت المذاكرة حتى وصلنا إلى الإمام وأنه لم يأذن لي بالوصول إليه لأداء السلام فقال: في ثاني العيد سأوصلك إليه في الميدان. وفي ذلك اليوم دخلت ولما انتهوا من الحفل والعرض وسباق الخيل أوصلني إليه وقد قام فسلمت عليه وسأل: من هذا؟ فقال: العزي صالح السنيدار، فنظر إلي وقال: عافاكم الله عافاكم الله، ومن هنا بدأت المراجعة في إطلاق المال وإصلاح البيت وكانت الأجوبة كلها مغالطة، وكنت أعرضها على العزي العمري وأنظر وإذا إخواني المطلقين تيسرت أمورهم بتعيينهم في وظائف وكررت المراجعة إلى البدر فيراجع لي مراجعة جدية، وعندما أصل إليه يخجل، وقال القاضي محمد عبدالله العمري كنت أظن أنك أول من ينجح في المراجعة وسندبر لك إما وظيفة في الجمارك أو رجوعك للتجارة، فأبرقت للإمام برقية وصفت فيها حالتي وما قاسيت فأجاب: ياديوان ماسبب عدم إطلاقها؟ فظن العزي العمري أنه قد قرب الفرج وأن هذا أول مدخل للمراجعة، ومن سياسة الإمام أن الجوابات تعرض علينا ولا يسلموها لنا، وقد أجاب عليه القاضي عبدالله حمود الشوكاني ما معناه: هذا العزي صالح السنيدار الذي حبس في حجة وحجزت أمواله وسبب عدم إطلاقها هو عدم إذن جلالتكم فإذا تفضلتم بالأمر بإطلاقها فلكم الفضل، وقد ذاق أنواع العذاب من مرض وغيره، وأرسل إليه بالجواب فلم يفد بشيء ثم أني ألححت على البدر فقال: أين آخر جواب؟ فقلت: في دائرة

البرق، فحرر أمرا بتسليمه إلي فأوصلته إليه وهو المذكور آنفا، فذهب قاصدا إلى والده وقد حرر صورة بإطلاق المال وإصلاح البيت، فلما سلمه إلى الإمام تبسم وضغطه في يده ثم رماه وقال: مراجعة هذا خلّوها عليَّ.

وفي اليوم التالي أرسل لي الأخ عبد الله طاهر وقال: إن مدير المستشفى الروضي يشكو منك وسيقدم شكوى إلى الإمام لأنك قلت: إن المستشفى ليس به علاجات، وإذا كان يوجد به علاجات فهي فائلة. مع أنني والله ماعرفت المستشفى إلاعند أن وقع كسر صغير في العظم.

ووصلت الى الطبيبة وكشفت علي فاتضح ان عندي كسر، فأمرت بجبس، وقال الروضي انه يريد أمرا من الديوان، فذهبت الى الديوان فأمروا بتحرير حكم شرعي في فقري، فأقيمت الدعوى وشهد على فقري القاضي عبدالله الشماحي وآخرون، فخرج الحكم بفقري ووضع الجبس، ولكن بعض الإخوان قال: هذا تعنت، يمكن تحبس بمبرر، ووصل الي بعض الإخوان وقال: ان بيده وكالة في دعوى علي نذهب في موقف في الديوان. ورعى الله القاضي عبدالله الشوكاني أشار لي بقوله: الإمام لازال غاضبا عليكم، وكأن المشير بذلك القاضي محمد العمري ليبلغني هذه الرسالة رسالة التحذير ومعناها: (انج بنفسك) قال القاضي عبدالله الشوكاني: اما البدر واما القاضي محمد عبدالله العمري، فقد بذلا من أجلك أقصى ما يستطيعان، وأما أنا فقد رأيتم الجواب، ويظهر ان الإمام غير راض عنكم.

وهنا فهمت المسألة، وما كان كلام الروضي أو غيره إلا بتدبير يراد به الايقاع بي مرة أخرى باسم السياسة أو باسم الشريعة،

فهرعت الى ولدي محمد واخبرته الخبر، وقلت: لقد قررت الرحيل ومغادرة تعز الى عدن. ووصلت الى القاضي محمد العمري وأخبرته، فقال: لا بأس ولكن ماذا ستصنعون في عدن؟ فقلت: ياقاضي بصفتي بياع مشتري لم اتوظف في الحكومة ولا دخلت في سلكها قط فأنا مستعد ان أخيط أو أدل أو أدرس، ليس في الأمر مشكلة بالنسبة لي، إنما يقع في ورطة من هو مثلكم. فقال: نعم، الله يوفقكم.

واتفقت بالقاضي حسين العنسي وطلبت منه ان يحرر كتابا لأخيه القاضي عبدالكريم العنسي لأني لا أريد أن أكون لاجئا ولا أريد القرب من الحكومة أو من السياسة، بل سأعمل عملا أعيش منه. واتفقت بالأخ علي الآنسي صهر حسين الغيثي فصوب الفكرة وقال انه مستعد لمعاونتي. فقلت: الحمد لله أنا مستغني ولا أحتاج الى أحد.

وفي اليوم التالي جاءني علي الذماري مدير الشرطة، واستدعاني وهمس في أذني قائلا: العين عليك حمراء، فذهبت الى البدر واستأذنته في ان يرخص لي في الذهاب الى صنعاء لاتفقد العائلة، فرخص وحوّل لي بأربعين ريالا من صنعاء، فرجعت الى ولدي محمد وأخبرني بأنه قد ارسل رسولا الى دمنة خدير وكتب الى صاحبه ليأتينا بأتانين سريعا، فلم يأت المغرب إلا وهو حاضر بدوابه، فحملنا عليها متاعنا وتوكلنا على الله بعد صلاة المغرب سالكين سائلة وعرة، كان ذلك في الخامس من صفر ١٣٧٥هـ وقد واجهنا في سفرنا هذا متاعب ومشقات لا أقدر على وصفها، وكلما رأينا سراجا أو فانوسا ظننا انه يتبع أثرنا فتذكرت قول الشاعر:

إذا رأى غير شيء ظنه رجلا !

ظللنا نسافر أنا وابني وصاحبه من الساعة السابعة أي بعد منتصف الليل بساعتين بالتوقيت الغروبي ووصلنا دمنة خدير محل صاحب الولد محمد فتقهوينا وألحوا علينا بالبقاء فلم نوافق وواصلنا السفر ليلا وفي الطرق الوعرة حتى قبل طلوع الفجر متجنبين دخول الراهدة، وقد أرسلت الولد محمد ليشتري لنا ما نفطر به وانتظرته في السائلة. وتأملت فإذا المسألة كلها أوهام. إذ لا يعرف أحد أننا سافرنا ولا أحد يسأل عن أحد، ولكنه الاحتياط خوفا من جاسوس أو شخص يعرفنا فيذكرنا بدون قصد اضرار بنا، عاد الولد محمد ووصلت سيارة احمد ثابت وعليها حمولة بن، فقال الولد محمد: نريد ان نركب معك، فقال: ومن معك؟ فقال: رجل من وصاب مريض. فقال: بعشرة ريالات، مع ان الكراء خمسة ريالات فقط، وكان السواق عبده الحيوتي رجل صاحب مروءة لما رأى أن الولد محمد دفع العشرة ريالات تألم ولم يتكلم بشيء حتى وصلنا (الشريجة) استدعى الضابط حميد صدقة صاحب السيارة وقال له: تفضل قهوة، فقال: انا مستعجل، في أمان الله. وقد داخلني خوف لأن حميد صدقة هذا يعرفني وقد غطيت نفسي بالغراير كأني مريض، فحمدت الله إذ تخلصنا منه، ولما جاوزنا الشريجة ووصلنا (كرش)❖ قال السواق عبده حيوتي: يا أحمد ثابت ارجع العشرة ريالات لابن العزي صالح فستسمع من ابيه كلاما لم تسمعه من أحد. فقال: وأين أبوه؟ قال: هاهو ذا على سيارتك العزي صالح بنفسه، فتغير وجهه، وأرجع العشرة الريالات، ورجا الولد والسواق ان لا يتكلموا، فما كان من الولد محمد إلا أن أعطى السواق العشرة الريالات واقسم انها له ولن يأخذها قط.

❖ منطقة حدودية بين الشمال والجنوب المستعمر

عند تجاوزنا للحدود (الشطرية السابقة) استنشقت نسيم الحرية واطمأنت نفسي، وكان كابوس الهم والغم انزاح عني وأضاءت لي الدنيا، وكأني خرجت من الظلمات الى النور فلا إمام ولا حبس ولا جاسوسية ولا تهديد، وشعرت أنني أصبحت خالي البال مما هوّن علي مفارقة السكن والمال.. كل شيء لا يساوي الحرية، فحمدت الله سبحانه خاصة عندما ذكرت انه ليس لي أولاد صغار يشغلون خاطري.

وصلت عدن الى منظرة أهل صنعاء، وبها تجار من صنعاء، وعندما رأوني اشمأزت نفوسهم لأني سياسي فررت من صنعاء، والإمام غاضب علي وداخلهم الخوف لئلا يبلّغ عنهم بأنهم خالطوني، وخافوا ان أخوض في السياسة، ولم الق أي حفاوة إلا من بعض أشخاص ممن هم ساكنون في عدن مثل عبدالرحمن الزبيري ومحمد البرطي ومحمد عامر، أما الآخرون فقد دبروا في شراء مكان لينتقلوا اليه، وفعلا نفذوا ما عزموا عليه.

وكان ممن ساعدني أنا وابني محمد بالكفالة في بقية ثمن مكائن الخياطة للغنامي صاحب الدكان الذي دخل عليه ابني محمد بالإيجار، والذي ساعدنا هو الولد يحيى بن محمد أحمد السنيدار.

وفي اليوم الثالث لوصولي عدن ذهبت الى دار الاتحاد اليمني، وكان رئيسه آنذاك الشيخ أحمد حسان وأمينه العام محمد أحمد نعمان فالتقيت بهما وبالقاضي أحمد المعلمي وبإخوان آخرين، ويجب علي ان لا أنسى المحسنين الي من الأحرار الفارين الى عدن ومنهم الشاب الوفي الشيخ علي حسين غالب، إذ أخبره محمد أحمد نعمان بوصولي فرحب بي لأنه عرف من الشيخ الخادم غالب

رحمه الله، وكان يصفني له كما يصف له أحمد المطاع، وكذلك لا أنسى الشيخ أحمد غالب الذي سألني: ماذا ستعمل؟ فقلت له: في الخياطة.. فحوّل لي بأربعمائة شلن من قيمة مكنة الخياطة، كذلك لا أنسى الحاج محمد الأسودي الذي كان يواسي كل من يصل الى دكانه بما يستطيع.

ووصل الى باب المنظرة القاضي عبدالكريم العنسي وأعطاني خمسين شلنا، اشترى لي الولد يحيى السنيدار المكنة وضمن علي في بقية المبلغ كما ذكرت، ورحم الله الشيخ حمود الربيدي فإنه لم يخف إذ كان يستضيفني أحيانا، اما في شهر رمضان فإنه أقسم بأن أكون ضيفة طيلة الشهر، فهمست في أذنه: البيت واحد ولكن أخشى أن يداخلك هاجس مثل ما لقيته من أهالي صنعاء، فأجاب: «ابرد من ابتهم كلهم، ما عيفعلوا؟ اخرج) وهكذا ثلاثة أعوام بقيت في منظرة أهل صنعاء، والعمل قليل، أما الولد محمد فعمل أولا في خياطة الأكوات والثياب ثم عمل بعد ذلك في (دريسات)❖ السيارات ففتح الله عليه. ثم أردت طلب ولدي أحمد وأخته، ولكن الى أين؟ فكلمت الأسودي والعنسي وعبدالله عبدالوهاب نعمان، فقاموا بجمع تبرعات وصلت الى ألفي شلن، وكان معي بقية فلوس فاشتريت بيتا مهجورا في جبل العيدروس بثلاثة آلاف وأربعمائة شلن، ثم أرسلت للولد أحمد فوصل مع أخته الى بيت الربيدي وظلا به، حتى قمنا بإصلاح



القاضي عبدالكريم العنسي

❖ مايغطى به كراسي السيارات

الأشياء الضرورية في البيت وأدخلنا الكهرباء ثم الماء، وكلفني ذلك ما يقارب العشرة آلاف شلن اذ احتجنا لتبليطه وترميمه.

كنت أحب ان أراجع الإمام ولكن محمد أحمد نعمان منعني من ذلك، لا أدري ماذا كان قصده، هل يعتقد ان ذلك لا يجدي فالله أعلم بمراده...

كتبت الى الإمام فأجاب وبسرعة: يكون سرعة عودكم وستلقون أكثر مما لقي إخوانكم، وما كان أغناكم عن الذهاب الى عدن. وكان العمل في المنظرة ضعيفا فبحثت عن محل في باب دكان في السوق، وقد تعرفت بأناس منهم صالح محمد المقالح فتوسط لي لدى أحمد سالم الكولي رحمه الله، فحصلت على عمل، وكان رحمه الله ذا طبيعة خيرة، إذا أقبل أقبل بكله، وقد يمل من لا شيء فبقيت عنده ما يقرب من ستة أشهر، وخلال هذه الأشهر من عام ١٣٧٦هـ حصل لي ألم في الكلى، فنزلت في المستشفى وبقيت فيه أياما، وكنت قد عرفت سلام فارع رحمه الله بعد وصوله من أفريقيا وكان علامة وكاتبا، وكان يكتب في صحيفة (اليقظة) التي يديرها عبدالرحمن جرجره، وكان يكتب أحيانا في تاريخ اليمن وأحيانا تحت عنوان (ان الدين عند الله الإسلام) وعن الأدب اليمني، وسلام فارع ممن حبسوا في صنعاء في ثورة ٦٧هـ ٤٨م ومرض في الحبس ولم يطلق إلا عند وصول الإمام أحمد الى صنعاء حينما زار اليمن الملك سعود، وكان سلام فارع يعرف ابني محمد من السجن وكان يسأله عني، وبينما أنا في مستشفى عدن وصل لزيارتي وتبادلنا الحديث عن قضية اليمن السياسية وعن الأدب اليمني. وفي الاسبوع التالي كتب عن الأدب اليمني وذكرني في مقاله وأسهب في الموضوع.

وبعد خروجي من المستشفى كتبت للإمام أحمد وللبدر، فكان

جواب الإمام أحمد: (يكون وصولكم وستتيسر مطالبكم ولا حاجة لكم في البقاء في عدن) أما البدر فقد أجاب: (الى العزي محمد صالح عافاكم الله اعرضوا هذا على الجبلي وبادروا بوصولكم ويسلم لكم الجبلي أربعين ريالا بشرط ان تكون مصروفا للسفر، وستطلق أموالكم حسب وعد مولانا أمير المؤمنين) أوصلت الجواب الى محل الجبلي ولم يكن موجودا، وكان القائم بأعمال مكتبه شخص فلسطيني، فعرضت عليه الجواب فابتسم وقال: هل أنت عازم على السفر؟ تكلم بالحقيقة والصدق، فقلت: الحقيقة لا، لا، وأظنك تفهم، فضحك وسلم الحوالة، وزاد من عنده مائة شلن، وقال: أنا أرى أن لا تعود.

التقيت بسلام فارع وقلت له: هل يوافق عبدالرحمن جرجره في نشر مقالات حول مسألتي مع الإمام؟ فقال: نعم. فكانت أول مقالة نشرتها عن الفرق بين مستشفى تعز ومستشفى عدن، وكان لها قبول واستحسان، حتى أنها أذيعت من إذاعة عدن. وأعجب بها أهل عدن بل وكل أهل اليمن، لأني تجنبت الكلام بالفصحى التي لا يفهمها إلا القليل، وفضلت اللهجة الصنعانية وفيها تهكم وقصص في الظاهر انها مضحكة ولكنها ذات مغزى، فإذا بي اتلقى رسالة من الإمام بخطه وفيها: (من الإمام أحمد الى محمد صالح السنيدار يكون وصولكم ولكم منا الأمان وسنطلق أموالكم كغيركم) وإذا برسائل تأتي من بعض المسؤولين ومن بعض الإخوان تحذرني من العودة، وإذا بالشرجبي محرر صحيفة (سبأ) في تعز ينصحني ويحذرني من العودة، وقد شكرتهم وأنا أعرف ماذا يبيته الإمام وكنت مصرا على عدم العودة، وهنا فتح لي باب النشر لأنه ولا فخر إذا نشرت لي مقاله راجت الصحيفة وربما تباع بزيادة على ثمنها، وباختصار سأكتب هنا ما بقي في ذاكرتي من العناوين، وإذا يسر

الله وبقي من تلك الأعداد شيء في عدن سأضمها الى هذا؛ فهذا مقال بعنوان: احتلت مشكلات العالم إلا مشكلتي: الأولى مشكلة نزع السلاح، والثانية: مشكلتي ومشكلة أموالي وعائلتي مع الإمام، وأسهبت في الموضوع باللهجة الصنعانية الدارجة، احتوت على مشكلات الدول وحلها، وعلى نوادر وقصص. ومقال بعنوان: (حقنا من أول ياسيدي أحمد) وأوردت قصة، وهي ان أهالي (جَدِر) نهبوا (المزاعقة) وهي غربي مدينة الروضة كانت حيا يسكنه اليهود، ويصنعون فيها الفخار وغيره، ونهبوا كل ما فيها حتى الأبواب والنوافذ، ولما خرج الأتراك الى اليمن فبعد مضي بضعة أعوام تمردت جدر، وخرج الجيش بالمدافع، وكان القائد (زكريا) قائدا شجاعا لايرحم ولا يتراجع فأباح جدر، فخرج اليهود من المزاعقة وكان كل يهودي ينهب كل ما يجده من ماله الذي نهب عليه، وكان اذا لقيه أحد وسأله يقول: اطرح ما حملته يايهودي نهبت المسلمين، فيجيب: (حقنا من أول ياسيدي أحمد) ومقال تحت عنوان: (من أين أجي لك بالحب من أينه) ناديت صاحب الجلالة وقلت له: سألناك بالله، سألناك بالقرآن، برسول الله، بعلي بن أبي طالب، إذا كان هذا لم ينفع سألناك بتربة المنصور وبتربة والدكم، جيئنا لكم من باب الشريعة، من باب الشهامة، من باب الرحمة، من باب القبيلة، من باب القانون، من باب الطاغوت، أي لم اترك شيئا إلا وتوسلت به، وختمتها بالبيت المعروف: من أين اجي لك بالحب من أينه؟

ومقال تحت عنوان: (من استحرمه عنب أكله زبيب) وفيها مغزى لم يعرفه إلا الإمام، وكانت لها صولة في عدن وتعز وصنعاء.

ومقال بعنوان: (الحرية باليمن) وهي مقالة كبيرة خلاصتها: بأن الحرية في اليمن لاتساويها حرية في العالم، يفقر اليمني بحريته لا

يعارضه أحد، يمرض بحريته لا يداويه أحد، يمشي عاريا لا تعارضه الدولة ولا تواسيه، بل بحريته يترك أهله وأمواله من الظلم بحريته، يتلاعب الحكام بالشريعة بحريتهم، وهكذا الى آخره.

ومقال رد على أحمد يحيى الكحلاني حينما كتب مقالا قال فيه: ليس في اليمن تقدم. فرددت عليه بأن في اليمن تقدما لا ينكر:

أولا: تعبيد الطريق من باب بيت الإمام الأعلى الى باب بيته الأسفل.

ثانيا: العمارة لأولاد الإمام وبناته.

ثالثا: إرسال أولاد البيت المالك للدراسة في الخارج.

رابعا: عمارة القصور .. الى آخره.

ومقال تحت عنوان: (كلٌ يبكي على مفارقة وطنه واليمني يبكي عندما يسافر الى وطنه) خلاصتها انه عندما وقع الإضراب في عدن ومارس المضربون الجرأة والشدة، وأعلنت حالة الطوارئ وكانت الشرطة تأخذ الناس المشتبه بهم من الشوارع، كان بعض اليمنيين يبكون ويتضرعون الى الله ان يقيهم شر التسفير، ويعمي عنهم أعين الشرطة، ولو سألت هذا اليمني: مالك تبكي؟ سيجيب عليك: خوفا من ان يرجعوني الى وطني وأهلي وبيتي. ومقال عند ان حبس الإمام المغنين لامتناعهم عن الغناء تحت عنوان: (إنما النسيئ زيادة في الكفر يحلونه عاما ويحرمونه عاما) وناديت المغنين قائلا: يا أهل الفن كان أحمد أيام والده يكسر آلات الطرب، وكان الغناء حرام، واليوم وقد أحل الغناء امتنعتم سلّوا أمير المؤمنين حرام عليكم.

ومقال بعنوان: (وأحمد رجع بذنوبه بكله) ورويت القصة، وذلك عند عودة الإمام من روما، تقول هذه القصة ان السيد محمد ابو

الإمام أحمد يتجول على الخيل في ساحة الاعدامات

طالب من الروضة، وكان فكاهيا سريع الجواب وغير متعصب ولين الطباع حتى لقبوه بالمرتكض، وفي أيام العنب كان بيته مأوى للأدباء والفنانين، وفي شهر شوال كان ولده أحمد يناشده بأن يسهل له السفر الى مكة لأداء فريضة الحج، فقال له: ياولدي لا تستعجل، فقال: والله لا أصبر ، أريد الذهاب لأغسل ذنوبي، وبقي يكرر هذه الكلمة مما حمل والده على تحصيل نفقات السفر من قيمة العنب وغيره، وحصل عليها بعد عناء ومشقة، فسافر الولد، وفي ذلك العام تعرقلت طرق البحر، وبقي الحجاج في الحديدة ولم تتيسر باخرة فلم يتمكن الحجاج من السفر، وعادوا من الحديدة، وفي

سادس شهر ذي الحجة خرج الناس لاستقبالهم ومن جملتهم السيد محمد المرتكض والد السيد أحمد، فلما واجه ولده قال: «هيًا هةَ وأحمد رجع بذنوبه بكله.

ومقال تحت عنوان: (ونابش الموتى له نبشة تنبشه أعظم من نبشه»❖ نشرت هذه المقالة عقب فتوى يحيى عباس بجواز نبش قبور الموتى وإخراجهم من أجل الطريق.

ومقالات في (الأيام) و(فتاة الجزيرة) و(الكفاح) وآخر ما نشرته هي القصيدة التي نظمتها على غرار قصيدة مشهورة للأستاذ علي بن علي صبره يغنيها المغنون مستهلها:

أهلاً بمن داس العذول واقبل　　　وطلعته مثل الهلال وأجمل

اما قصيدتي فتقول :

أهلا بمن داس العباد واقبل　　　أهلاً بمن دك البلاد بمعول
أهلا وسهلا يا جماد الاول　　　ذكرتنا أشياء تغضب الله
أهلاً بعيد السلب والإباحة　　　عيد الصراخ والخوف والنياحه
أهلاً بعيد الدم والذباحه　　　دما بريه لا أعادك الله
أهلاً بعيد القيد والمطارق　　　أهلاً بعيد الصلب والمشانق
عيد السرات والسجن والمطابق　　　عيد المصايب لا أعادك الله
أهلاً بعيد الجور والمظالم　　　عيد الطمع والنهب والمآتم
أهلاً بعيد قد أهتك المحارم　　　بلا ورع ولا حيا من الله
أهلاً بعيد الرعب والمخافة　　　عيد الرباط والسّوْق والجلافه
أهلاً بعيد الغدر والسخافة　　　عيد المناكر لا أعادك الله
العيد يذكر فيه زعيم ماجد　　　سجل له التاريخ ذكر خالد
زعيم للإصلاح خير رائد　　　لأمته وللوطن ولله

❖ الذي يحفر القبور بقصد السرقة

العيد عيد العطف والمكارم   عيد الإخا والود والتراحم

فمن محياك تظهر الجرائم   والسيف والجلاد لا أعادك الله

العيد عيد النور والعداله   والحرية والعلم لا الجهاله

عيد النهوض بالشعب لا البطاله   وارزاق تخرج من خزائن الله

العيد للأفراح لا فجايع   العيد للعمران والمصانع

لا عيد الاستبداد والمطامع   وسلب باسم الدين وشرعة الله

عيد الشقا يومك فظيع اسود   في كل يوم نذكر سجين مبعد

والا غريب من الوطن مشرد   والا فقير مظلوم يرحم الله

والا شهيد والا السياط والجلد   ما فيك ياعيد الشقاء مسعد

إلا منافق أو مورّد الخد   والا فكذاب مفتري على الله

عيد المهازل في جماد مسرح   لعائلات دموعها بتسفح

مهرجان للقلوب يجرح   وايتام تطلب حقها من الله

ياعيد ان الشعب ليس يقهر   ولا النفوس تنسى والدم يهدر

لا بد من مقضى وإن تأخر   تذوق ما ذاقوه والحاكم الله

فالدم بترول في القلوب كامن   اذا اشتعل أودى بكل خائن

واستأصل الجبار والمداهن   هذا جزاء الظالمين من الله

يا عيد عرش الظالمين مزلزل   عام الثمانين آخرك وأول

ما زد بقى لك في البلاد منحل   فالشعب قد أدرك والشاهد الله

والحكم للأمه والشعب إن قال   فعل وكال للطغي مثلما كال

والكبر نكّاس والزمان أدوال   عاده جرت بين العباد من الله

فلا تغرك خطبة المنابر   والشعر والتصفيق والمظاهر

ساقتهم الأطماع لا المشاعر   ذا الحين درهم والدرك على الله

والشعب عارف كيف ياخذ الثار   ويستعيد ماضيه ويغسل العار

والشعب جند الله والناس أحرار   ومن أهان الشعب أهانه الله

فالله صبور يمهل وليس يهمل   فانظر الى التاريخ ان كنت تعقل

هذي القصيده يا حبيب أجمل   تاريخها اصبر لغارة الله

ونشرت هذه القصيدة -بدون ذكر اسمي- في صحيفة الكفاح

التي كانت تباع العشر النسخ منها بشلن، وحين نشرت هذه القصيدة بلغ سعر النسخة الواحدة منها ثلاثة شلنات، وطلبها الناس بعد نفادها، كما كثر طلابها من المهجر من مصر وسوريا وغيرها، عندئذ أعيد نشرها مرة ثانية، وكذلك قصيدة على غرار: (مسكين يا ناس) وبعد ان سمع الإمام وأعوانه صدى القصيدة الأولى وتهافت الناس عليها، احتج بواسطة وزير الخارجية عبدالرحمن عبدالصمد، احتج لدى السلطات بعدن، فوجهوا خطابا الى حسين بيومي صاحب جريدة الكفاح وطلبوا منه معرفة اسم الشاعر ولكن البيومي -الذي كان أخوه رئيس المجلس التشريعي بعدن- أجاب: ليس لكم حق في مخاطبتنا والسؤال عن الشاعر، فالصحيفة لم تنشر إلا بعد عرضها على السلطة المسؤولة عن النشر، وقد عرضت عليها الأولى والثانية، فأفحمهم، فما كان من السلطات البريطانية إلا ان وجهت تحذيرا للضيوف في عدن، والضيوف هم اليمنيون الفارون من الشمال الى عدن، ومن جملة ما تضمنه التحذير الذي أذيع من الإذاعة: ان الضيوف المقيمين في عدن يجب عليهم ان لا يعكروا صفونا مع الحكومة المجاورة، وايما شخص تكلم في شخصية الملك أو مسؤول في الحكومة المجاورة فإن الحكومة البريطانية ستجري اللازم مع ضيوفها، ومن أنذر فقد أعذر. وحذرت كذلك أصحاب الصحف.

سبع سنين في عدن

قضيت في عدن سبع سنين وأربعة أشهر، وفي البداية اشتريت مكنة الخياطة -كما ذكرت- وكان الشغل ضعيفا، ثم انتقلت الى عند احمد سالم الكولي رحمه الله وبقيت بضعة شهور أحصل من العمل على ما يكفيني ويسد حاجتي، وفي هذا العام منعت الحكومة

تعاطي القات في عدن، فكان الناس يهرعون للمقيل في دار سعد❖ فكنت أخرج مع الناس الى دار سعد، وكان بها مكان للأغابرة أخذني بعض الأصحاب اليه وخزنت ودفعت كرى كغيري وكانت تحصل مذاكرات في المقيل فأعجب بي الحاج عبدالله ناجي الرجل الكبير والشهم والكريم، وعندما أردت أن أدفع للقائم على المكان قام الحاج عبالله ناجي وقال: هذه بقعتك وهذا محلك، لا تذهب أي مكان آخر، ويوم ثاني خرجت وقد نبه الذي يقوم بالمكان وقال له: بقعة السنيدار ولا تأخذ منه شيئا لا كرى ولا قيمة ماء ولا فحم.

وفي دار سعد زادت معرفتي بالناس ومعرفتهم بي، وبعد ان تركت العمل لدى احمد سالم فكرت في عمل أتوسع فيه لأقضي وقت الفراغ فيه وليزداد دخلي، فاتجهت النية لفتح مدرسة لتعليم الأولاد الصغار، فكان ان فرغ لي ياسين أحمد قائد الأغبري (بخارا)❖❖ تحت بيته، وبدأت في التعليم ووفق الله بأن اهتديت الى طريقة للتعليم قريبة الفهم للتلميذ، حتى ان بعض الأولاد والبنات كان أباؤهم يوصلونهم الي وهم دون الخامسة من العمر، وبفضل الله سبحانه وسّع صدري، فشاع ذكر المدرسة فجمعت تلاميذ من أبناء الحجرية، وعدنيين، وهنود، وصوماليين، ومن إب ورداع، ومن أولاد صنعاء أولاد وبنات، فما كانت تمر سنة أو سنتان إلا وقد أكمل التلميذ القرآن وشرع في الحساب والقراءة والمحفوظات وأبيات من الشعر، وفي علوم الدين، والنحو، وكان يجتمع حوالي ثلاثين تلميذا وتلميذة، وفي عطلة المدارس يكثر العدد فيبلغ الخمسين. وكان ما يدفعه الطالب في الشهر خمسة

❖مدينة بالقرب من مدينة عدن

❖❖ مستودع أومخزن

شلنات ولكن أناس قدروا التعليم، على سبيل المثال: علي أحمد شملان الشاب الثري ذو الأخلاق الحسنة فإنه لما رأى ابنه وابنته فائزين وهما صغيران قال لي: كنت جامد على فكرة انه لايمكن التعليم إلا لمن بلغ سبع سنين، فقد ربحنا منك سنتين وكسور، فكان يبقى ثلاثة أشهر ثم يأتي الي بتواضع واحترام ويسلم لي ثلاثمائة شلن حتى استحييت منه، فيقول: والله إني أعدها في حقك قليلة.

كنت أذهب من البيت الساعة واحدة صباحا أي السابعة بالتوقيت الجديد، وأدرس الى الساعة الحاية عشرة قبل الظهر، ثم أعود الى البيت لأعمل قليلا في الخياطة، ثم بعد ذلك أذهب للتدريس من الساعة الواحدة ظهرا وحتى صلاة العصر، ثم أعود للبيت لأشتغل في الخياطة حتى التاسعة مساء. وكان دخلي من الخياطة ما يقارب الاثني عشر شلنا يوميا.

وقد يسر الله لي محمد حجيرة ويسرني له فإنه بعد ان سلم لي عملا لمس الفرق الكبير بين عملي وعمل غيري إذ كنت اقتصد في البز و(الشلش) فأولع بي كما أولعت به لوفائه وأخلاقه ولما لمسه لدي من أمانة ونصح، فقد سلم لي العمل وترك الحساب علي واثقا بي.

وإضافة الى تلك الأعمال التي ذكرتها، فقد انشغلت وأولادي في خدمة القضية؛ قضية بلادنا، وقد كلفنا الإخوان بإرسال الرسائل والمنشورات، والسبب في ذلك انهم عرفوا ما عندنا من اخلاص للقضية، وسبب آخر هو اختلاطنا بالناس، وبأصحاب السيارات والتجار، فكنا حلقة الربط بين عدن والإخوان في الداخل، ومن الذين اجتهدوا معنا من السواقين وغيرهم وبدون مقابل:

الولد الحر الوفي الغيور محمد علي ناصر العذري وكان سائق سيارة البريد، وقد أظهر تجاوبا عظيما ومن التجار عبدالله بن

إسماعيل غمضان، ومن سائقي السيارات كذلك حميد علي، أما غير هؤلاء فقد كنا ندفع لهم أجرة من كد جنوبنا، وكانت المكاتبة بيني وبين عبدالسلام صبرة بالخط المستور، وكذلك المكاتبة الى تعز الى القاضي محمد العمري وغيره، ولم نقتصر في ارسال الرسائل والصحف والمنشورات على صنعاء وتعز، بل الى البيضاء ورداع وذمار وإب، وإذا كان هنالك قصيدة أو مقالة لها وزنها فإني كنت اجمع نسختين أو ثلاث أو كتب أو صحف وأودعها في ظرف، وأجعل عنوانها الى المسؤولين، وأرسل عشرين أو ثلاثين ظرفا في البريد حتى الى عند البدر والإمام نفسه فيكون لها أثرها، وبعض الظروف كنت أعنونها بالانجليزية لئلا يفتحها غير الإمام أو البدر، وكان ابن علي ناصر العذري يتولى نشر كمية كبيرة في الأسواق والطرقات، وكان المجاهد الكريم محمد علي الأسودي من المطلعين على جهودي أنا وأولادي، وكذلك الشيخ سنان أبو لحوم، كما عرف ذلك الشيخ علي الرويشان والزيادي والشيخ علي أبو لحوم، ومع هذا والحمد لله لم نأخذ من أحد شلنا واحدا مقابل ما كنا ندفع للرسل.

نعم ارتحنا في عدن، لأني كنت محجوبا عن عيون الحكومة، فقد تابعني أنا وأولادي (السي ايدي) أي البوليس السري، ولعدم حب الظهور فلم يظفر علينا بشيء، ولم نخف إلا ثلاثة أيام عندما وقع الإضراب القوي وأعلنت حالة الطوارئ وبدأوا يسفرون الشماليين.

وبعد السماح بتناول القات في عدن كنت أخرج يوم الجمعة للمقيل في التواهي عند الحاج عبدالله ناجي في نادي الأغابرة، وكان هناك شخص يدعى (ناصر) وهو رجل شرطة ممتاز ومتدين وصدوق لايضر أحدا بل ينفع، فعرفني وعرفته، وأحببته لأخلاقه الفاضلة، فبعد ان انقضت أيام الاضراب وبدأ التسفير خالجني

الخوف وذهبت الى ناصر فأخذ بيدي وأخذني الى عند حامد خان وهو موظف كبير، فكلمته عن حالي وماذا أعمل أنا وأولادي من عمل في عدن، وقلت له: إذا كان هناك أي شيء حولي فليسفرني الى أي مكان غير اليمن، فتبسم وقال: لاتخف، صحيفتك أنت وأولادك بيضاء وهاهي ذي عندنا في الملف، اذهب كما تعودت ولا تتعدى القانون ولا تخف، وإذا اعترضك أحد فاتصل بناصر، فأمنت.

صرفة أغنياء وعيشة فقراء !

وعن حالتي في البيت بقيت في منظرة أهل صنعاء الى رمضان وفي حالة غريب، كما يقال: صرفة أغنياء وعيشة فقراء، فأرسلت لابني أحمد وأخته فوصلا الى عدن، وكان البيت عبارة عن خربة، وقد حصلنا على قليل من المال فأصلحنا فيه ما هو ضروري، وادخلنا السراج مع الجلبات (لمبات الإنارة) والمراوح، واستقامت حالنا وعشنا عيشة سهلة وهنية، ولكن الإرادة الإلهية فوق كل إرادة، البنت شابة يقارب عمرها الأربعة والعشرين عاما، وأنا مضطر لها لتخدمني وتقوم بحالي، ولكن قدر الله ان وصل لها خاطب، ففكرت في الأمر، ولمست منها الرغبة، فقلت في نفسي: ان كان مرادك رضاء الله فمد يدك وسهل للخاطب ولها الزواج، واللهُ لك، وان كان المراد ارضاء نفسك فاعضلها، فاخترت رضاء الله، ورحم الله حمود الربيدي فتح بيته للزوج الذي يعيش عازبا، وللزوجة التي لها والد يعيش في بيت بعيد وضيق، فسهل الله الأمر ومددت يدي، وبارك الله لها، أحرر هذا الآن وقد أصبح لها ستة أولاد من بعلها سعد بن سعد الكدس.

ورجعنا الى العزبة في المنظرة، وأوسع الله في الدخل؛ فالخياطة

لم تنقطع، وكـان الدخل النافع من الخـيـاط المعـمـول لأناس مـخـصوصين، وليس للسوق، أو من القطوع وهي تراجيل سراويل النساء، وكذا من التعليم، فأصلحنا البيت وبلطناه.

وبلغنا ان بعض الحكام حكم بفسخ زوجة ابني محمد، فقررنا سفره الى صنعاء، وكان ممن توسط عبدالسلام صبرة، فعادت زوجته بمهر وعقد جديدين، ووصل الى عدن مع زوجته وابنه عبدالرحمن، ثم بنينا مكانا لطيفا، وكنت أعد هذا كله نعمة من الله.

وخلال هذه الأعوام مع راحة البال وخلو الفكر عملت أعمالا عظيمة، خياطة باثني عشر شلنا باليوم وهو أقل ما أحصل عليه، وتعليم ست ساعات، وتحرير مقالات في الصحف، وجمعت ما في ذهني من الأمثال الدارجة وحليتها بالقصص والفكاهات وما وافقها من الأمثال العربية. وحل الألغاز التي تذيعها إذاعة لندن، ونظم قصائد بلغت أكثر من اثني عشر قصيدة نشر الأكثر منها ■

خاتمة

هذه هي مذكرات العزي السنيدار رحمه الله، ومنها يعرف أبناء الجيل الحاضر كم تعب آباؤهم من قبل وكم تحملوا من مشاق ومصاعب وسجون وعذاب وخوف ورعب وتهديد.

شباب جيلنا الذين جاءوا على فترة وجدوا فيها المدارس ووجدوا المستشفيات ووجدوا الكهرباء، ووجدوا السيارات والطائرات، والإذاعة المسموعة والمرئية والصحف، والفنادق والطرق المعبدة... باختصار صاروا يعيشون كما يعيش أبناء العصر على الكرة الأرضية، وكل هذه الأمور ماكانت توجد ولا كان يحلم بها من كان قبلهم، السفر مشيا على الأقدام من شروق الشمس الى غروبها، ومن ساعده الحظ ملك حمارا يركب عليه، ومن مرض لايجد طبيبا ولايجد علاجا، وأذكر أنه في بداية وصول حقن البنسلين الى اليمن كانت الحقنة الواحدة منها بمائة ريال نمساوي أي ماكان يسمّى بالريال الفرانصي، ومن يطيق دفع مائة ريال (مايعادل مائة دولار في تلك الأيام)؟ وإذا كان يلزم له عشر حقن فمعنى ذلك أنه يحتاج الى ألف ريال. والذين يقدرون على هذا في اليمن ماكانوا يتعدون عدد الأصابع.

الكهرباء ماكانت توجد إلا في بيت الإمام فقط أما المدن والقرى فما ان تغرب الشمس حتى يشعر الإنسان أنه في مقبرة...الخ.

فيا من تنعم الآن بكل هذه الأشياء اعلم أن آباءك المناضلين من الجيل الأول قد بذل نفسه وماله وراحته وتحمل ما لا يطاق لكي تصل الى هذه الحال... فكم أنت مدين لهؤلاء الذين اشتهر منهم من اشتهر، ومنهم من هو مجهول لا يعرفه أحد... كم من الشباب يعرف المحلوي؟ وكم منهم يعرف شيئا عن صاحب هذه المذكرات العزي صالح السنيدار؟ وكم منهم من يعرف عن معد هذه المذكرات

للنشر علي بن عبدالله الواسعي.

وياليت هؤلاء نالوا ما يستحقونه من الاجلال والتكريم، بل ياليتهم سلموا من جهل الجاهلين الذين ربما يكون فيهم من يستخف بما قدمه أولئك الرواد العظام، ويظن ان الأمر سهل في سهل، وانه قد وصل الى ما وصل اليه هكذا بالمصادفة أو بالحظ، وكل ذلك ليس حرصا على ثناء أو إشادة، بل لأنه كما قيل: لا يشكر الله من لا يشكر الناس، أما الجزاء؛ جزاء هؤلاء وتوفيتهم ما يستحقونه فلن يكون من مخلوق مهما قدم لهم ومهما بالغ في الاحتفاء بهم. إن ذلك لن يكون إلا من الله الذي يعلم ما يستحقه كل واحد منهم والذي لا يضيع عمل عامل من عباده، فمنه ننتظر الجزاء ومنه نرجو الثواب.

علي بن عبد الله الواسعي

صنعاء - قاع العلفي

١٤١١/١٠/٤ هـ - ١٩٩١/٤/١٨م

بقلم الأستاذ : أحمد حسسين المروني

لم يُكتب - بعد - عن الطلائع المستنيرة من أبناء اليمن وبداية عصر التنوير، وما لاقت تلك الطلائع من معوقات ومقاومة من قبل الجامدين والمتخلفين وأتباع الإمامة المتسلطة التي قامت على الإرهاب والدجل.

وعندما يكتب المتابع لحركة الأحرار عن الذين نذروا أنفسهم لفضح الحكام الذين كانوا يتقاتلون فيما بينهم من أجل الاستيلاء على الحكم، لا لإسعاد الشعب وعمارة الوطن، ولكن لإقامة السجون، والتفنن في تقييد الشعب وتجهيله وإذلاله، علما بأنهم كانوا يدعون لأنفسهم باسم الدين، وإقامة الشريعة، وإنصاف المظلوم، وكبح جماح الظالم.

وهكذا سلك حكام اليمن منذ ظهورهم في أواخر القرن الثالث الهجري، وقد التزم العلماء بمداراة ذوي السلطة ومحاباتهم أحيانا، وعمدوا الى العمل بالحكمة القائلة (عليك بخولصة نفسك) والبعض منهم كانوا دعاة لمن يستولي على الحكم وكانوا يتقربون اليهم بكل ما يثبت طغيانهم، ويرسي دعائم ظلمهم.

وهكذا مرت على اليمن ظروف قاسية، وحكم مستبد لا يعمل من أجل نشر العلم، وفتح المدارس وبناء المستشفيات وتعبيد الطرق، واقرار العدل والأمن، ولكنه كان يحاول التفريق بين الأسر، وإشاعة الخوف، وملاحقة المستنيرين، وجعل مقياس الولاء هو التعصب للإمامة الهادوية، وكأنها هي الدين والعقيدة، وكانت الإمامة شيئا مقدسا وكان الإمام لا يسئل عما يفعل؛ فهو المشرع والحاكم والسياسي والمالك للإنسان والحيوان والبنيان، وقد يحكم على

معارضيه بالقتل والنفي والسجن المؤبد بدون محاكمة ولا يسمح لمن يقع في قبضته بالدفاع عن نفسه.

وهكذا عاش الشعب اليمني في سجنه الكبير حيث تغلق أبواب المدن من بعد غروب الشمس الى شروقها، حتى كان لا يسمح بإسعاف مريض مهدد بالموت عندما يؤتى به من ضواحي العاصمة ليلا لأنه لا يجوز أن يفتح باب من أبواب صنعاء إلا بأمر من الإمام.

ومن هنا بدأ أنين المقهورين يتعالى بعد أن كان همسا، وصار ذوو الضمائر الحية والعقول المستنيرة يستنكرون هذه الحالة في سرية بحيث لا يتسرب الى الإمام ما يقولونه في مجالسهم الخاصة خشية البطش والقمع والسجن.

ولم يطل صمت المفكرين بعد أن طفح الكيل، واشتد الظلم، وكادت المجاعات تقضي على الشعب اليمني.

وجاءت الحرب العالمية الثانية، وتناقلت الإذاعات الأخبار، وكادت اليمن تحاصر من البر والبحر فانقطعت الواردات من السلع الضرورية كالقاز (الكيروسين) والكبريت والسكر والأدوية وغيرها. وانتشرت الأمراض وأخطرها التيفوس والتيفوئيد وأنواع الحميات، ولم يكن هنالك أية مستشفيات أو مصحات، ومات كثير من الناس بل ان (قرى) تحولت مقابر، وكانت معونات طبية تصل الى صنعاء، ولكنها لاتوزع على الناس، بل كانت تخزن حتى ينتهي مفعولها، وقد يعالج بها الإمام وذووه والأقربون.

وكانت اليمن قد شهدت حملات اعتقال واسعة شملت الكثير من المستنيرين وسيقوا على سجون حجة والأهنوم والسنارة، ومات بعضهم في السجون.

وكان صاحب هذا الكتاب (العزي صالح السنيدار) ممن تعرض للسجن والتشرد بعد ان انضم الى المعارضة التي تكونت من آل المطاع وآل السياغي وآل الشماحي ومشايخ من إب وتعز والمقاطرة،

وكانوا يساقون الى السجون مشيا على الأقدام ويطاف

إلى عدن فراراً من بطش الإمام ومن ملاحقة أعوانه للأحرار والمفكرين، وكان فراري الى تلك المنطقة المحتلة خوف الوقوع في قبضة ذلك الوحش، وقضيت مع العزي صالح السنيدار ثلاثة أعوام كنا نلتقي في دار أهل صنعاء وهو يمارس الخياطة ليكسب قوت يومه، وأراه ضاحك الوجه، متفائل الروح، متيقنا بأن النصر للأحرار مهما طال الزمن، ولم تتغير طباعه عما كان عليه قبل الثورة وبعدها وبعد الخروج من السجن والهروب الى عدن، فهو ذلك المتفائل المتيقن بأن (جولة الباطل ساعة وجولة الحق الى قيام الساعة) وكان يسلي نفسه ومن حوله بأجمل القصص، وأعذب الألحان، وترديد أحلى القصائد المتفائلة، وكانت قصيدة الشاعر عبدالرحمن الآنسي في وصف حالة الطائر المحبوس في القفص قريبة الى نفسه ويرددها بلحنها الشجي في أكثر الأوقات وفيها تسلية وتفاؤل لمن يقع في محنة السجن أو محنة الحكم الجائر، وهذه بعض أبياتها:

ليت شعري من أكثر ترقاب الفرص
فيك يا طير واحتال واحتاش

وتردد عليك كل يوم حتى اقتنص
شاردك والحذر من قدر لاش

وربط ساق رجلك وقصر بالمقص
من جناحك طويلات الارياش

وتجرأ على ظلم حبسك في القفص
بعدما كنت مطلق في الاحراش

هم رموا صفو عيشك بأكدار الغصص
هم أعلّوا فؤادك بالاعطاش

هم وهم جرعوه بالفراق مرّ النفص

عجبي كيف الى اليوم زاد عاش؟
كلما ظن أنه من الورطة خلص

❖❖❖

جا وهي مثلما لعبة اكباش
كم يقلب من الفكر وجهه في السما
ان سمع في الهوا خفق الاجناح
ويطرب غناه ان رأى خضرة وما
ويصفق جناحه وبالتاج
ذاك يوم كان على غصن ان غنى رقص
تحت رجله وان نوشه ناش

❖❖❖

طير عند الله افراج وعند الله سعه
من مضايق على أبوابها اقفال
فتحها الصبر فاصبر فراس المنفعه
فيه وكم لك من الخلق أمثال
ما جرى لك جرى له وقد تحصل معه
حال ما قد خطر لك على بال

فرحم الله صاحب الترجمة العزي صالح السنيدار ورحم من سبقه من الأحرار الذين عملوا لوجه الحق ومنهم من قُتل صبرا ومنهم من قضى نحبه ومابدلوا تبديلاً.

أحمد حسين المروني

صنعاء في ١١ من شهر ربيع الأول سنة ١٤١٦ هـ الموافق ٧ أغسطس ١٩٩٥م

الفهرس



القاضي إسماعيل الأكوع

كنت قد اقترحت على الأخ العزي السنيدار رحمه الله أن يسجل بصوته ما بقي في ذاكرته من أخبار المراحل الأولى للحركة الوطنية، ولا سيما من بدء المرحلة التي شارك في ظهورها بالقول والعمل. فاستجاب لرغبتي، وسجل بصوته ما تمكن من تسجيله، وكتب بأسلوبه الخاص وبلهجته الصنعانية ما تيسر، معتذراً بأن المحن التي تعرض لها خلال سجنه الأخير وما لاقى من ضرب من غوغاء الناس وسفهائهم، ثم ما تعرض له داخل السجن من جلد وتعذيب وتهديد بالقتل على أيدي جلاوزة الإمام أحمد قد أنسته أشياء كثيرة.



القاضي عبد السلام صبره

ألقيت نظرتي على ما احتوته هذه المذكرات وعلى ما استوعبته من سرد الأحداث الواقعة، والصحيحة، والتي عاش فصولها الأخ العزي صالح السنيدار وقد كنت سعيداً وفخوراً بما توفق فيه وما توصل إليه حيث استطاع أن يكون صادقاً مع نفسه، ومع أمانة التاريخ، وأمانة الواجب الوطني والديني وذلك ما جبل عليه طيلة حياته ولا أبالغ إذا قلت إن الأخ العزي هو أحد البارزين من أقطاب الحركة الوطنية.



الأستاذ علي الواسعي

كم ستكون دهشة الإمام يحيى حينما يرى رجلاً قد ظهر من وسط صنعاء التي تنضح حجارة بيوتها بالتشيع أو كما قال الشهيد الزبيري مخاطباً الإمام يحيى:

من أين يأتيك العدو وأنت في بلد تكاد صخورها تتشيع

كم ستكون دهشته حينما يرى رجلاً كهذا ؟ يكشف للناس ما يختبيء وراء ذلك المظهر الخادع، ومن هنا سنعرف كم سيكون حقد الإمام عليه....



الأستاذ أحمد المروني

كان صاحب هذا الكتاب (العزي صالح السنيدار) ممن تعرض للسجن والتشرد بعد أن انضم إلى المعارضة التي تكونت من آل المطاع وآل الباغي وآل الشماحي ومشايخ من إب وتعز والمقاطرة، وكانوا يساقون إلى السجون مشياً على الأقدام ويطاف بهم على المدن للإرهاب والتخويف وتحذير من يفكر في نقد الإمام ومعارضة حكمه الجائر.



الجمهورية اليمنية
وزارة الثقافة والسياحة

صنعاء - ص.ب.: (٣٦)-(٢٣٧) - هاتف: ٢٣٥١١٤ - فاكس: ٢٣٥١١٣ - بريد الكتروني moc@y.net.ye